
الملحمة الإسلامية
الكبرى
عمر
٤ المجلد الثالث
تأليف
علي أحمد باكثير
الناشر
مكتبة مصر
@ketab_n
Follow Me
5.3.2016

ملحمة عمر

عام الرمادة

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة


عام الرمادة

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

(فى بيت عمر بالمدينة)

عمر : (يدعو) اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدى .

عاتكة : هوّن عليك يا أمير المؤمنين فأنت غير مسئول عن هذا المَحْل .

عمر : وما يدريكِ يا عاتكة ؟

(تسمع جلبة فى الخارج ثم يدخل أسلم) .

أسلم : يزيد ابن أخت النمر يا أمير المؤمنين جاء فَزعا يقول استأذن لى على أمير المؤمنين فى الحال .

عمر : أدخله فى الحال .. اللهم لطفك ورحمتك .

(تنسحب عاتكة ويدخل يزيد)

يزيد : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا يزيد بن سعيد . ما خطبك ؟

يزيد : آلاف من أهل البادية قد وَرَدُوا اليوم كأرْجَالِ الجراد .. فوق الذين جاءُوا من قبل .

عمر : أفهذا الذى رَوَّعَكَ يا ابن أخت النمر ؟

يزيد : أجل يا أمير المؤمنين ألا نمنعهم ؟

عمر : ثكلتك أمك يا يزيد كيف نمنع قوما جاء بهم الجَهْدُ إلينا لعلهم يجدون فى المدينة شيئا من بَلاغ ؟ إنى والله لو استطعت أن أحمل كل من فى البادية إلى جوارنا لفعلت .

يزيد : ماذا تصنع بهم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : إن عونهم وهم هنا أيسر علينا من إرسال العون إلى ديارهم بالبادية . ويحك يا ابن أخت النّمر إنى عينتك لتنزل هؤلاء الأعراب وتواسيهم وتحمل إليهم ما يلزمهم ولم أعينك لتذُبهم عن المدينة .

عمر : يا أمير المؤمنين إنهم كثروا اليوم فاجعل معى من يعاوننى على القيام بأمرهم .

عمر : قد اخترت لك ثلاثة من الفتيان كهمّك صالحين أمناء أشداء . .

يزيد : من هم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : المِسْوَرُ بن مَخرَمة الزُّهْرى وعبد الرحمن بن عبد القارى وعبد الله بن عقبة بن مسعود . ما تقول فيهم ؟

يزيد : لن أجد لى خيرا منهم يا أمير المؤمنين .

عمر : يا أسلم انطلق فادع لى هؤلاء الفتية الثلاثة .

أسلم : سمعا يا أمير المؤمنين .

(يخرج ثم يعود بعد قليل) .

عمر : ما خطبك يا أسلم ؟

أسلم : قوم الأعراب اللاجئين قد جاءُوا برجل يشهدون أنه سرق شاة لامرأة منهم .

عمر : دعهم يدخلوا وانطلق أنت فادع الفتية الثلاثة .

(يخرج أسلم ثم يدخل ستة نفَر من الأعراب يسوقون بينهم رجلا)

الرجل : يا أمير المؤمنين حَنَانَك !

عمر : سرقت الشاة التى يزعمون يا عبد الله ؟

الرجل : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : فارْدُدْها إلى صاحبتها ولا حرج عليك .

الرجل : من أين يا أمير المؤمنين وقد ذبحتها وأكلتها أنا وأهلى وعيالى ؟ لقد كُنا طاوين منذ ثلاث .

عمر : طَاوين منذ ثلاث . أفكان ذلك قبل أن تقدموا المدينة ؟

الرجل : أجل يا أمير المؤمنين كُنا بعد فى حَيِّنا بالبادية . والله يا أمير المؤمنين إن كانت لشاة مهزولة وإن كنا لنعاف إلى لحمها من قبحه وما كنا لنسيغه لولا الجوع .

عمر : أين صاحبة الشاة ؟

القوم : بالجَبَّانة يا أمير المؤمنين حيث نحن نُزُولُ . إنها عمياء يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يلتفت للرجل**) عمياء يا عبد الله وتسرقها ؟

القوم : لا مُرُوءة له يا أمير المؤمنين . اغلظ عليه العقوبة .

عمر : ارجعوا الآن إلى رحالكم فسآمر للمرأة بما يعوضها ويصلحها . وخَلوا عن أخيكم هذا فلا سبيل لكم عليه .

القوم : دون أن تعاقبه يا أمير المؤمنين أو تقيم عليه الحدَّ ؟

عمر : إنه كان مضطرا ﴿ فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ .

الرجل : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين .

عمر : إياك أن تعود إلى مثلها .. انصرفوا يرحمكم الله .

(يخرج القوم)

يزيد : يا أمير المؤمنين لعلّه ما كان مضطرا وإنما زعم ذلك لينقذ يده من القطع.

عمر : ويحك يا يزيد. هذا العام الجاهد شاهد له. والله لولا خشية أن ينتشر فى الناس البغى والتعدى لأعلنت فيهم أن ليس على السارق هذا العام حرج فيما سرق.

يزيد : إذن يا أمير المؤمنين ليكونَنَّ فسادٌ كبيرٌ..

عمر : والله إنى لأعرف أناسا ما كنت أَعْهَدُ فيهم إلا الخير قد غيرتهم هذه السنة فجَعَلَتْهُم يُمْسِكُون ما فى أيديهم ولا يبالون من يسَّاقط جوعا حولهم. والله لئن تموا على ذلك وبقى هذا القحط لأستولين على ما فى بيوتهم من الزاد فلأُفَرقنه على ذوى البطون الخاوية.

(يعود أسلم ومعه الفتية الثلاثة)

الفتية : السلام عليك يا أمير المؤمنين.

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله.. يا شباب الإسلام.. هل لكم إلى خير؟

الفتية : نعم يا أمير المؤمنين.

عمر : هذا يزيد ابن أخت النّمر القوى الأمين وأنتم فتية أمناء فهل لكم أن تعاونوه فى مواساة الأعراب الذين ألجأهم الجهد إلينا فقد كثروا عليه؟

الفتية : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين.

عمر : فاخرجوا الساعة معه إليهم فدعوهم يضربوا خيامهم حول المدينة فيما بين رأس الثَّنِيَّة إلى راتج إلى بنى حارثة إلى بنى عبد الأشهل إلى البقيع إلى بنى قُريظة ، وأنزلوا طائفة منهم بناحية بنى سَلَمَة . امضوا على بركة الله .

(يخرج يزيد والفتية الثلاثة)

صوت : **(من الخارج)** يا أبا حفص .. يا أبا حفص ..

عمر : **(يثب فرحا ناحية الباب)** أبا عبيدة .. ادخل يا أبا عبيدة .

(يدخل أبو عبيدة فيعانقه عمر عناقا طويلا)

عمر : يا أخى هلا أرسلت إلينا رسولا فنَتَلَقَّاك ؟

أبو عبيدة : ما أردت يا أمير المؤمنين أن أشق عليك .

عمر : لا والله إن فى ذلك لمَسَرَّة لى .

أبو عبيدة : فقد أردت أن أفاجئك بما يسرك . حتى أسلم غلامك أراد أن يستأذن لى عليك فمنعته لكى تسمع صوتى . قبل أن يذكر اسمى لك .

عمر : **(يدعوه للجلوس فيجلسان)** الحمد لله إذ جعلك أول من لبى النداء يا أبا عبيدة . كيف رأيت الناس فى طريقك إلينا من الشام ؟ أرأيت ما فعل فيهم هذا المَحْل ؟

أبو عبيدة : أجل يا أمير المؤمنين رأيت فى طريقى ما ملأ قلبى هما .. قبائل من العرب يفشو فيها الجوع والموت ، وديارا من أهلها بَلاقِع وأرضا على طول الطريق قد أضحت قاعا صفصفا كأنما حلقها حالق .

عمر : يا ويح رواحلكم ماذا فعلتْ فى الطريق ؟

أبو عبيدة : جهدت وضويت ولولا ما أخذنا معنا من الشام من الحشيش الجاف لهلكت وقد هلك بعضها من العطش .

عمر : كم عدد ما جئت به يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : جئت بأربعة آلاف راحلة عليها الدقيق والجبن والسمن والعسل والزبيب وغير ذلك .

عمر : أحسنت يا ابن الجراح .. ليكونن فيها غوث للناس .

أبو عبيدة : ولكنى لم أقدم بها كلها يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف ؟

أبو عبيدة : وزعت منها على الذين فى الطريق من أحياء العرب فمعذرة يا أمير المؤمنين .

عمر : بل زدت إحسانا يا أبا عبيدة . إن أكبر همى لهؤلاء الأعراب فى البادية ، فهم أحوج إلى المعونة من أهل المدينة قد فشا فيهم الجوع أيضا لكثرة من وردوا إليها من الأرباض والأنقاب فشاركوا أهلها فيما لديهم . فكم وزعت فى الطريق ؟

أبو عبيدة : حوالى خمسمائة راحلة فقد تسامع الأحياء من كل صوب فلم يسعنى إلا أن أعطيهم .

عمر : بقى إذن ثلاثة آلاف وخمسمائة راحلة .. إن فيها لبلاغا إلى حين .

أبو عبيدة : وقد وعدنى معاوية بن أبى سفيان إذ تلقانى بظاهر قيسارية بأن يجهز لك ثلاثة آلاف بعير موقرة ويبعثها على إثرى .

عمر : ما أيمن طائرك يا أبا عبيدة وأبرك مقدمك .. لقد ألهمتنى أمرا كان عنى غائبا (**ينادى**) أسلم : يا أسلم .

أسلم : (**صوته**) لبيك يا أمير المؤمنين .

(**يدخل**)

عمر : ادع لي عبد الله بن الأرقم ومُعَيْقب الدَّوْسي ويرفأ .

أسلم : سمعا يا أمير المؤمنين .

(**يخرج**)

عمر : الحمد لله .. الليلة يهدأ جنبي قليلا على الأرض وتذوق عيني شيئا من الغمض .

أبو عبيدة : بأبي أنت وأمي يا عمر أكنت لا تنام ؟

عمر : بلى كان يغلبني النوم أحيانا ولكني ما كنت أرى لنفسي حقا في ذلك . كيف حال أهل الشام يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : تركتهم جميعا بخير وهم جميعا يدعون لك .

عمر : وأبو سليمان كيف حاله ؟

أبو عبيدة : أبو سليمان كحاله يا أمير المؤمنين .. قد اعتزل الناس وخلا إلى القرآن يتعاهده ويتحفظه .

عمر : وليس منه بأس ؟

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين إن خالداً لباطنه خير من ظاهره وأنه لخير مما تظن .

عمر : صدقت يا أبا عبيدة .

صوت : (**من الخارج**) يا أمير المؤمنين هل تأذن ليَسَار غلامك ؟

عمر : (**ينادي**) ادخل يا يسار . (**يدخل يسار**) ماذا وراءك أحصيت ما عندك من الدقيق ؟

يسار : نعم يا أمير المؤمنين فوجدته لا يكاد يكفي ليومين آخرين .

عمر : أبشر يا يسار فقد جاءنا أبو عبيدة بالخير من الشام.

يسار : مرحبا بأبى عبيدة.

عمر : جئت فى إبّانك يا يسار. اخرج الساعة فى طريق الشام لتتلقى عير أبى عبيدة فهى فى بعض الطريق. ثلاثة آلاف وخمسمائة راحلة.

يسار : سمعا يا أمير المؤمنين.. بوركت أمينَ هذه الأمة. أنت أول من لبى النداء.

(يخرج).

عمر : يعز علىَّ يا أبا عبيدة أن ستفارقنى قبل أن أقضى شوقى منك.

أبو عبيدة : إنى باق عندك برهة لأعاونك.

عمر : أجل ولكنك لن تبقى فى المدينة.

أبو عبيدة : أين تريد أن توجهنى؟

عمر : إلى نجد فأهلها أشد الناس مسغبة وأحوجهم إلى النجدة العاجلة.. إنهم ليأكلون الرمة ويدقون العظم فيسفونه فهل لك يا أبا عبيدة أن تفعل.

أبو عبيدة : إنى ما جئت يا أمير المؤمنين إلا لأعاونَك فى هذا الخطب الجليل فوجهنى حيث تشاء.

عمر : بوركت أمينَ هذه الأمة.. والله لقد طلبت من رجال تعرفهم ولا أريد أن أسمّيَهم أن يقوموا بها دونك حتى أستبقيك عندى هذه الأيام التى تقضيها بيننا فمنهم من أبى ومنهم من اعتل فعلمت أن الله أراد أن يجعل هذا الفضل كله لك.

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين مُرنى بما تشاء ولا تتحرج .

عمر : أرى أن تأخذ ألفى راحلة فتستقبل بها نجدا فتوزّعها بين أهلها وأحيائها بالمعروف حتى تصيب كل واحد منهم وكل أهل بيت وكل قبيلة ثم احمل وأنت عائد إلينا كل أهل بيت قدرت أن تحملهم إلىّ .

أبو عبيدة : أتريد يا أمير المؤمنين أن تجمعهم هنا عندك ؟

عمر : نعم ليكون تموينهم علينا أيسر .

أبو عبيدة : إذن فماذا تصنع ألفا بعير يا أمير المؤمنين ؟

عمر : احمل من استطعت منهم ممن يرغب ومن لم تستطع حمله أو لم يشأ أن يقدم فمر كل أهل بيت ببعير فلينحروا البعير وليحملوا شحمه وليقددوا لحمه وليحتزوا جلده ثم ليأخذوا كبَّة من قديد وكبة من شحم وحَفنة من دقيق فليطبخوا ويأكلوا ويتبلغوا بذلك حتى يأتيهم الله برزق أو يجىء الله بالمطر ..

أبو عبيدة : ما أحناك عليهم يا أمير المؤمنين .. إنهم ليعرفون ما يصلحهم .

عمر : كلا يا أبا عبيدة لا تكلهم إلى أنفسهم . علمهم وبصّرهم كما قلت لك فلعلهم يجهلون أن الشدة قد تطول .

أبو عبيدة : سأفعل يا أمير المؤمنين .. سأعلمهم ما علمتنى الساعة .

عمر : (**يقبل رأس أبى عبيدة**) بوركت يا أمين هذه الأمة فوالله لعلك ألا تكون أصبت بعد صحبتك رسول الله ﷺ شيئا أفضل من ذلك .

(يعود أسلم ومعه ابن الأرقم ومعيقيب ويرفأ)

ابن الأرقم : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .. أصغوا إلىّ يرحمكم الله . إن أبا عبيدة قد جاء بأربعة آلاف راحلة وقد سنَّ لنا سُنَّة حسنة إذ مال ببعض القافلة يمينا وشمالا فى الطريق فأطعم الناس وأغاثهم بما تيسر . وإنى أريد منكم أن تصنعوا مثله .

الثلاثة : كيف يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أنت يا عبد الله بن الأرقم تتلقى القافلة التى أرسلها سعد من العراق فتوزع منها بالمعروف على أهل اليمامة ومَن فى طريقك حتى تصل إلى مكة فتوزع ما بقى على أهلها وما حواليها .

ابن الأرقم : وما يبقى بعد ذلك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ائتنا به . وأنت يا معيقيب تتلقى العير التى أرسلها عمرو بن العاص من مصر فتعدل بها يمينا وشمالا فى القبائل التى فى طريقك فانحروا الجزُرَ ووزعوا الدقيق واكسوا العباء حتى تبلغ إلينا بما يبقى .

معيقيب : سمعا يا أمير المؤمنين .

عمر : أما أنت يا يرفأ فانطلق إلى الجَار فانتظر بها حتى تجىء السفن العشرون التى أرسلها عمرو من القلزم فاحمل كل ما عليها إلى أهل تِهامة فأطعم الناس حتى تبلغ عَدَنَ أبْيَنَ .

يرفأ : وأين الظَّهْرُ الذى يحمل ذلك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : سنعطيك الإبل تأخذها معك .

يرفأ : ألا تبعث أحدا غيرى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ويلك هذا فضل ساقه الله إليك أفتأباه ؟

يرفأ : معاذ الله يا أمير المؤمنين .. ولكنك قد تحتاج هنا إليّ .

عمر : لا عليك .. سأحتسبك عند الله يا يرفأ فامض مُصاحَبا فإذا قضيت مهمتك فعد بأسرع ما يمكنك فإنى لا أستغنى عنك .

(ستـــار)

المشهد الثانى

فى بيت عمر أول الليل بعد صلاة العشاء.

يرى عمر جالسا وعنده يزيد ابن أخت النمر والمِسْوَر بن مخرمة وعبد الرحمن القارى وعبد الله بن عتبة.

عمر : انظر يا أسلم هل تركَتْ لنا أمُّ عياض شيئا نأكله؟

أسلم : (**صوته من الداخل**) سأنظر يا أمير المؤمنين.

يزيد : لا حاجة بنا إلى شيء يا أمير المؤمنين.

عمر : ألست جائعا يا يزيد؟

يزيد : لا يا أمير المؤمنين.

عمر : ولكن هؤلاء الفتية ليسوا مثلنا يا يزيد. إنهم يجوعون أسرع ويطيقونه أقل.

المسور : لا بأس أن نصبر قليلا يا أمير المؤمنين حتى نعود إلى بيوتنا.

(**يدخل أسلم**)

أسلم : ما وجدت يا أمير المؤمنين غير هذه الكسرة.

(**يأخذها عمر فيقسمها خمس قطع فيعطى كل واحد منهم قطعة**)

عمر : خذوا تبلّغوا بهذا حتى تعودوا إلى بيوتكم (**يقسم القطعة التى معه إلى قطعتين فيعطى إحداهما لأسلم**) خذ أنت يا أسلم.

(يأكلون ما فى أيديهم ويقضم عمر قضمة مما فى يده ثم يكُفّ) .

يزيد : ما بالك لاتأكل يا أمير المؤمنين ؟ .

عمر : قد أكلت والحمد لله وهذا نصيب أم عياض .. عسى أن تعود من مطبخ المسلمين جائعة فتلومنى .

يزيد : ما كان ينبغى لنا أن نأكل كِسرتها يا أمير المؤمنين .

عمر : قد تركنا لها نصيبها فلا سبيل لها علينا الآن .. خذ يا أسلم أعد هذا إلى مكانه .

(يأخذه أسلم فيخرج) حدثونى الآن عما شهدتم اليوم فى خيام اللاجئين .

عبد الله : توفى عندى اليوم رجلان وامرأة يا أمير المؤمنين .

عبد الرحمن: وتوفى عندى ثلاث نسوة إحداهن فى حالة الوضع .

عمر : وسلم المولود ؟

عبد الرحمن: نعم وأعطيناه لجيرانهم يكفلونه .

عمر : الحمد لله وأنت يا ابن مخرمة ؟

المسور : لم يمت عندى أحد بل وضعت امرأة توأمين .

عمر : وأعطيتها ما يصلحها ؟

المسور : أعطيتها ضعف ما نعطيه للمرأة الوالدة .

عمر : ربع شاة ؟

المسور : نعم .

عمر : أحسنت .. وأنت يا يزيد ؟

يزيد : لا موت ولا ولادة ..

عمر : الحمد لله قد قلّت الوفيات عن أمس وأول من أمس .. أما من شكوى رفعت إليكم؟ أما من حادث؟

عبد الله : بلى يا أمير المؤمنين حادث أستحى أن أقصه عليك.

عمر : قصه يا عبد الله بن عتبة فإن الله لا يستحى من الحق.

عبد الله : أعرابى يا أمير المؤمنين وجدوه يلامس امرأة فى عرض الطريق فأخذوه فإذا هى امرأته أم أولاده وقد اعتذر لى بأنه لم يجد سبيلا إليها إلا فى ذلك المكان الذى ظنه خاليا من الناس.

عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله لقد هلك عمر.

يزيد : وما شأنك أنت يا أمير المؤمنين؟

عمر : أنا الذى أمرت بالتفرقة بين الرجال والنساء.

يزيد : لم يكن من ذلك بُد لقلة المأوى فإن كثيرا منهم لا خيام لهم فأسكناهم مع أصحاب الخيام.

عمر : فهذا الذى حدث لا بد له من علاج فأشيروا علىّ.

(يقدحون زناد فكرهم دون أن يهتدى أحد منهم إلى شىء).

اسمعوا إذن ما فتح الله به على... ماذا لو اتخذنا طائفة من الأخبية عشرين أو ثلاثين ليتداولوها مناوبة بينهم فيكون لكل أهل بيت منهم ليلة فى الشهر أو الشهرين يجتمع فيها شملهم مع صغارهم.

الأربعة : هذا حسن يا أمير المؤمنين.

عمر : أليس عندكم خير من هذا؟

الأربعة : اللهم لا.

عمر : إذن فنفذوا ذلك من الغد كل فيمن يلى أمرهم وبالتراضى فيما بينهم حتى يتفقوا معه على عِدة الأخبية اللازمة دون ضرر ولا ضرار.

المسور : وأنا يا أمير المؤمنين رابنى اليوم أمر فقلت أعرضه عليك.

عمر : هات يا مسور.

المسور : إنا ننصب لهم القُدور فيتحلقون حولها فلحظت اليوم أن بعضهم يستأثر بأكثر من نصيبه فيأخذه من نصيب غيره.

عبد الرحمن: أجل يا أمير المؤمنين أنا أيضا لحظت ذلك.

عمر : ويلهم ألا ترون قول الشاعر:

وإن مُدَّت الأيدى إلى الزاد لم أكُن
بأَعْجَلهم إذ أجْشَعُ القوم أعْجَلُ

أين المروءة إذن؟ ولكن لا تلوموهم فإنه لا مروءة مع المسغبة. ماذا ترون لهذا من علاج؟

المسور : قد سنح لى فى ذلك رأى يا أمير المؤمنين فهل لك أن تسمعه.

عمر : هات يا مسور حياك الله.

المسور : نُحصى العيالات والبيوتات فنوزع عليها ما يخصها بالمعروف.

عمر : هذا بالنهار وشملهم مجتمع فكيف الصنيع بالليل؟

المسور : ليقتسم كل أهل بيت نصيبهم فيما بينهم أثناء النهار وليحتفظوا ببعضه إلى الليل.

عمر : بوركت يا مسور هذا رأى حسن،والله إن لكم معشر الشباب لآراء ثاقبة.

(يسمع قرع على الباب) .

عمر : من هناك ؟

عاتكة : **(صوتها)** أنا عاتكة يا أمير المؤمنين .

عمر : ادخلى يا أم عياض .. انتهيت من مطبخ دار الضيافة ؟

عاتكة : **(تدخل)** الحمد لله **(تواصل سيرها حتى تتوارى داخل البيت) .**

يزيد : هل تأذن لنا يا أمير المؤمنين فننصرف ؟

عمر : رويدكم .. نفذوا رأى المسور بن مخرمة .

الأربعة : سنفعل يا أمير المؤمنين .

عمر : ويحكم لقد أتعبتكم معى . **(ينهض)** انصرفوا مُصَاحَبين .. إلى اللقاء مساء غد .

(يخرج الأربعة ويسبقهم عمر إلى الباب) .

(تدخل عاتكة وقد خلعت عباءتها) .

عمر : ما بالك عابسة يا أم عياض ؟ تعبت من عمل المطبخ ؟

عاتكة : يهون التعب يا أمير المؤمنين مع ثواب الله وأجره .

عمر : **(يهش لها)** الحمد لله .. أنت إذن راضية .

عاتكة : كلا يا عمر .

عمر : يا عمر ؟ أجائعة أنت يا عاتكة ؟ لقد تركنا لك نصيبك من الخبز .

عاتكة : كلا ما أنا بجائعة ؟

عمر : أصبت شيئا من مطبخ دار الضيافة ؟

عاتكة : تحاسبنى يا عمر ؟

عمر : لا والله .. لا بأس أن تأكلى هناك بالمعروف إن أردت .

عاتكة : قد علمتَ أنى لا أستحب ذلك .

عمر : الاستعفاف أفضل وأكرم . فما خطبك إذن يا عاتكة ؟

عاتكة : ألست تعلم يا عمر ما خطبى ؟ لقيت أم حكيم فى المطبخ .

عمر : (**كالممازح**) فَغِرْتِ منها ؟

عاتكة : لو غِرْتُ من أحد لَغِرْتُ من أم كلثوم بنت على .

عمر : صدقت .. أنت يا ابنة العم ريحانة القلب .

عاتكة : أحقا إنك تُريد أن تجمعنا نحن الثلاث فى بيت واحد ؟

عمر : ويلها .. كنت أريد أن أفاتحك بذلك فسبقتنى المخزومية .. ما ينبغى يا أم عياض أن يكون لى ثلاثة بيوت وهذه عيالات المسلمين لا تجد لها البيوت ولا الأخبية .

عاتكة : إن بيت إحدانا لا يكاد يتسع إلا لرجل وامرأته فأين تبيت الأخريات وأين يبيت الأولاد ؟

عمر : ستعود أم حكيم إلى بيت أهلها فتقيم معهم فلم يبق إلا أنت وأم كلثوم والأولاد .

عاتكة : وأنت أين تبيت ؟

عمر : لا شأن لكِ بى .. سأبيت أنا فى المسجد أو فى بيت المال . اصْغَىْ إلىّ يا عاتكة إنى قد عزمت ألا أقربَ امرأة حتى يكشف الله هذه الغمة عن الناس .

عاتكة : لكن أم كلثوم يا أمير المؤمنين .

عمر : ما بالها ؟

عاتكة : حديثة السن حديثة العهد بك وما ينبغى أن تهجرها وأنت ما تزوجتها إلا لترصد كرامتها لقرابتها من النبى ﷺ .

عمر : أما إنكن لصواحب يوسف !

عاتكة : يعزّ علىّ والله أن تشهد أم كلثوم فى سِنِيِّها الأولى مع أمير المؤمنين هذا العام الجاهد عام الرمادة .

عمر : على رِسلك يا عاتكة .. إنها ابنة رسول الله ﷺ .

عاتكة : لذلك أشفقت عليها من الجَهد .. والله يا عمر ما أنصفتها إذ تزوجتها وأنت تعلم شِدَّتك على نفسك وأهل بيتك وقرابتك وقومك جميعا من بنى عدىّ .. أفلا كنت تركتها لأحد بنى عمومتها فعاشت معه عيشة أنضر ؟

عمر : يا هذه إنها ابنة علىّ بن أبى طالب وقد نَشَّأَهَا أبوها على الزهد والقناعة فاكفينى شرَّ نفسك وخلاك ذَمٌّ .

عاتكة : (**بعد صمت يسير**) أتنقل أم كلثوم إلى بيتى أم تنقلنى إلى بيتها ؟

عمر : بل أنقلك إلى بيتها يا أم عياض .

عاتكة : أنا أقدم منها وبيتى أوسع من بيتها وأمثل .

عمر : يا عاتكة أنت ابنة عمى فينبغى أن تحتملى منى أكثر مما تحتمل أم كلثوم .

عاتكة : صدقت .. إننى من بنى عَدِىّ فليكن نصيبى الحرمان .. آه لولا قرابتها من النبى ﷺ ما قبلت هذا منك .

عمر : بوركت يا عاتكة .. إن هى إلا أيام حتى يرفع الله عنا هذا المحْل .

عاتكة : والله ما أحسب هذا المَحْلَ يرتفع وشيكا يا عمر .. والله لو كنت أعلم يوم خطبتنى أن مثل هذا يمكن أن يحدث لجعلته فى الشرط ألا تساكننى ضُرة لى أبدا ..

عمر : (**يأخذ يدها مبتسما**) ولقد عَلِمْتِ يا ابنة العم أننى ما نقضت شيئا قطّ مما اتفقنا عليه .

(ستــار)

المشهد الثالث

جانب من مطبخ دار الضيافة يتصل به دهليز يؤدى إلى الخارج.

ترى بحرية بنت هانئ زوجة عبيد الله بن عمر واقفة أمام قُدور صغيرة وقد وضعت إحداها على موقد النار وهى تعالج ما فيها بِمِسواط فى يدها.

(يدخل عمر من الدِّهليز فتضطرب بحرية).

عمر : ما هذا يا بحرية؟ ماذا تصنعين؟

بحرية : عصيدة يا أمير المؤمنين أعصدها للمريضات من نساء المسلمين.

عمر : ويل لهن.. هلا عهدن بذلك إلى غيرك فإنك لا تعرفين تعصدين.من ذا يأكل هذه العصيدة المُتَقَرّدَة؟ أين حفصة أم المؤمنين؟ وأين فاطمة بنت الخطاب؟ وأين أم حكيم؟

بحرية : هناك داخل المطبخ يا أمير المؤمنين يعمَلن فى قدور اللحم والثريد. هل أدعوهن لك؟

عمر : بل انتظرى.. لَا هَا الله لا أدعك حتى أعلمك كيف تعصدين.. لا ينبغى أن تبلغى هذه السن وأنت لا تعرفين كيف تعصدين.. أعطينى المِسْواطَ.. (**تعطيه المسواط**)

انظرى .. لا تُذرى الدقيق جُملة واحدة حين يسخُن الماء ولكن ذُرِّيه قليلا قليلا وسوِّطيه هكذا بالمسواط فإنه أربع له وأحرى أن لا يتقرد . فهمت يا بحرية ؟

بحرية : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : هيا خذى المسواط الآن لأراك (**يعيد لها المسواط فتسوط به العصيدة**) قليلا قليلا وأنت تسوطين لا تَكُفِّين عن السوط أبدا . حتى تجدى المسواط قد ثقل فى يدك وتَرَيِ العصيدة قد مال احمرارها إلى سواد فعندئذ فارفعى القدر عن النار .

(يدخل عبد الرحمن بن عمر وعبيد الله بن عمر ويسار وأسلم) .

عبيد الله : أنت هنا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لأعلِّم إمرأتك كيف تعصِد .

عبيد الله : لعلها نَسِيت يا أمير المؤمنين من طول ما انقطعت عندنا عن العصد .

عمر : كلا لو علَّمَتها أمها قبل أن تجىء عندنا لما نَسِيَت .

عبيد الله : لا بأس علينا من ذلك يا أمير المؤمنين ما دمنا لا نعمل العصيدة فى البيت .

عمر : إن عبيد الله لَيُحبك يا بحرية .

عبيد الله : وإنها لأهل لذلك يا أمير المؤمنين .

عمر : ماذا جاء بكم الساعة ؟

عبد الرحمن : جئنا لنحمل الطعام إلى عيالات المسلمين .

عمر : ألا ترون أنكم بكرتم عليهم؟

يسار : كلا يا أمير المؤمنين.. حتى ننتهى منهم جميعا قبل أذان العصر.

عمر : هلم يا يسار وهلُمّوا أنتم جميعا.. إياك أن تعطيَهم للمطبخ أكثر مما كنت تعطِيهم من قبل.

عبد الرحمن: وإن زاد عدد الذين نطعمهم يا أمير المؤمنين؟

عمر : وإن زاد.. ألم أقل لكم دائما إنهم لا يموتون على نصف شبعة؟ فليكن مِنْهَاجُنا أن يأكلوا نصف شبعة.

عبيد الله : إنهم شرهون إلى الطعام يا أمير المؤمنين.

عمر : كلا لا ينبغى أن نعطيَهم ما يشتهون.. لا ينبغي لنا أن نشبعَهم اليوم ونجيعهم غدا.. لا تقولوا قد جاءتنا الأمداد من الآفاق فلنوسع عليهم فإننا لا ندرى متى يجئنا مدد جديد.

(تنتقل بحرية إلى الداخل ثم تعود)

عبيد الله : هل ندخل يا بحرية؟

بحرية : نعم ادخلوا فقد أعدَّ لكم ما تحملون.

(يغيب الأربعة فى الداخل ثم يعودون وعلى رؤوسهم القدور والقفف فيخرجون).

عمر : (**يشيعهم وهو يتمتم**) اللهم بارك لهم فى هذا.. اللهم بارك لهم فيه.

(تدخل فاطمة بنت الخطاب وحفصة أم المؤمنين وأم كلثوم وأسماء بنت عُمَيْس).

حفصة : مرحبا بك عندنا يا أمير المؤمنين..

عمر : أين أم حكيم فإنى لا أراها بينكن ؟

فاطمة : إنها على التنور يا أمير المؤمنين تخبز .

عمر : أوَليس بينكن من تعرف كيف تصنع العصيدة ؟

النسوة : بلى يا أمير المؤمنين .

عمر : فعلام عهدتن بذلك إلى من لا تعرف ؟

فاطمة : ظنناها تعرف يا أمير المؤمنين .

عمر : لقد ظلمتُنَّها وظلمتنَّ مال المسلمين . لقد أوشكت أن تصنعها عصيدة متقردة لا تأكلها الصحائح بلْهَ المريضات .

حفصة : (**تنظر إلى القدر**) إنى لأراها يا أمير المؤمنين تعرف كيف تعصد .

بحرية : إن أمير المؤمنين هو الذى علَّمنى الساعة .

أسماء : يا هنتاه .. الرجال يعلموننا الطبخ !

عمر : هيه يا أسماء ما كنت لتعملى فى مطبخ المسلمين لو لم يرغمك أبو الحسن .

أسماء : مَنْ حدثك يا أمير المؤمنين بما جرى بينى وبينه ؟

عمر : حدثنى الذى حدثنى .

(**ينظر إلى أم كلثوم**) .

أسماء : أم كلثوم ؟ ويحك يا بنيتى أهذا جزائى إذ حاميت عنك ؟

عمر : حاميت عنها أم أردت أن تحرميها ثواب الله وأجره ؟

أسماء : رأيتها قد أضناها الجهد فأشفقت عليها من ذلك فهل علىّ من حرج ؟

فاطمة : (**ممازحة**) لا حرج إن شاء الله بعدما نالتك عقوبتك .

حفصة : عقوبة والله ما أحسنَها .. أنالتها من ثواب الله ما لم تكن لتنال .

أسماء : ليتها عقوبة واحدة .. إذن لهانت .. ولكنها عقوبتان والثانية أدهى وأمر .

عمر : يريد أن يجمعك فى بيت واحد مع امرأته الحَنَفِيَّةِ ؟

أسماء : أجل يريد أن يُنزلها عندى فى البيت .

عمر : لِيُخْلِيَ بيتها للاجئين من المسلمين .

أسماء : لكن كيف عرفت يا أمير المؤمنين ؟ إن أم كلثوم لم تعلم بذلك بعد .

أم كلثوم : لكى تعلمى يا خالة أن غيرى هو الذى حدث أمير المؤمنين .

أسماء : إذن فهو أبوك ليس من أحد سواه .

(يتضاحكن) .

عمر : ويحكن لقد شَغَلْتُنَّنى عما جئت من أجله .

حفصة : ماذا تريد يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أريد أن أرى كيف تعملن فى مطبخ المسلمين .

أسماء : تخشى ألا نحسِنَ الطبخ والعجن والخبْزَ ؟

عمر : من يدرى ؟

(يتوجه ويتوجهن جميعا إلى داخل المطبخ) .

أسماء : يا هنتاه !

(ستـــار)

المشهد الرابع

فى بيت عبيد الله بن عمر بن الخطاب حيث نزل به عبد الرحمن أخوه وأولاده ليخلى بيته للاجئين من المسلمين بأمر عمر .

فناء البيت حيث يقع المطبخ والتُّور .

ترى بحرية واقفة بقرب التور وهى تحمل طفلا صغيرا يبكى فتعلله بثديها ليسكت .

وعلى مقربة منها يرى عبيد الله وهو يسلخ شاة قد ذبحها .

عبيد الله : ألا يسكت هذا الطفل ؟

بحرية : هأنذا أرضعه لعله يسكت .

عبيد الله : كان ينبغى أن يكون قد شبع فسكت فنام .

بحرية : ذاك يا عبيد الله لو وجد اللبن . ويحه إنما أعلله بثديى تعليلا .

عبيد الله : كيف ترين التنور الساعة ؟

بحرية : انتظر قليلا يا عبيد الله حتى يحمى .

عبيد الله : ألا تحرّكينه وتلقين فيه مزيدا من الحطب ؟

بحرية : والطفل على ثديى ؟

عبيد الله : تَباً لهذا الطفل !

بحرية : ويلك أتذبح شاته وتسبه ؟

عبيد الله : أريد أن أفرغ من شيّ اللحم قبل أن يحضر الآخرون .

بحرية : لا تخف . أما عبد الرحمن أخوك فقد أرسله أمير المؤمنين إلى الربذة فلن يعود اليوم . وأما امرأته فاليوم نوبتها فى مطبخ دار الضيافة .

عبيد الله : أخاف من الأولاد يا بحرية أولادنا وأولاد عبد الرحمن .

بحرية : هؤلاء ذهبوا إلى بيت عَمتهم ولن يعودا إلا بعد الغداء .

عبيد الله : صدقت .. لكنى أخشى بعد أن يطرق الباب علينا طارق .

بحرية : ويحك شَدّ ما صرت بخيلا يا عبيد الله وقد كنت قبل اليوم كريما .

عبيد الله : شهد الله يا بحرية ما بى من بخل ولكنى أخشى أن يبلغ أبى أنى ذبحت شاة فشويتها وأكلتها والمسلمون فى هذا المَحْل .

بحرية : أتخشى إن أطعمتهم من شاتك أن يخبروا أمير المؤمنين بذلك ؟

عبيد الله : نعم إنى لا آمن أن يُفْشِيَ أحدهم السرَّ .

بحرية : فأنت أحرى أن تخشاهم على سرك إن لم تطعمهم من شاتك .

عبيد الله : ويلك إنا لن نَدَعَ أحدا يدرى بشىء .

بحرية : وإن سألونا عن الشاة ؟

عبيد الله : نقول لهم ضاعت أو بِعناها أوْ تصدقنا بها .. هذا الطفل أراه قد نام يا بحرية .

بحرية : أجل نام المسكين .

(تتوجه نحو الداخل) .

عبيد الله : إلى أين ؟

بحرية : سأضعه فى فراشه وأعود .

(تخرج ثم تعود فى الحال) .

عبيد الله : انظرى الآن كيف ترين الرّضف فى التنور ؟

بحرية : **(تحرك النار فى التنور)** الآن يا عبيد الله حين حَمِى الرضف فهات لحمك .

عبيد الله : **(يناولها قطع اللحم فتلقيها هى داخل التنور)** لله ما أشهى رائحة الشواء وما أشد قَرَمى إليه .

بحرية : لو تركت الشاة لطفلك الرضيع لكان خيرا لك .

عبيد الله : ماذا يصنع بها وقد جفَّ منها الدَّرُّ ؟ أيأكلها ؟

بحرية : لعل دَرَّها يوما أن يعود .

عبيد الله : متى ؟ حين يَحْيى الناس ؟ إذن نبتاع له شاة أخرى أحسن منها وأحفل بالدّرّ .

(يُسمع قرع على باب البيت)

بحرية : وَىْ !. من يا تُرى الطارق ؟

عبيد الله : هذا ما كنت أخشاه . **(يمسح يديه من أثر اللحم)** غطى هذا التنور يا بحرية .

(يخرج منطلقا ليفتح الباب)

(تغطى بحرية التنور ثم تنصت لتعرف من القادم) .

عبيد الله : **(يعود ممتقع الوجه)** لا حول ولا قوة إلا بالله .

بحرية : مَن ؟

عبيد الله : أمير المؤمنين وناس معه .

بحرية : يريد أن يتشاور معهم فى أمر ؟

عبيد الله : لا أدرى لم يجد إلا بيت ابنه عبيد الله لشَقْوته .. غطيت التنور يا بحرية ؟

بحرية : نعم غطيته وأحكمت الغطاء .

عبيد الله : أترين قتار اللحم يصل إلى أنوفهم هناك ؟

(يتناول ثوبا فيلقيه فى التنور) .

بحرية : ما يدرينى يا عبيد الله ؟ أنت كنت هناك .

عبيد الله : والله ما عدت أميز شيئا يا بحرية . ما عدت أسمع ولا أبصر ولا أشم .

بحرية : قلت لك اترك الشاة للرضيع .

عبيد الله : (**نافد الصبر**) الرضيع .. الرضيع .. الخطب ليس خطب الرضيع .. الخطب خطب جدِّ الرضيع !

(يدخل أسلم فيحاولان أن يخفيا ما أصابهما من الروع) .

أسلم : ما خطب جد الرضيع يا عبيد الله ؟

عبيد الله : لا شأن لك أنت يا أسلم ؟

أسلم : يا عبيد الله بن عمر .. يا ويلك من أبيك !

بحرية : هل علم أمير المؤمنين يا أسلم ؟

أسلم : شم رائحة الشواء .. ماذا وضعتما فى التنور .

بحرية : نعجة كانت لابننا الرضيع .

أسلم : ألم تعلمى أن أمير المؤمنين قد حرم اللحم والسمن على نفسه وعلى أهل بيته حتى يَحيَى الناس ؟

عبيد الله : لا ذنب لها هى يا أسلم .. الذنب ذنبى .. أنا الذى قرمت إلى اللحم فذبحتها فاَستُرنى يا أسلم سترك الله .

أسلم : أتريد منى أن أكذب أمير المؤمنين ..؟ لقد عرف حين أرسلنى أنى لن أكذبه .

عبيد الله : ماذا يصنع هؤلاء الناس عنده؟

أسلم : هؤلاء أهل الشورى .. ألم تَرَهُم؟

عبيد الله : رأيت شخوصهم ولكننى لم أتحقق منهم .

أسلم : هؤلاء على وطلحة والزبير وابن عوف والعباس بن عبد المطلب ومعهم رسول من البصرة من عند المغيرة بن شعبة يحدثهم عن طاعون انتشر فيها وذهب بمئات المسلمين .

بحرية : لا حول ولا قوة إلا بالله . مجاعة هنا فى جزيرة العرب وطاعون هناك فى العراق .

عبيد الله : ومحنة كبيرة فى بيت عبيد الله بن عمر !.. يا ويلتا قد هَلَكْتُ .

أسلم : أنا أعرف يا عبيد الله كيف أفثأ غضب أمير المؤمنين .

عبيد الله : كيف يا أسلم ..

بحرية : افعل يا أسلم سترك الله .

أسلم : أليست هذه النعجة قد استوت .

بحرية : بلى قد استوت قبل أن أطفئ النار فى التنور .

أسلم : فسأحملها إلى أمير المؤمنين وأضعها بين يديه وأقول له : إن آل عبيد الله بن عمر كانت عندهم هذه النعجة لطفلهم الرضيع فجف درُّها فذبحوها وشووها فى التنور ليقدموها لأمير المؤمنين فيضعها حيث أحب .

عبيد الله : ولا نذوق منها شيئا يا أسلم .

أسلم : ويحك أتظن أمير المؤمنين لا يدرك إن كانت النعجة كاملة أو ناقصة ..

عبيد الله : لكن بى قَرَما شديدا يا أسلم .. فإنى لم أذق اللحم منذ شهور .

أسلم : إن كنت لا ترضى بما اقترحت فافعل ما بدا لك (**يهم بالانصراف**) .

عبيد الله : (**يستوقفه**) رويدك يا أسلم .. احملها إليه .. احملها كلها إليه فقل له يتصدق بها على من يشاء .. على من قَرِم ومن لم يقرم .

(يرفع عبيد الله الثوب والغطاء عن التنور ثم تخرج بحرية قطع اللحم وتضعها فى قفَّة ويحملها أسلم فيخرج بها)

بحرية : واحسرتاه .. ماذا صنعت يا عبيد الله إلا أن حرمت ابنك الرضيع .

عبيد الله : (**يقلد صوت أبيه**) دَعيه يكن مثل غيره من أطفال المسلمين . أكلُّ أطفال المسلمين عندهم نعاج تدر اللبن .

بحرية : ويلك لو سمعك أبوك تقول هذا .

(يدخل عمر فجأة)

عمر : قد سمعت يا بنت هانئ !

بحرية : يا أمير المؤمنين اعذرنى من عبيد الله .

عمر : لا تُراعى .. قد علمت أنه هو الذى فعلها على غير رغبتك . تكلم يا عبيد الله ادل بحجتك .

عبيد الله : (**يرتجف من الخوف**) ألم يخبرك أسلم يا أمير المؤمنين بجلية الأمر .

عمر : إنى أعرف أفتأ أغضب أمير المؤمنين .. سأقول له إن ابنك ذبحها وشواها فى التنور ليقدمها لك فتوزعها على من تحب ..

عبيد الله : ويل لأسلم .. أوَقد اعترف لك يا أمير المؤمنين بذلك .

عمر : بل أراد أن يخدعنى عنك فعرفت .

عبيد الله : يا أبت قول الحقِّ أحقُّ .. إنى قَرِمت إلى اللحم فلم أطِق صبرا فإنى لم أذقه منذ شهور ..

عمر : ويلك يا أبا بَطِنه .. المسلمون هنا فى مجاعة وإخواننا فى البصرة يحصدهم الطاعون حصداً وأنت لاهَمّ لك إلا بطنك .

عبيد الله : يا أمير المؤمنين ألا تريد أن توزع النعجة على من تحب ؟

عمر : بلى قد أرسلتها مع أسلم إلى عيالات فى بنى سَلَمة .

عبيد الله : فهل بقى على ابنك عبيد الله جناح ؟

عمر : (**ينظر إليه كأنه رضى عنه**) لا .. لا جناح عليك يابنى .. غدا يرفع الله المَحْلَ فتأكل ما تشتهيه نفسك .

بحرية : إن الذى ظُلم يا أمير المؤمنين هو طفلنا الرضيع .

عمر : ويحك يا عصّادة .. أرضعيه من لبنك أنت .. أكل أطفال المسلمين لديهم نعاج تدر عليهم ؟ شغلتمونى عن أصحابى .

(**يخرج مسرعا**) .

(**يسمع صياح الطفل من الداخل**)

بحرية : صاح الطفل .

عبيد الله : (**يضحك**) الحقيه .. سمع ما قاله جده فبكى .

(**ستــار**)

المشهد الخامس

فى بيت عاتكة بنت زيد وقد عادت إليه بعد أن تركه من نزل به من اللاجئن على أثر نزول المطر .
ترى عاتكة وعندها سعيد بن زيد وفاطمة بنت الخطاب .

سعيد : أخرجينى يا عاتكة من هذا الأمر فلا شأن لى به .

عاتكة : أنت أيضا تخاف منه .

سعيد : إنى أعلم أن هذا سيغضبه .

فاطمة : أجل يا عاتكة وإن غضبَه شىء عظيم .

عاتكة : ذاك لو فعلتُها أنا وحدى أما إذا رآكما معى ورأى حفصة أم المؤمنين تؤيدينى فسيفتل طرف شاربه وينفخ قليلا ثم يسكت .

فاطمة : وأين حفصة أم المؤمنين ؟ إنها لم تحضر .

عاتكة : قد أرسلت لها وهى آتية عما قليل ..

سعيد : لو كنا نعلم أنك ما دعوتنا إلا لهذا لما جئنا إليك .

عاتكة : ويحكما ألا تحبان أن يجتمع شملنا نحن بنى نُفيل اليوم ؟

سعيد : دون ما حاجة إلى هذه العُكّة من السمن وهذا الوَطب من اللبن ..

عاتكة : سبحان الله .. وأى بأس فى ذلك وقد رفع الله المحْلَ وأحيا الناس .؟

فاطمة : صه ها هو ذا عمر قد أقبل ومعه ضيف.

سعيد : هذا أبو عبيدة..

عاتكة : (**عجبا**) لقد خرج من عندى ليزور أبا عبيدة..

فاطمة : لعله لقيه فى الطريق (**تنسحب فاطمة وعاتكة**).

عمر : (**يدخل**) ادخل يا أبا عبيدة.. هذا صاحبك سعيد بن زيد.

(**ينسحب إلى الداخل**).

أبو عبيدة : (**يدخل**) السلام عليك يا سعيد بن زيد.

سعيد : وعليك السلام ورحمة الله.. مرحبا بك يا أبا عبيدة فكيف كانت رحلتك إلى نجد؟

أبو عبيدة : كانت شاقة جاهدة يا ابن زيد.. لقد رأيت أهلها كالنسور العجاف تخرج من وكورها،وكنت أصلى فى اليوم الواحد على المائة والمائتين، وإن أحدهم ليسمع بى فلا يصبر حتى أقصده فيقصدنى فيموت فى الطريق قبل أن يصل إلىَّ، فالحمد لله إذ كشف الغُمة وأزاح البلاء.

(**يعود عمر**).

عمر : مرحبا بك يا أبا عبيدة.. والله لقد ذكرتك البارحة فى آخر الليل.

أسلم : (**يدخل**) يزيد بن أخت النمر يا أمير المؤمنين. ومعه شيخ من الأعراب..

عمر : ائذن لهما..

(**يخرج أسلم ثم يدخل يزيد والشيخ الأعرابى**)

يزيد : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله .. من هذا الذى جئت به معك ؟

يزيد : هذا الشيخ من محارب يا أمير المؤمنين لم يشأ أن يرْتحل بقومه إلى ديارهم بالبادية ؟

عمر : ويلك ماذا تنتظر هنا يا شيخ بعدما أنزل الله الغيث ؟

مَنْ يسكن ديارکم إن لم تسكنوها

ومن يعمر أرضكم إن لم تعمروها ؟

ويلكم ألم تعلموا أنى أمرت كل لاجئ أن يعود إلى بلده ؟

ويلكم كيف بقيتم إلى اليوم بالمدينة ؟

الشيخ : يا أمير المؤمنين ما كان عندنا ظهر .

يزيد : كلا يا أمير المؤمنين قد عرضنا عليهم الإبل فأبوا أن يقبلوها وآثروا أن يبقوا فى المدينة .

عمر : اذهب فأنذر قومك يا شيخ لئن بقى أحد منهم بالمدينة بعد غد فلا يلومن إلا نفسه .

الشيخ : يا أمير المؤمنين دون أن تعطينا الحُمْلان ؟

عمر : بلى سيعطيكم يزيد الحملان .

الشيخ : والقوت يا أمير المؤمنين ؟

عمر : والقوت كذلك يا أخا محارب .. أعطهم يا يزيد ما يصلحهم ريثما ينمو الكلأ ويُخصب المرعى .

يزيد : هلم يا شيخ .

(يخرج هو والشيخ)

عمر : ماذا كنت أقول لك يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : كنت تقول يا أمير المؤمنين إنك ذكرتنى البارحة فى آخر الليل .

عمر : أجل .. لقد ذكرتك البارحة فى آخر الليل فهممت والله أن أقوم من فراشى وأنطلق إليك ..

أبو عبيدة : خيرا يا أمير المؤمنين إن شاء الله ، هل من حاجة ؟

عمر : لا يا أبا عبيدة وإنما هو الشوق إليك والتملّى منك قبل أن تفارقنا إلى الشام ..

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ما هذا الذى بعثت به أمس مع غلامك ؟

عمر : أربعة آلاف درهم جزاء ما عملت للمسلمين يا أبا عبيدة وإنها لقليل .

أبو عبيدة : لو أخبرنى الغلام بذلك لرددته بها إليك فأرسله يا أمير المؤمنين ليأخذها .

عمر : إنها حقك يا أبا عبيدة ..

أبو عبيدة : كلا يا ابن الخطاب .. إنى إنما أردت بذلك وجه الله لمن آخذ عليه أجراً .

عمر : يا عامر لو علمت أنك تستشرف لها أعطيتك .. أليس لنا فى رسول الله أسوة حسنة ؟

أبو عبيدة : بلى يا عمر .

عمر : فقد أعطانى أشياء بعثنى لها فكرهت ذلك وأردت أن أرده فأبى علىّ . فاقبل أيها الرجل واستعن بها على دينك ودنياك .. والحمد لله قد جاء الله بالفرج وأحيا الناس وكنت يا أبا عبيدة أول من أنجدنا من الشام .

أبو عبيدة : إنى جئت اليوم يا أمير المؤمنين لأستأذنك فى العودة إلى أهلى فقد طال غيابى عنهم .

عمر : إنى لا أريد أن أحتجزك عن أهلك ولكن إذا انتظرت قليلا فإنى عازم على المسير معك لأتفقد أحوال الشام ثم إن شاء الله أتفقد أحوال العراق .

أبو عبيدة : أحقا يا أمير المؤمنين ؟ إذن أقيم وأنتظر حتى أرافقك فى الطريق .

(**ينهض لينصرف**) .

عمر : إلى أين يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : إيذن لى .

سعيد : لِمَ لا تبقى يا أبا عبيدة فتتغدى مع أمير المؤمنين اليوم ؟

أبو عبيدة : يوما آخر يا سعيد .

سعيد : عندنا اليوم طعام طيب يا أبا عبيدة لم تذقه منذ دهر . علمت بذلك من عاتكة أختى قبل أن يعلم أمير المؤمنين .

أبو عبيدة : هنيئا لكم مريئا فإنى أنا اليوم صائم .

عمر : مصاحَبا يا أبا عبيدة .. (**يخرج أبو عبيدة**) تُرَى ما الطعام الطيب الذى تشير إليه يا سعيد ؟

سعيد : كلا لا أخبرك به يا عمر حتى تحضر حفصة أم المؤمنين !

عاتكة : (**صوتها**) قد حضرت أم المؤمنين يا سعيد ..

(**تدخل وخلفها حفصة وفاطمة**) .

سعيد : هلمى يا أم المؤمنين .. هذا مقام العائِذ بك .

عمر : مِمَّ يا سعيد ويحك ؟

فاطمة : من غضبك يا عمر .

عمر : ويلكم ماذا تكتمون عنى ؟

حفصة : أنا أجيبك يا أمير المؤمنين .. إنك حلفت لا تذوق لحما ولا سمنا ولا لبنا حتى يَحْيى الناس ..

عمر : أجل .

حفصة : وإن الله قد أبَرَّ يمينك وأجزل ثوابك إذ رفع الجدب وأنزل الخصب .

عمر : الحمد لله على ما أنعم .

حفصة : وقد قدم السوق اليوم وطْبٌ من لبن وعكّة من سمن فرأت عاتكة أن تبتاعهما لك وأن تدعونا لنشهد الغداء معك فهل ترى يا أبت فى ذلك من بأس ؟

عمر : لا بأس يا بُنية أن يجتمع شملنا اليوم على الغداء فذلك مما يَسُرُّ أباك ، ولكن فى نفسى شيئا من وطب اللبن وعكة السمن فليت شعرى أكُلُّ الناس يجدون مثل هذا فى السوق اليوم ؟ من الذى ابتاعهما لك يا عاتكة ؟

عاتكة : يسار يا أمير المؤمنين .

عمر : لعل الناس قالوا هذا غلام أمير المؤمنين فلندع له السمن واللبن .

عاتكة : كلا يا أمير المؤمنين لقد ابتاعهما بثمن غال .

عمر : أين هو الساعة ؟

عاتكة : (**تنادى**) يسار .. أجب أمير المؤمنين يا يسار .

يسار : (**يدخل**) لبيك يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف ابتعت عكة السمن ووطب اللبن يا يسار ؟

يسار : من أعرابى من وادى القُرى دخل بهما السوق اليوم يا أمير المؤمنين .

عمر : بكم ابتعتهما يا يسار ؟

يسار : بأربعين درهما يا أمير المؤمنين .

عمر : لقد أغليت بهما كثيرا يا يسار .

يسار : كلا يا أمير المؤمنين هذا ثمنهما وإنه لرخيص .. لو شئت لبعتهما الآن بضعف هذا الثمن .

عمر : الآن حَصْحَصَ الحق .. لا والله لا يكون بيت عمر أول بيت يذوق السمن واللبن فى المدينة . ولا والله لا يأكل آل عمر إسرافا وعمر على الناس .. اذهب بهما يا يسار فوزعهما على بيوت بنى النجار فإن النبى ﷺ كان يحبهم .

عاتكة : أفلا تكره لبنى النجار يا أمير المؤمنين أن يأكلوا إسرافاً ؟

عمر : ويحك يا عاتكة ليس فى الصدقة إسراف .. إقرأى إن شئت قوله تعالى ﴿ لن تنالوا البِرَّ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

(ستـــار)

المشهد السادس

فى بعض الطريق بين المدينة والشام.
يرى خباب بن الأرتّ وصهيب بن سنان

خَبَّابُ : صهيبُ بن سِنَان.

صُهَيْب : خَبَّابُ بن الأرتّ.. ما وقوفك هنا؟

خَبَّابُ : أنتظر جمل أمير المؤمنين..

صُهَيْب : أترى أمير المؤمنين يُنيخُ فى هذا الموضع؟

خَبَّابُ : نعم.. سألت أبا طلحة الأنصارى آنفا فعين لى هذا الموضع لنزول أمير المؤمنين.

صُهَيْب : إذن أنتظر هنا معك.

خَبَّابُ : ضاع منك شيء؟

صُهَيْب : نعم ضاعت نَعْلى.

خَبَّابُ : لا خوف عليها فسيجدها لك أمير المؤمنين لا محالة إلا إذا سقطت من رجلك أثناء المسير..

صُهَيْب : كلا أنا موقن أنى تركتها حيث أنخنا البارحة.. وأنت يا خباب ماذا أضعت؟

خَبَّابُ : خاتمى يا صهيب.

صُهَيْب : خاتمك؟ وتطمع أن يجده لك أمير المؤمنين؟

خَبَّابُ : إن شاء الله .. لقد أضعته أول من أمس فى مَبْرَكِنا بتيماء فوجده أمير المؤمنين وردَّه لى غلامه أسلم .

صُهَيْب : سبحان الله وما الذى جعلك تخلع الخاتم من أصبعك ؟

خَبَّابُ : التيمم يا صهيب ..

صُهَيْب : كان بحسبك أن تحركه فى أصبعك .

خَبَّابُ : لقد وضعته أمامى على الرَّمل وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره .

صُهَيْب : انظر .. هذان رجلان قد أقبلا إلينا .

خَبَّابُ : أبو سفيان بن حرب .. وصفوان بن أمية ..

صُهَيْب : سبحان الله !

خَبَّابُ : أجل سبحان الله الذى جمعهما اليوم فى سبيل الله .

(يظهر أبو سفيان وصفوان بن أمية فى الجانب الآخر من المسرح دون أن يلتفتا إلى صهيب وخباب) .

صُهَيْب : ما لهما لا يسلّمان علينا ؟ أستكبارا علينا بعد ؟

خَبَّابُ : هيهات يا صهيب . بل استصغارا لقدرهما عن ذلك .

صُهَيْب : الحمد لله الذى أذل سادات قريش وأعز المستضعفين .

خَبَّابُ : انظر .. ذاك جمل أمير المؤمنين قد ظهر من خلف التل .

صُهَيْب : يا لله قد بدا مثل المِشْجَب مما عليه من المتاع .

خَبَّابُ : أفّ للناس من بعده يا صهيب .

صُهَيْب : صدقت يا خباب .. لن يجىء مثل عمر أبدا .. انظر .. إنه أناخ راحلته هناك .

خَبَّابُ : لعل أبا طلحة بدا له فاختار ذلك المكان .

أبو سفيان : هلم يا صفوان نمض إليه فنسلم عليه .

(يخرج هو وصفوان) .

صُهَيْب : هلم نتوجه نحن إليه ..

خَبَّابُ : على رسلك .. هو ذا قد رآنا فأقبل !

عمر : (**صوته**) السلام عليكما يا صاحبى رسول الله .

صُهَيْب : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله .

(يدخل عمر وأبو عبيدة وأبو طلحة الأنصارى وأسلم وكل واحد منهم يحمل شيئا مما كان على الجملَ ثم يدخل خلفهم أبو سفيان وصفوان) .

أبو طلحة : هنا ننزل يا أمير المؤمنين .

عمر : هذا الموضع الذى اخترته يا أبا طلحة ؟

أبو طلحة : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : عمر وآل عمر فى طاعة أبى طلحة .

(يأخذ عمر فى تسوية الأرض حوله وإماطة ما عليها من الأذى فلا يَسَع الآخرين إلا أن يصنعوا مثله ولكنه يتفوق عليهم جميعا فى النشاط والحركة) .

عمر : اذهب يا أسلم فناد فى الناس من سقط له متاع فليأت ليأخذه من أمير المؤمنين .

أسلم : سمعا يا أمير المؤمنين .

(يخرج) .

عمر : (**يفرش رداء على الأرض**) اجلسوا إن شئتم .

خَبَّابُ : لن نجلس يا أمير المؤمنين إنما جئنا لِما سقط من متاعنا .

عمر : أنتم أيضا من الذين يُضَيّعون ولا يحفظون ؟

أبو سفيان : ونحن أيضا يا أمير المؤمنين .

عمر : هيه تُرى ماذا أضعتم ؟

أبو سفيان : (**يتقدم نحو عمر**) أنا أضعت إداوتى يا أمير المؤمنين .

صفوان : وأنا قَوسى يا أمير المؤمنين.

(**يتقدم نحو عمر**) .

عمر : على رسلكما لا تتقدما على من قدمه الله عليكما .

أبو سفيان : إن أصحابى ينتظروننى هناك يا أمير المؤمنين .

عمر : (**فى حدة**) ويلك أتؤخِّر أصحاب رسول الله من أجل أصحابك ؟ هذا خَباب بن الأرتّ الذى عذّبْتُموه فى الله فصبر وشكر ، وهذا صهيب الذى ترك لكم كل ما له بمكة لتخلوا بينه وبين الهجرة إلى الله فأنزل الله فيه ﴿ ومن الناس من يَشْرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ﴾ .

صفوان : لا بأس .. قدِّمْهُما علينا يا أمير المؤمنين إن شئت .

عمر : تلك مشيئة الله يا صفوان بن أمية لا مشيئة عُمر .. ما على الأرض اليوم أحد أحق بالتقدم من هؤلاء الأربعة : خباب وصهيب وبلال وعمار بن ياسر .. وما أحد على الأرض أحق أن يتواضع لهؤلاء ويتحبَّب إليهم منكما ومن أشباهكما من مسلِمَة الفتح .

خباب : حسبك يا أمير المؤمنين فقد أكرمهم الله بالإسلام .

عمر : هيهات ليس من أكرمه الله بالإسلام كمن أقام به الإسلام . هاتِ ماذا فقدت يا خباب ؟

خَبَّابُ : فقدت خاتَمى يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يخلع خاتما من إصبعه**) أهذا هو ؟

خَبَّابُ : أجل يا أمير المؤمنين ..

عمر : أذكر أنى التقطته قبل ذلك ؟

خَبَّابُ : نعم يا أمير المؤمنين .. سقط منى أول من أمس فرده لى أسلم .

عمر : حذار أن تُسقطه مرة أخرى فإنى لن أرده عليك .

خَبَّابُ : فماذا أنت صانع به يا أمير المؤمنين .؟

عمر : لأجعلنه صدقة .

خَبَّابُ : إذن تحفظه لى يا أمير المؤمنين عند ربى فلا يضيع أبدا .

عمر : وأنت يا أبا يحيى ماذا سقط منك ؟

صهيب : إحدى نَعْلىَّ يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يضحك**) عندك النعل الأخرى .؟

صهيب : نعم .

عمر : أرينى .

صهيب : ها هى ذى (**يبرز النعل**) ما يضحكك يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف كنت تمشى بنعل واحدة ولم تفطن إلى ذلك ؟

صهيب : كلا يا أمير المؤمنين لقد مشيت حافيا حين تركنا المُهرَك فلما حميت الشمس التمست نعلى فوجدت إحداهما ولم أجد الأخرى .

عمر : (**ينظر فى غرارة بين يديه ثم يخرج النعل**) خذ يا أبا يحيى ولا تَعُدْ لمثلها .

أبو عبيدة : هلم الساعة يا أبا سفيان قبل أن يأتى الآخرون .

أبو سفيان : والله لئن قدمهم عليّ كذلك لأتركن له متاعى ولا أسأله عنه .

عمر : إذن والله لا أبالى .. ماذا أضعت يا صفوان بن أمية ؟

صفوان : قَوسى يا أمير المؤمنين .

عمر : قوسك ؟ تخرج للجهاد فى سبيل الله فتغفل عن سلاحك ؟

صفوان : لا أدرى يا أمير المؤمنين كيف غفلت عنها لقد ظننت أنى حملتها فى رحلى .

عمر : كان أحرى بك يا أبا أمية لو نسيت عمامتك أو قلنسوتك .

صفوان : حنانك يا أمير المؤمنين هل وجدتها ؟

عمر : لا ينبغى لمن أضاع سلاحه أن نرده عليه .

صفوان : هبها لى هذه المرة يا أمير المؤمنين ولن أعاود .

عمر : والله لو كانت لغيرك يا صفوان بن أمية ما رددتها له . ولكنك أعرت النبى ﷺ يوم هوازن أدراعك وسلاحك وأنت مُشرك فلا والله لا أنسى لك هذا الفضل أبدا .. خذ يا أبا أمية

(يعطيه قوسه)

أبو عبيدة : لقد أقبل الآخرون يا أبا سفيان .

عمر : ماذا سقط منك يا أبا حنظلة ؟

أبو سفيان : إدَاوَتى يا أمير المؤمنين .

عمر : ويلك هل يغفل الرجل المسلم عن الأَدَاوَة التى يتوضأ منها للصلاة .

أبو سفيان : هذه الأُداوة إنما أشرب فيها يا أمير المؤمنين ولا أتوضأ منها للصلاة .

عمر : فكيف تتوضأ ويلك ؟
أبو سفيان : عندى إداوة أخرى للوضوء يا أمير المؤمنين .
عمر : ما يُدرينى لعل التى حَفِظْتها هى إداوة الشرب .
أبو سفيان : لا والله يا أمير المؤمنين .

(يدخل نفر من الناس فيقفون حول أمير المؤمنين)

عمر : أنتم جميعا سقط لكم متاع ؟
النفر : نعم يا أمير المؤمنين .
عمر : ويحكم .. ألا يكفى أحدكم نفسه بنفسه ؟ ألا يستحى أحدكم أن يكون كَلًّا على غيره ؟ فكيف إذا واجهتم عدوكم وقد فقد أحدكم سيفه والآخر رمحه والآخر دِرْعه ولبس هذا إحدى نعليه دون الأخرى والتمس ذاك لجام حصانه فلم يجده ؟
خَبَّابُ : أنت الحافظ لنا يا أمير المؤمنين جزاك الله عنا خيرا .
عمر : ويحكم أوَكّل ساعة أبصرُ ما يسقط ؟ أوَكل الليل أكلأ عينى من النوم لئلا يضيع لكم متاع ؟ أوَ ليس لى عمل آخر غير ذلك ؟
أبو سفيان : إداوتى يا أمير المؤمنين .
عمر : ما خطبها ؟
أبو سفيان : لم تردها لى بعد يا أمير المؤمنين .

(ستـــار)

المشهد السابع

فى سرغ على مقربة من تبوك، الوقت أول الليل بعد صلاة العشاء..

يرى عمر جالسا أمام خبائه وعنده يزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة والعباس بن عبد المطلب وعثمان وطلحة وسعيد بن زيد وعبد الله بن عباس وأبو طلحة الأنصارى.

شرحبيل : أجل يا أمير المؤمنين كنا أهل الشام نَرْثِى لأهل الجزيرة من عام الرَّمَادَة فإذا نحن نُنْكَبُ بطاعون عَمَواس.

عمر : (**يدعو مبتهلا**) اللهم كما رفعت عنا المحْل فارفع عنا هذا الداء.. اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يَدَىْ عمر.

يزيد : لقد أحسنت يا أمير المؤمنين إذ عزمت على العودة بالناس إلى المدينة.

طلحة : لعلك يا يزيد قد خشيت على الشيخ أبى سفيان.

يزيد : لا والله يا أبا محمد.. ما أبو سفيان إلى مَنْ مع أمير المؤمنين من أصْحَاب رسول الله وبقية الناس؟ مَنْ للإسلام بعد هؤلاء؟

طلحة : ويلك يا ابن أبى سفيان إن للإسلام رَبّاً يحميه.

سعيد : وإن الذى أرسل هذا الداء لقادر أن يحمى منه عباده الصالحين.

عمر : على رسلكما .. ولله لقد ذَكَّرتُمَانى بقولكما هذا ما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ .. إن من حماية الله للإسلام أن نُجنب المسلمين هذا الموتان العَمَم .

شرحبيل : والله لقد وصفته أصدق وصف يا أمير المؤمنين إذ جعلته كالموتان الذى يفشو فى الماشية فلا يبقى منها ولا يذَرُ .

عمر : ليت شِعرى ما فعل الله بأبى عبيدة ؟

يزيد : لعله الآن فى طريقه إلينا يا أمير المؤمنين .

عمر : لست أدرى كيف لم تُصَادِفَاه فى الطريق .

يزيد : لا بد أنه سَلَكَ طريقا غير الطريق الذى جئنا منه .

شرحبيل : متى فَصَل من عندك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : اليوم عند الفجر .

شرحبيل : من المرحلة التى قبل سَرغ ؟

عمر : نعم .

شرحبيل : فلن يتجاوز تبوك الليلة إلا قليلا .. وسيلحقه رسولك يا أمير المؤمنين إن شاء الله .

يزيد : ما كان ينبغى لأبى عبيدة أن يتركَك يا أمير المؤمنين إلا بعد أن نستقبلك من الشام .

عمر : أنا الذى أشرت عليه بذلك . رحمته إذ طال غيابه عن أهله فقلت له اسبقنا إلى أهلك بحِمص فاقْضِ بينهم أياما ثم موعدنا الجابية .

أبو طلحة : (**يدخل**) أبشر يا أمير المؤمنين .. فقد رجع رسولك ومعه أبو عبيدة .

عمر : اللهم لك الحمد .. الآن اطمأن قلبى .

(**يدخل أبو عبيدة**)

أبو عبيدة : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يقوم له فيعانقه**) وعليك السلام ورحمة الله بأبى أنت وأمى أين أدَرَكَك الرسول يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : على مَرْحَلَة بعد تبوك يا أمير المؤمنين .

عمر : الحمد لله .

أبو عبيدة : ما هذا الذى بلغنى يا أمير المؤمنين ؟ أحقا أنك اعتزمت النكوص عن الشام ؟

عمر : بل اعتزمت الرجوع بالمسلمين إلى المدينة .

أبو عبيدة : من أجل هذا الدَّاء الذى ظهر بالشام ؟

عمر : نعم .. لا أريد أن أقدمهم عليه ولى مَنْدُوحَة عنه .

أبو عبيدة : أفِرَاراً من قَدَرِ الله يا عمر ؟

عمر : (**يبهت قليلا**) ماذا تقول يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : أقول أفِرَاراً من قَدَرِ الله ؟

عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله ؟

أبو عبيدة : لو غيرك قالها يا ابن الخطاب !. إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ قل لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ .

عمر : وإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهْلكة ﴾ .

أبو عبيدة : إنك لتعلم يا أمير المؤمنين أن الآية إنما نزلت فى تَرْكِ الجهاد والإمساك عن النفقة فيه .

عمر : أجل نهانا الله عن ترك الجهاد لأن ذلك يُفضى إلى التهلكة . فأحرى أن ينهانا عن الإلقاء بأيدينا إلى الهلكة ذاتها .

أبو عبيدة : الشام عندك هَلَكَة ؟

عمر : الطاعون بالشام : والطاعون هَلَكَة .

أبو عبيدة : أين إذاً اليقين بالله يا عمر ؟

عمر : ويحك يا أبا عبيدة من تمام اليقين بالله أن تعرف سُنته فى خَلْقِه ولن تَجِدَ لِسنة الله تبديلا .. هذا الوباء مثله كمثل النار ليس لنا أن نضع أصابعنا فيها ونقول ﴿ قل لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ .

أبو عبيدة : كلا يا عمر إن النارَ تَحْرِقُ لا محالة فأما الوباء فيصيب بعض الناس دون بعض ، وإنما مثله كمثل القِتال فى سبيل الله يتعرض فيه المجاهدون للقتل فمنهم مَنْ يقتل ومنهم من يسلم من القتل .

عمر : كلا يا أبا عبيدة القتال فَرِيضة كتبها الله علينا لننصر الحق على الباطل ، ونُنقذ المستضعفين من ظلم ذَوى الظلم ، ولتكون كلمة الله هى العليا ﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يَشْرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يُقاتل فى سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نُؤتيه أجرا عظيما ﴾ .

أبو عبيدة : أرأيت يا عمر لو فرّ رجل من الزحف أليس يفر من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله ؟

عمر : بلى .

أبو عبيدة : فهل يَحِلُّ له ذلك ؟

عمر : كلا .

أبو عبيدة : فعلام قلت آنفا نَفِر من قدر الله إلى قدر الله ؟

عمر : ويحك يا أبا عبيدة ليس الفِرار من الوباء كالفِرار من الزحف . الفرار من الزحف إثم عظيم لأنه فِرار مما فرضه الله عليك ، وليس لأنه فرار من قَدَرِ الله ، فإن قدر الله لا مفر منه ألبتَّة إلا إلى قَدَره . أما الفِرار من الوباء فمن التقوى التى أمَرَنَا بها الله .

أبو عبيدة : أنّى لك يا أمير المؤمنين أن ذلك من التقوى التى أمرنا بها الله ؟ أعندك بها حُجة من كتاب أو من سُنة ؟

عمر : لا يا أبا عبيدة ما عندى بها حجة من كتاب أو من سنة اللهم إلا الفهم ومعرفة الأشباه والأمثال وقياس الأمور .. ولقد ظَلَلْت منذ الظهر أسأل أصحاب رسول الله من المهاجرين الأولين ثم من الأنصار فلم أجد عندهم شيئا ، واختلفوا فى رأيهم أيَّما اختلاف ، فرجعت إلى مَشيخة قريش من مهاجرة الفتح فوجدتهم على رأى واحد أن ارجعوا إلى المدينة فصَدَعْت به .

أبو عبيدة : لا غرو يا عمر أن يكون هذا رأى مُسلمة الفتح من الطلقاء وأبناء الطلقاء الذين لا هَمَّ لهم إلا الدنيا فكيف بالله تأخذ به ؟

عمر : إن فضل الرأى فى الرأى ذاته وليس فى قَائِله أو صاحبه.. والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنَّى وَجَدَها .

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين إنى لا أرى ذلك من الحكمة فى شىء. ألا تخشى أن يأتى الروم أنك رجعت بمن مَعَك من المسلمين عن الشام خوفا من طاعُونها فتُسول لهم أنفسهم أن يقوموا بحملة جديدة كالحَمْلة الأولى وأشد؟

عمر : كلا لا خوف من ذلك ولقد كتب لى المغيرة بن شعبة أول ما ظهر الطاعون فى البصرة يتخوف من وثوب الفرس بالمسلمين ثم ما لبث أن كتب لى مرة أخرى يقول إنه وجد الفرسِ أشد خوفا من الطاعون منهم من سيوف المسلمين .. وإن الرّومَ يا أبا عبيدة لأخوف وأحصَف من أن يواجهوا سيوف المسلمين والطاعون معا .

العباس : لكنهم سيتربَّصون حتى ينقشع الوباء فيبادرون بالوثوب وقد مات من المسلمين خلقٌ كثير .

عمر : إذن ليجدُننا إن شاء الله حيث يكرهون فلا ينالون منا ما يطلبون .

العباس : ما إخال أبا عبيدة الآن إلا اقتنع برأيك يا أمير المؤمنين .

عمر : أحقا يا أبا عبيدة؟

أبو عبيدة : لا والله يا أمير المؤمنين .. هذا الفِرار من قدر الله إلى قدر الله ما زال فى نفسى شىء منه .

عمر : يا أبا عبيدة كيف بالله أبَيِّن ذلك لك؟ دعْنى أضرب لك مثلا . أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عُدْوتان إحداهما خِصبة والأخرى جَدْبَة ، أليس إن رعيت الخِصبة رَعيتها بقدر الله وإن رعيت الجَدبة رعيتها بقدر الله؟

أبو عبيدة : بلى يا أمير المؤمنين ولكن شأننا مختلف . إنك قد خرجت بنا إلى العُدْوَة الجدبة ابتغاء مرضاة الله وإرادة ما عنده فلا ينبغى أن يصدك عنها مشقة تلقاها أو بلاء عُرض لك .

عمر : يا أبا عبيدة قد شرح الله صدرى لهذا الرأى فلن أعدل عنه أبداً إلا إن جِئْتَنَا ببرهان من كتاب أو سنة .

أبو عبيدة : يا عمر أنت أمير المؤمنين فاصدع بما شرح الله له صدرك فإنى وإن لم أكن على رأيك لسامع لك مطيع .

عمر : جزاك الله خيرا يا أمين هذه الأمة . يا عبد الله بن عباس .

ابن عباس : لبيك يا أمير المؤمنين .

عمر : اخرج فناد فى الناس أننا مُرتحلون غداة غد فليصبحوا جميعا على ظَهْر .

ابن عباس : سمعا يا أمير المؤمنين .

(**يخرج**) .

عمر : انصرفوا إلى رِحَالكم وانتظر أنت يا أبا عبيدة .

(**ينصرف الجميع ما خلا أبا عبيدة**) .

أبو عبيدة : ائذن لى يا أمير المؤمنين أستأنف مسيرى الليلة .

عمر : ماذا تَرَى يا أبا عبيدة لو رجعت معنا إلى المدينة وأرسلنا من يجىء بأهلك وعيالك من حمص ؟

أبو عبيدة : وعَمَلى يا أمير المؤمنين بالشام ؟

عمر : سأعفيك منه وأوليه لغيرك .

أبو عبيدة : أسَخِطت منى شيئا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : مَعَاذَ الله ولكن عَرَضَت لى حاجة إليك بالمدينة .

أبو عبيدة : هل لك يا أمير المؤمنين أن تَذْكُرَها لى ؟

عمر : إنى قد عزمت أن أزور العراق وأطوف بمُدُنِه وأتفقد أحوال الناس هناك فأريد أن أستخلفك على المدينه .

أبو عبيدة : إنك تستخلف علىّ بن أبى طالب فى كل مرَّة .

عمر : أريد أن أستصحب عليّا معى فى هذه الرحلة .

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين لا تداورنى فإنى قد عرفت حاجتك .

عمر : أجبنى إذن إليها يا أبا عبيدة جزاك الله صالحة .

أبو عبيدة : إنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم فلست أريد فراقهم .

عمر : لكننى يا أبا عبيدة لا أريد فراقك .

أبو عبيدة : ويحك يا ابن الخطاب قد علِمْتَ أننا لسنا بمخلدين .

عمر : إنى أخشى أن يأتينى قضاء الله وأنت يا أبا عبيدة غير موجود .

أبو عبيدة : وأنا والله يا أمير المؤمنين لا أرغب أن أبقى بعدك . إن البقاء بعدك لمحنة ما لى بها يَدَان !

عمر : بلى يا أبا عبيدة إنك للجدير بها فأنت أمين هذه الأمة .

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أردت آنفا أن تَفِرَّ من قضاء الله وتريد الآن أيضا أن تسبقه ؟.

عمر : إن أسبق قضاء الله يا أبا عبيدة فإلى قضاء الله .

أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين نشدتك بالله إلا ما حَللّتَنى من عَزمتك وتركتنى فى جُندى فلست أريد فِراقهم حتى يقضى الله فىّ وفيهم أمره وقضاءه .

عمر : كما تحب يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : وتأذن لى أن أسرى الليلة فقد اشتقت إلى عيالى وأهلى ؟

عمر : مصاحبا يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : جزاك الله من أخ صالح . لا تنسنى من صالح دُعائِك يا عمر .

عمر : (**تدمع عيناه**) وأنت يا أخى لا تنسنى كذلك عند ربك .

(**يخرج أبو عبيدة**)

عمر : عند رَبِّكَ أقلت عند ربك ؟ اللهم لا تجعل لسانى يسبق قضاءك . يا ويح أبى عبيدة ! أحقا إنى لن أرى وجهه ولن أسمع صوته إلا يوم يجمعنا الحشر ؟

(**يدخل ابن عباس**)

عمر : ابن عباس ناديت فى الناس ؟

ابن عباس : كما أمرت يا أمير المؤمنين .

عمر : فماذا قالوا ؟

ابن عباس : رضى الكثير يا أمير المؤمنين وتذمر القليل .

أسلم : (**يدخل**) عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين .

عمر : (**فرحا**) ادخل يا أبا محمد .

ابن عوف : (**يدخل**) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله .. أين كنت يا ابن عوف ؟.

ابن عوف : تخلفت يا أمير المؤمنين ببعض الطريق ؛ عرجت على معارف لى من عهد الجاهلية فأخرونى عندهم .

عمر : ألم يبلغك ما حَدَث ؟

ابن عوف : بلى يا أمير المؤمنين وعندى من هَذَا الذى اختلفتم فيه عِلْمٌ .

عمر : عندك منه علم ؟ هات .

ابن عوف : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا سَمِعْتُم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فِرارا منه) .

عمر : الله أكبر .. قد أيَّدَنا الله بالبرهان الواضح .. أدركوا أبا عبيدة ! أرسلوا وراءه من يعود به !

ابن عباس : على رسْلِك يا أمير المؤمنين أتريد أن تحول بينه وبين أهله ؟ ليس له أن يدخل الشام إذا سمع هذا الحديث وليس لأهله أن يخرجوا منها .

عمر : صدقت يا ابن عباس .. لله درُّك يا فتى الكُهول .. لك لسان سؤول وقلب عَقول .. دعوه إذن يمضى إلى أهله . دعوا أبا عبيدة يمضى إلى أهله (**ينشج باكياً**) فقد غاب كثيرا عن أهله .

ابن عوف : أراك تبكى يا أمير المؤمنين أمِن أجل أبى عبيدة ؟

عمر : أجل يا ابن عوف .. لقد أُلقِيَ فى روعى أنه يمضى بالحَرِيِّ إلى أجله !

ابن عوف : يا أمير المؤمنين ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجَّلا ﴾ .

ابن عباس : ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تَدْرِي نفس بأيِّ أرض تموت ﴾ .

عمر : صدق الله العظيم .

(ستـــار)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ إخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ إمبراطورية فى المزاد .

٢١ ـــ الدنيا فوضى .

٢٢ ـــ أوزوريس .

٢٣ ـــ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية .

٢٤ ـــ دار ابن لقمان .

٢٥ ـــ قطط وفيران .

٢٦ ـــ هاروت وماروت .

٢٧ ـــ جلفدان هانم .

٢٨ ـــ الفلاح الفصيح .

٢٩ ـــ حبل الغسيل .

٣٠ ـــ الشيماء (شادية الإسلام) .

٣١ ـــ هكذا لقى الله عمر .

٣٢ ـــ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .

٣٣ ـــ إله إسرائيل .

٣٤ ـــ الزعيم الأوحد .

٣٥ ـــ الدودة والثعبان .

٣٦ ـــ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

حديث الهرمزان

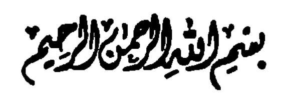
ملحمة عمر

حديث الهرمزان

برهان

علي احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



المشهد الأول

بهو فى قصر أمير همذان حيث نزل الملك يزدجرد بحاشيته .

يرى يزدجرد جالسا على كرسيه ومعه زوجته الملكة حماية وعمته آزرميدخت ووزيره فرخزاد .

حماية : إياك يا مولاى أن تجيبه إلى ما طلب .

آزرميدخت: ما هذا يا حماية؟ إن الهُرْمزان استنصر شَاهِنشاه فعلى شاهنشاه أن ينصره .

حماية : لينتزع العرش غدا من شاهنشاه ؟

يزدجرد : (**يناولها رسالة**) انظرى يا حماية ماذا يقول فى كتابه لى .. إنه يسمِّينى المنقذ الأكبر لأمة الفرس !

حماية : لو كان يؤمن بذلك لَمَا تخلى عنك فى المدائن ، ولكنه إنما يريد أن يستخدمك فى تحقيق مآربه . لا ينبغى أن تنخدع به يا مولاى بعد ما عرفت حقيقته .

يزدجرد : نعم كنت فيما مضى أسيء الظن به ، ولكن تبين لى اليوم أنه أشد الناس شكيمة فى حرب هؤلاء العرب ، وعليه تُعلَّقُ الآمال الكبار فى طردهم من العراق .

حماية : مولاى أى شيء صنع الهرمزان إلا أنه ضيَّع الأهواز ثم ضيع رامَهُرْمُزْ وهو الآن ماض ليضيِّع تُستُر ؟

يزدجرد : كلا لن يقدرَ العرب على تستر . إنها لمدينة منيعة ولأحشرن الناس للدفاع عنها من كل مكان .

حماية : نشدْتُكَ يا مولاى بحق أبنائك وبناتك ألا تُعرض بلاد فارس للضياع . لقد ضاع العراق من أيدينا ولكن بقيت لنا بلاد فارس كلها لم تُمَسّ . وقد علمت أن ملك المسلمين لا يريد أن يتخطى العراق ويتمنى لو أن بين العراق والجبل سداً يحول بيننا وبينهم فليس من الحكمة أن نحْمِلهُ على تغيير هذه السياسة .

يزدجرد : إن صح ذلك عن عمر فإنه أكبر دليل على تَخَوُّفِه منا .

حماية : يخاف منا ونحن مغلوبون فى كل مكان ؟

يزدجرد : نعم . مَثَلُه كمثل المقامر الذى كسب فى البداية يَود لو قام قبل انقضاء أوان اللعب خَشية أن يخسر فى النهاية .

آزرميدخت : بوركت يا ابن أخى ما أبلغ هذا المثلَ .

فرخزاد : معذرة يا مولاى ما أحسب هذا المثل يصْدُق على هذا الرجل ، فإن وقائع الأحوال تدل على أنه رجل يحرص على السِّلْم ما وجد إليها سبيلا ويكره الحرب إلا إذا اضطر إلى الحرب .

يزدجرد : أوَقد غرَّكُم به وقوفه عندما مَلَكَ من البلاد ؟ إنما أراد أن يُريح جنوده من القتال ريثما تثبت أقدامهم فيما ملكوا من أرض العراق ثم يأمُرهم فيزحفون على بلاد فارس .

آزرميدخت : هذه هى الحقيقة يا شاهنشاه .

فرخزاد : مولاى إن الوقائع تشهد أنهم قوم لا يغدرون ولا ينقضون عهودهم ما لم ننقضْها نحن .

يزدجرد : أوَلم ينقضوا عهدهم فى الأهواز ؟

فرخزاد : الهرمزان يا مولاى هو الذى نقض العهد . رأى الطاعون قد حَصَدَ كثيرا من المسلمين فى البصرة فغرَّه ذلك منهم فلم يكَد يرتفع الوباء عنها حتى انطلق بجنوده ليقهرهاموإذا عمر قد سيّر إليها جنوده من كل مكان فبَاءَ الهرمزان بالهزيمة المنكرة وأضاع معها الأهواز .

حماية : مولاى لا تقامر ببلاد فارس فإنها إن ضاعت فقد ضاع كل شيء . أبق عليها خيرا لك . أبق عليها فعسى أن تتغير الأحوال فى المستقبل فيتاح لك استرداد العراق .

(يدخل الحاجب) .

الحاجب : الأمير بُسطام أمير هَمَذان يا مولاى .

يزدجرد : ائذن له (يخرج الحاجب) لعله يريد أن يُكلمنى فى نفس الأمر الذى كلمتك فيه أمس .

فرخزاد : تلَطَّف معه يا مولاى ريثما يأتينا جواب أمير الرَّىّ لنقيم عنده فى بلده .

آزرميدخت : تَبًّا لهم جميعا . ألا يعلمون أنهم عبيدك وأن البلاد بلادك ؟

حماية : صه يا عمة لا يسمعكِ الأمير .

آزرميدخت : أنا لا أبالى .. دعيه يسمعنى .

يزدجرد : صه .

(يدخل بُسطام فيقبل الأرض بين يدى يزدجرد)

بسطام : صباح العافية والسَّعد يا مولاى شاهنشاه .

يزدجرد : جئت يا بسطام لتكلمنا فى الأمر الذى كلّمْت وزيرنا فيه ؟

بسطام : إن أذنت يا مولاى .

يزدجرد : إذن فقد استثقلت مقامنا عندك ؟

بسطام : معاذ الله يا شاهنشاه . بوُدّى لو تقيمون هنا فى هَمَذان على الدّوَام .

يزدجرد : بمُفْرَدى دون أسْرة ولا حَشم ولا حاشية .

بسطام : بل بأسرتك يا مولاى وحشمك وحاشيتك ولكن لا بأس أن تستغنى عن كثير منهم ممّن لا حاجة بِك إليه .

يزدجرد : كلا لا أستطيع أن أستغنى عن أحد منهم .

بسطام : هذه الألوف يا مولاى من الفهادين والمطربين والطبّاخين والفرّاشين والسُّقَاة ماذا تصنع بهم ؟

آزرميدخت : عجبا لك أوَقد نسيت أنك بين يدى مَلكِ الملوك ؟ أتستكثر على شاهنشاه أن يكون فى حاشيته هذا العدد من الناس ؟

بسطام : مولاتى الأميرة .

آزرميدخت : قل مولاتى الملكة فإنى كنت ذات يوم مَلِكَةً على العرش .

بسطام : مولاتى الملكة أنا لا أستكثر على شاهنشاه شيئا ولكن هَمَذان ليست كالمدائن .

آزرميدخت : لا فرق بينها اليوم وبين المدائن . حيثما ينتقل شاهنشاه تنتقل عاصمته .

بسطام : ولكن ثَرْوَةَ المدائن لم تنتقل إلى همذان !

آزرميدخت : ها .. أنت إذن تطمع فى كنوز كِسرى وجواهره ؟

بسطام : كلا لست طامعا فيها ولكن همذان أصبحت أحق من غيرها أن تُودِع فيها هذه الكنوز .

آزرميدخت : سمعت يا ابن أخى ؟ إنه إنما دعاك للإقامة عنده فى همذان ليستولىَ فى النهاية على كنوز كِسرى وجواهره .

بسطام : فرخزاد يا وزير الملك . احمنى من لسان هذه الأميرة .

آزرميدخت : (صائحة فى غضب) الملكة .

بسطام : من لِسَانِ هذه الملكة .

آزرميدخت : أنا سَلِيطَة اللّسَان عندك ؟

بسطام : كلا أنا لم أقل ذلك . فرخزاد ، إنى جئت لمقابلة مولاى شاهنشاه .

آزرميدخت : أفلا ترى مولاك شاهنشاه أمامك ؟

بسطام : لا أريد أن يكلمنى غيره .

آزرميدخت : ها .. تريد أن تضحك على ابن أخى . لكنى لن أدَعَ أحدا يضحك على ابن أخى أبداً ما حَيِيت .

يزدجرد : دعينى أتكلّم يا عمة .

آزرميدخت : بل دعْهم لى يا يزدجرد . إنى أستطيع أن أربّيهم جميعا . هؤلاء قد نَسوا أنهم خدمك وعبيدك فسموا أنفسهم أمراء ثم سَمُّوا أنفسهم ملوكا ونسوا أنك مَلِكُ الملوك .

حماية : (متضايقة من آزرميدخت) اسكتى يا عمة دعى شاهنشاه يتكلم .

آزرميدخت : أنت أيضا يا حماية ؟ خَبِّرينى أكنت تجرؤين أن تقولى مثل هذا القول لبوران ؟

حماية : وأين أنت من بوران ؟

آزرميدخت: أنا أفضل من بوران . أنا لم ألوِّث شرف كسرى مع عبد من عبيده ! أنا قَتَلْتُ العبد لما حاول معى ذلك !

بسطام : ألا تأذن لى يا مولاى وأعود إليك فى وقت آخر ؟

يزدجرد : مع السلامة يا بسطام .

(**يخرج بسطام ويشيعه فرخزاد**) .

آزرميدخت: أرأيت يا ابن أخى كيف خَلصتُك منه ؟

حماية : بل كان مُهَذَّبا . آنس خجل شاهنشاه من بَذَاءَتِك فآثر أن ينصرف .

آزرميدخت: (**ثائرة**) من بذاءتى .

يزدجرد : اسمعى يا عمة إنى قد حرّجت عليك مِرارا أن لا تذكرى عمتى بوران بسوء .

آزرميدخت: ما هذا ؟ أتخافون منها بعدُ وقد ماتت وشَبِعَتْ موتا ؟

يزدجرد : ماتَتْ وهى تدافع عنى بالمدائن ولم تشأ أن تبقى إلى اليوم كَلًّا علىّ .

آزرميدخت: أتريد أن أنتحر مثلها لتستريح منى يا يزدجرد ؟

يزدجرد : بحسبى أن تكُفى لسانك عن الخوض فيما لا يعنيك .

آزرميدخت: كيف لا يَعْنينى أمرك ؟ لقد كنت أدافع عنك .

يزدجرد : أنا لم أطلب منك أن تُدافعى عنى .

آزرميدخت: وهل الدفاع عن ابن أخى يحتاج إلى طلب ؟

يزدجرد : نعم لا تتكلمى أمام الناس عندى إلا بإذنى .

آزرميدخت: وهل كانت بوران تتكلم أمام الناس بإذنك ؟

يزدجرد : رحمة الله على بوران . كانت تُشير فتحسن الرأى وتقول فتحسن الكلام .

آزرميدخت: ما كان هذا رأيك فيها من قبل .

حماية : أنت كنت السبب . أوغرتِ صدورنا بالتهم الكاذبة ثم اتضح لنا أنها كانت أخلص الناس لشاهنشاه .

يزدجرد : أجل كانت جوهرة ما عرفت قيمتها إلا بعد ما فقدتُها .

آزرميدخت: وستعرف قيمتى غدا حين تَفْقِدُنى .

يزدجرد : واشَوْقَاه إذن إلى أن أعرف قيمتك !

آزرميدخت: أتتمنى موتى يا شاهنشاه ؟ لكنى أنا لا أتمنى إلا صحتك وسعادتك . لقد كرهت الناس جميعا ما سواك .

يزدجرد : فاكرهينى أنا أيضا حتى لا يبقى فى قلبك غير الكراهية والحقد .

آزرميدخت: لا أستطيع يا ابن أخى أن أكرهك . أنت حبيبى الوحيد فى هذه الحياة .

(ستـــار)

المشهد الثاني

حصن على أسوار مدينة تسترُ يشرف منه الهرمزان على ميدان القتال الممتد خارج أسوار المدينة.

تُرَى شيرين واقفة مع الهرمزان تتطلع مثله من كُوى الحصن.

الهرمزان : انظرى من هنا.. تلك جيوشهم مِلَء السهْل ومَدَّ البصر.

شيرين : أجل ما رأيت قط للمسلمين جُيوشا اجتمعت فى مكان واحد أكثر من اليوم.

الهرمزان : لقد رمانى عمر بجيوشه من كل صوب ليقهرنى، وفاته أننا فى تستر فلن ينالوا منا شيئا ولو كانوا أضعاف هؤلاء ولو حاصرونا عشر سنين.

شيرين : ألم تعدنى يا هرمزان أنك ستعلن لهم رغبتك فى الهدنة والمصالحة؟

الهرمزان : بلى يا شيرين وأنا عند وعدى ولكن بعد ما أريهم بُطولتى وفروسيتى حتى يرهبوا مكانى فيعطونى شروطا أفضل. لقد قتلت صاحب العمامة الحمراء آنفا.. ذاك الذى قتل منا مائة مبارز فأزلت الوصمة عن جبين فارس. وها هم أولاء قد أبرزوا بعده صاحب العمامة الخضراء ليرهبونا به فإن لم يستطع أحد رجالنا قتله خرجت له بنفسى فقتلته. (**يدخل الحاجب**) هل قتل صاحب العمامة الخضراء؟

الحاجب : كلا يا سيدى ما زال يصول ويجول .

الهرمزان : كم صرع من رجالنا حتى الآن ؟

الحاجب : أكثر من خمسين رجلا .

الهرمزان : فانتظر حتى يبلغ عددهم المائة فأشعرنى حينئذ لأخرج له فأقتله .

الحاجب : سمعا يا سيدى .

(**يخرج**) .

الهرمزان : حريصة أنت على الهدنة والمصالحة ؟

شيرين : من أجل ألا تضيع بلاد فارس يا هرمزان .

الهرمزان : أما أنا فمن أجلك أنت يا شيرين . من أجل هاتين العينين .

شيرين : (**تنهره بشىء من اللطف**) مَه يا هرمزان . أليس أجدر بك أن تقول : من أجل فارس ومن أجل شاهنشاه .

الهرمزان : من أجل شاهنشاه الذى أمرنى بالقبض عليك ؟

شيرين : (**مدهوشة**) أمرك بالقبض علىّ !

الهرمزان : أجل .

شيرين : غير معقول . إن شاهنشاه أرسلنى إليك لأقنعك بالمصالحة .

الهرمزان : خُذى كتابه فاقرأيه بنفسك (**يناولها الكتاب**)

شيرين : (**تتصفح الرسالة**) تبا له من ملكٍ غادر !

الهرمزان : إنك تحرضين أمراء الأقاليم على مصالحة العدو والوفاء بعهده .

شيرين : من أجلكم جميعا .. من أجل أن تبقى لكم بلاد فارس.أفهذا جزائى منكم ؟

الهرمزان : اطمئنى يا أميرتى الحلوة فإنى لن أطيع أمر يزدجرد فيك إن شئت اصطفيتك زوجة وإن شئت اتخذتك خليلة .

شيرين : تبا لك ألا تستحى من نفسك ؟ عندك زوجتك وأولادك .

الهرمزان : لا تخاف من زوجتى فلن تريها بعد اليوم .

شيرين : وأين ذهبت ؟

الهرمزان : رحّلتها اليوم إلى أهلها فى أصفهان .

شيرين : هذا عمل لا يأتيه الرجل المهذب . كان ينبغى عليك وأنا هنا عندك أن تدعوها للحضور إذا كانت غائبة .

الهرمزان : كلا لا أريد أن يكون بينى وبينك رقيب أو عذول .

شيرين : يا هذا اتق الله . ماذا تريد بعد منى ؟ لقد أفسدتَ بينى وبين أخوالى أمراء الأهواز حتى قاطعتهم وقاطعونى ثم أغريتَهم بالانقضاض على العرب حتى حاربهم العرب فاستولوا على مدينة الأهواز وتشرّدَ أخوالى فى البلاد .

الهرمزان : لو تدبرت قليلا يا شيرين لرأيت فى ذلك برهانا على صدق حُبى وإخلاصى لك . لقد كانوا يتهموننى بأنى إنما أردت الزواج بك من أجل أخوالك هؤلاء لأتَقَوى بهم واعتز بجاههم ونفوذهم فها هم أولاء قد ذهبوا وذهب جاههم ونفوذهم وأنا باق على حبى لك ورغبتى فيك .

شيرين : يا هذا ألا تريد أن تفهم أن لى زوجا وأنى بعد فى عصمته ؟

الهرمزان : إن لم تَصلحى لى زوجاً فإنك تصلحين لى خليلة .

شيرين : (**غاضبة**) تبا لكم . بهذا الفسق والفجور أضعتم ملككم .

الهرمزان : يا أميرتى الحلوة أتريدين أن تُفهِمينى أنك منذ هربت من زوجك العربى لم تتصلى بأحد من الرجال قط وأنت تتنقلين وحدك من بلد إلى بلد دون حارس ولا رقيب؟

شيرين : الله على ذلك شهيد.

الهرمزان : من ذا يصدّق ذلك؟ نساؤنا نَحبسهُن ونضع عليهن الحراس والحجاب ولا نضمن عفتهن مع ذلك. وأنت مُطْلَقَة على هواك وتزعمين أنك عَفِيفة؟

شيرين : يا هرمزان إنى امرأة مسلمة .. إنى حرة مسئولة عن نفسى وعن عِرْضِى وعن عَمَلى ولست مثل نسائكم المستعبدات المحبوسات فى الحريم.

الهرمزان : لا تغضبى يا أميرتى الحلوة .. لعلك صادقة فيما تقولين ولعل عفتك هذه هى التى جعلتنى أشتهيك.

شيرين : ملك غادر وقائد فاجر فماذا بقى لفارس؟

الهرمزان : دعى عنك هذا أوَلست أولى بك من ذلك الفتى العربى الذى ملّكته نفسك ثم ضِقت به ذرعاً ففررت منه؟

شيرين : اكفف لسانك عن زوجى فإنه أشرف منك ومن كل مَنْ تعرف، ولولا حُبى لفارس ما تركته لأُكابد الذُّل والهوان فى جِواركم.

الهرمزان : خبرينى واصدقينى يا شيرين أما زلت تُحبين زوجك؟

شيرين : حبّ الأُقْحُوانة لقطرات الطّلّ فى الصباح!

الهرمزان : لا يعقل أن تحبيه هذا الحب وتهربى منه إلا أن تكونى متواطئة معه لتقومى بمهمة للمسلمين فأنت إذن جاسوسة لهم.

شيرين : لا غرو أن تقول هذا لأنك لا تستطيع أن تتصور إنسانا يبلغ من حبه لأمته أن يضحى فى سبيلها بأحب الناس إليه وأعزهم عليه .

(**يدخل الحاجب**) .

الهرمزان : ماذا وراءك ؟

الحاجب : صاحب العمامة الخضراء يا سيدى قد قَتَل نحو مائة مبارز

الهرمزان : أعلن إليهم أن صاحب العمامة الخضراء قد صار الآن أهلًا لمبارزتى وإنى خارج إليه .

الحاجب : سمعا يا سيدى .

(**يخرج**)

الهرمزان : إن أصحابكِ يا شيرين ليحسنون اختيار أبطالهم للمبارزة ولكنى قاتِلُهم واحدا بعد واحد .

شيرين : أتراك تُنجز ما وعدتنى بعد أن تقتل هذا الرجل ؟

الهرمزان : (**يتقلد سيفه وسلاحه**) نعم حينئذ أستطيع أن أنجز وعدى لك (**يومئ بيده وإذا وصائف يُقْبِلن فيقفن حول شيرين**) قُمن على خدمة الأميرة .

(**يخرج**)

(تتطلع شيرين والوصائف من الكُوى ليرين المبارزة) .

شيرين : أحقا يا وصائف أن زوجة القائد قد رَحَلت إلى أهلها بأصفهان ؟

الوصائف : نعم يا مولاتى الأميرة .

شيرين : أهو الذى طَلَبَ منها ذلك ؟

الوصائف : نعم، قال لها إن بقاءها فى تُسْتُر قد صَار خطرا عليها وعلى أولادها .

شيرين : وأين تَبِتْن أنتن بالليل !

الوصائف : (**يتضاحكن**) فى الحجرة السفلى .

شيرين : فهيئن لى مكانا بينكنّ .

الوصائف : أتريدين أن تبيتى عندنا يا مولاتى الأميرة ؟

شيرين : (**فى لهجة جادة**) نعم .

(**يدوى هتاف بحياة الهرمزان من بعيد**) .

الوصائف : (**يهتفن**) سيدنا انتصر .. سيدنا الهرمزان انتصر .

(**يعود الهرمزان مختالا**) .

شيرين : هيّا أنْجِز الآن وعدك أيها القائد .

الهرمزان : ألا تهنئيننى أولا بالنصر ؟

شيرين : هنيئا لك النصر أيها القائد .

الهرمزان : أيها الجوارى أحضرن لنا شيئا من الشراب .

الوصائف : سمعا يا مولاى ..

(**يخرجن مسرعات ثم يعدن بإبريق وأكواب**)

الهرمزان : (**يقدم قدحا لشيرين**) اشربى أيتها الأميرة الحلوة .

شيرين : إنى لا أشرب الخمر يا سيدى القائد .

الهرمزان : نَخْبُ انتصارى يا شيرين .

شيرين : فليحضرن لى أى شراب آخر غير الخمر .

الهرمزان : لا تتم المُنادمة بغير الخمر .

شيرين : إنك تعلم أن دينى يحرّمها .

الهرمزان : دينك ؟ أباقية أنت على دينك ؟

شيرين : حتى أموت .

الهرمزان : من حسن الحظ أن لك دينين يا شيرين دينا يحلها ودينا يحرمها .

شيرين : كلا ليس لى غير دين واحد هو الإسلام .

الهرمزان : تزعمين أنك تحبين أمة الفرس وتدينين بدين العرب ؟

شيرين : الإسلام ليس للعرب وحدهم بل للبشر كافة .

الهرمزان : ألا تحبين أن أنجز وعدى لك .؟

شيرين : بلى يا سيدى القائد .

الهرمزان : فاشربى أولًا هذا القدح .

شيرين : كلا لا أشربه أبداً .

الهرمزان : أنت إذن غير حريصة على الهدنة والمصالحة .

شيرين : بل اتضح لى الآن أنك لم تكنْ صادقا فى وعدك .

الهرمزان : أنت كنت السبب .

شيرين : كلا لو كنت صادقا فى وعدك لما علقته بشرب قدح من الخمر . إئذن لى إذن (**تهم بالخروج**)

الهرمزان : إلى أين؟

شيرين : سأمضى لسبيلى .

الهرمزان : الليل يوشك أن يجىء .. انتظرى حتى يشرق الصباح .

شيرين : الليل أفضل لى من الصباح .

(**يدخل الحاجب مهرولا وهو فى اضطراب عظيم**)

الحاجب : سيدى ! مولاى !

الهرمزان : ما خطبك ؟

المسلمون : (**ترتفع أصواتهم من بعيد**) الله أكبر . الله أكبر .

الهرمزان : ما هذا؟

الحاجب : العرب يا سيدى دخلوا المدينة .

الهرمزان : ويلهم كيف دخلوها؟

الحاجب : من نهر دُجَيْل يا سيدى من مدخل الماء إلى المدينة .

الهرمزان : تباً للخَونة .. هلمى يا شيرين إلى القلعة .

شيرين : دعنى أمضى لسبيلى .. ماذا تريد منى؟

الهرمزان : كلا كلا .. ما يدرينا لعلك كنت أنت الجاسوسة .. سوقوها معكم يا رجال .. إلى القلعة (**يخرج منطلقا**)

شيرين (**يسوقها الرجال بقوة**) دعونى .. دعونى (**يخرجون بها وتخرج الوصائف خلفهم مذعورات**)

أصوات : (**تقترب**) الله أكبر .. الله أكبر ..

(**يدخل المُعنى بن حارثة وأشرس بن عوف الشيبانى والرفيل**)

الرفيل : ليس فى الحصن أحدٌ .

المعنى : ألم تقل لى يا أشرس إنك رأيتها؟

أشرس : بلى رأيتها مع الهرمزان .

المعنى : فى هذا الحصن؟

أشرس : نعم رأيتهما يدخلان هذا الحصْنَ .

المعنى : رأيتهما ولم يرياك ؟

أشرس : بلى رأيَانَا أنا وصاحبى الفارسى فلم يعْرِفَانَا إذ كنا فى زىّ الخدم.

المعنى : شيرين يا أشرس؟

أشرس : نعم.

المعنى : أمُوقِنٌ أنت أنها شيرين؟

أشرس : ويحك يا مُعنى هل يوجد شَيْبَانى لا يعرف شيرين امرأتك؟

الرفيل : (**يشير إلى الإبريق والأقداح**) انظروا هذه آنية الشراب.

المعنى : ويل لهما.. أكانا يتَسَاقَيَان هنا الخمر؟

(**يركل الإبريق والأقداح بقدمه**)

صوت : (**يرتفع من الخارج**) أيها المسلمون!. القلعة!. القلعة! الهرمزان لجأ إلى القلعة.. إلى القلعة أيها المسلمون!

(ستــار)

المشهد الثالث

فى قلعة تستر حيث اعتصم الهرمزان ورجاله .

شيرين : أرنى ماذا فعل جُرْحُك اليوم ؟

الهرمزان : (**يمدُّ إليها يده اليسرى وعليها ضِمَادٌ**) أهذا يا شيرين جزاء من يُحبك ؟

شيرين : هذه المرة طعَنْتُكَ فى يدك فاحذَرْ المرة الأخرى (**تفك الضماد عن الجرح وتطهره ثم تضع عليه المَرْهَم وتعيد رَبْطَه**)

الهرمزان : وفى المرة الأخرى ماذا أنت صانعة ؟

شيرين : لأغْمِدَنَّ الخنجر فى صميم القلب !

الهرمزان : (**ضاحكا بتظرف**) أمّا هذا فقد كان أول جرح أصابنى منك !

شيرين : لا تهزل يا هرمزان فإنى أقول الجدَّ .

الهرمزان : وأنا والله أعنى الجد !

شيرين : إذن فلا تلومَنَّ إلا نفسك .. لقد أقسمت على ذلك برب السماوات والأرضِين الذى بعثَ محمدا بالحق .

الهرمزان : معذرة يا شيرين فقد كنت البارحة مخمورا إذ اقتحَمْتُ عليك الحجرة .

شيرين : إنى قد أنذرتك يا هرمزان وقد أعذر من أنذر .

الهرمزان : شكرا لك يا شيرين إذ أسوْت هذا الجرحَ.
(**يأخذ قوسه وحزمة كبيرة من النشاب**) وأسفاه ما بقى عندنا من النُّشَّاب إلا قليل.
(**يخرج**).
(**تنهض شيرين حتى تقف أمام إحدى الكُوى وإذا هى تضطرب قليلا وتنظر فى اهتمام ولَهَف كأنها ترى شخصا عزيزا عليها**).

شيرين : (**تتنهد**) آه واحسرتاه عليك يا سيدَ الرجال !. لَهَفِى على عينيك لكأنَّهُما تبحثان عن شيرين !

الهرمزان : (**يدخل متسللا من خلفها وبيده القوس**) من هذا الذى تتطلعين إليه ؟ لأخرقَن كبده بهذه النُّشَّابة !

شيرين : (**تجذب القوس من يده**) إن كنت شجاعا فابرز له وجها لوجه.

الهرمزان : أهذا هو زوجك يا شيرين؟ وسَيم حقا ولكنى لا أحسبه يفوقنى فى الوسَامة.

شيرين : ليس الفارس بمنظره يا هرمزان ولكن بمخبره.

الهرمزان : ما أحسبه يَثْبُتُ لى طرفة عين.

شيرين : إن شئت أن تعرف فاخرج إليه وبارزه.

الهرمزان : وأين هو الآنَ؟

شيرين : اطلبه باسْمِه فسيبرز لك. اسمه المَعَنَّى بن حارثة.

الهرمزان : هيهات. ليس لى بكفء. إنى لا أنازل إلا أعلامَهم المشهورين.

شيرين : أنت جبان يا هرمزان .

الهرمزان : جبان .. فى وسُعك يا هذه أن تَقْدَحِى فى أى شيء إلا فى شجاعة الهرمزان .

شيرين : إن استطعت أن تخدع غيرى فإنى أنا لا أخدع .

الهرمزان : ويلك ألم تَرَى كيف صرْعت أكبر بطلين فيهم أول من أمس ؟

شيرين : بعدما قَتل كل واحد منهما مائة مبارز ؟

الهرمزان : أجل .

شيرين : هذا أكبر برهان على جُبنك وخداعك . لقد ضحيت بمائتى فارس من قومك فى سبيل أن تَفُوزَ أنت بهذا الفخر الكاذب . أنت لا يعنيك أن تكون شجاعا حقا بقدر ما يعنيك أن يقال إنك شجاع .

(**يدخل ثلاثة من رجاله**)

الهرمزان : ماذا وراءكم يا رجال ؟

الرجال : قد نفدت النُّشَّاب التى فى أيدينا . فهل لك يا سيدى أن تعطينا مما عندك ؟

الهرمزان : ما بقى عندى غير مائة نُشابة . وماذا تصنع مائة نُشَّابة ؟ ارجعوا يا رجالى إلى أماكنكم وانتظروا حتى أدعوكم .

(**يأخذ بأيديهم فيخرج بهم**)

شيرين : (**تتمتم فى قلق**) أتراه ينوى التسليم ؟ ماذا يكون مصيرى إذن .؟ (**يعود الهرمزان ومعه علم أبيض**) ما هذا الذى تحمل ؟

الهرمزان : لا مناص من ذلك يا شيرين . هذه مشيئة الرَّبِّ .

شيرين : وأنا ماذا يكون مصيرى ؟

الهرمزان : لا تحبين أن تعودى إلى المسلمين ؟

شيرين : قد قلت لك مرارا إنى أفضل الموت على ذلك . كل هذا من قِلة مُروءتك وإلا لما جَرَرْتَنى معك إلى القلعة .

الهرمزان : اطمئنى يا شيرين فقد أمرت الحاجب أن يخرج بك من المَمَرِّ السِّرِّى إلى حيث تبلغين مأمنك .

شيرين : أحقًا يوجد هنا ممر سرى ؟

الهرمزان : نعم ولو كنت جبانا كما تزعمين لآثرت الفِرار من خِلالَهِ على التسليم لهؤلاء . (**يتوجه نحو الكوة ويخرج منها العلم الأبيض ويصيح مناديا بأعلى صوته**) يا معشر العرب يا معشر العرب . أنا الهرمزان أتؤمنوننى حتى تسمعوا منى كلمة ؟

صوت : (**من خارج القلعة**) استأسر أولا .

الهرمزان : افهموا قولى . إن فى جعبتى مائة نشابة بعد وما يخيب لى سهم . فما خير إسارىِ إذا أصبت منكم مائة بين قتيل وجريح ؟

الصوت : فماذا تريد ؟

الهرمزان : أن أضع يدى فى أيديكم على حُكْمِ عُمر .

الصوت : على حكم عمر ؟

الهرمزان : نعم .

الصوت : يصنع بك ما يشاء ؟

الهرمزان : يصنع بى عمر ما يشاء بعد أن أشافهه ويشافهنى .

الصوت : انتظر قليلا حتى نستأمر أميرنا أبا موسى .

الهرمزان : إنى منتظر .

شيرين : إنى والله لا أرضى لك هذا الذل والهوان . أوَليس الموت أكرم لك من ذلك ؟

الهرمزان : لو عرفت غايتى يا شيرين لما قُلت هذا القول !

شيرين : أى غاية ؟ هذا جبن منك وأنانية .

الهرمزان : سوف تعلمين ذات يوم أن هذا ليس بجبن ولا أنانية .

شيرين : أبعد ما كبّدْتَ أهل تُستُر ما كبّدتهم تنزل على الأمان لنفسك دون أن تشترط لهم أى حق ؟

الهرمزان : سوف تعلمين غدا أن تسليمى هذا إنما هو من أجل تُستْرُ وأهل فارس أجمع .

شيرين : دعنى من تُرّهاتك وأوهامك . لتكونن غدا أسوأ مثل لقادة فارس حين تباع وتشترى فى أسواق المدينة .

الهرمزان : ويلك أليس فى التلويح ما أغناك عن التصريح ؟ لأنتقمن هناك لأهل فارس أجمع ولأموتن بعدها قرير العين .

شيرين : (**فى اضطراب**) ماذا تعنى ؟

الهرمزان : ويلك ألم تفهمى بعدما أعنى ؟ لأقتلن الرجل الذى قتل فارس .

شيرين : ماذا تقول ؟

الهرمزان : ويلك أتريدين إفصاحا بعد ؟ لأقتلنّ عمر !

شيرين : (**فى اضطراب شديد**) لا لا لا لا تفعل يا هرمزان .

صوت : (**يتعالى من الخارج**) يا هرمزان .. يا هرمزان .

الهرمزان : (**يشرف من الكوة**) نعم .

الصوت : قد قبل أميرنا أبو موسى ما عرضت فارم إلينا بسلاحك .

الهرمزان : هاكم قوسى وسيفى

(**يرمى قوسه وسيفه من الكوة**)

الصوت : ورجالك مرهم فليلقوا بأسلحتهم .

الهرمزان : (**يبرز رأسه خارج الكوة**) أيها الرجال ألقوا إليهم بأسلحتكم .

(**يدخل الحاجب**)

الحاجب : هأنذا جئت يا مولاى .

الهرمزان : وداعا ياراهويه .. لعلى لا أراك بعد اليوم . خذ الأميرة شيرين معك .

شيرين : إلى أين ؟

الهرمزان : سيقودك فى الممر السرى حتى يوصلك إلى مأمنك . وداعا يا شيرين .

شيرين : كلا والله لا أدع نذلا مثلك يغتال أمير المؤمنين . لأحذرنهم من مكيدتك (**تهرع إلى الكوة وتصيح**) يا معشر المسلمين !

الهرمزان : (**يضرب رأسها بمقبض خنجره فتسقط مغشيا عليها**) يا معشر المسلمين انتظرونى على باب القلعة لأفتح لكم وأسلم إليكم نفسى .

الصوت : نحن منتظرون يا هرمزان .

الهرمزان : أصغ إلىّ يا راهويه .. لا تدعها تتصل بأحد إلا بعد أن يبلغكم أنى انتهيت من مهمتى فى المدينة .

راهويه : أأقتلها يا مولاى؟

الهرمزان : كلا لا داعى إلى قتلها .. احملها إلى سدَنَة بيت النار فليحبسوها عندهم حتى تكفر بدين محمد وتعود إلى دين زرادشت .

راهويه : سمعا يا مولاى .. (**يحمل شيرين على ظهره**) وداعاً يا مولاى .

الهرمزان : وداعاً يا راهويه .

(ستـــار)

المشهد الرابع

ميمنة المسجد النبوى بالمدينة .

يرى عمر نائما متوسدا برنسه وليس فى المسجد غيره . يدخل أنس بن مالك والأحنف بن قيس وبينهما الهرمزان فى الديباج الموشى وعلى رأسه التاج وبيده صولجان . يتقدمهم أسلم وابن عباس والمغيرة وحين يرون عمر نائما يتوقفون عن السير ثم يجلسون على الأرض . ويدخل جماعة من الصبيان فيقفون خلفهم ومن حولهم فى خوف ورهبة من أمير المؤمنين فهم يتكلمون فيما بينهم همساً إلا أن لغطهم يرتفع شيئا فشيئا .

الصبيان : انظروا .. ثيابه موشاة بالذهب .

ـــ : من حرير ذى ألوان مختلفة !

ـــ : أتدرون ماذا يشبه ؟ يشبه الطاووس !

الصبيان : أين رأيت أنت الطاووس ؟

ـــ : عام أول عند آل الحارث بن هشام . ألم تر أنت الطاووس قط ؟

ـــ : لا ما رأيته .

ـــ : فانظر إلى هذا الذى أمامك .

ـــ : ماذاك الذى يضعه على رأسه ؟

— : هذا تاجه .. مرصع بالدُّرّ والجوهر !

— : أهو ملك ؟

— : نعم هو هرمزان .

— : وتلك المِخْصَرة التى فى يده .

— : ذاك الصَّوْلَجَان .. صولجان الملك .

— : ما أجمله .. ليته يعطينى إياه لألعب به .

— : تلعب به ! هذا ذهب مكلَّل بالياقوت واللؤلؤ .

(يومئ ابن عباس وأسلم للصبيان أن اسكتوا ويشيران إلى عمر)

الهرمزان : **(يتلفت حوله متعجبا)** متى يحضر أمير المؤمنين ! هل أخبره أحد بحضورنا لمقابلته ؟

المغيرة : ويحك يا هرمزان ألا ترى أمير المؤمنين أمامك ؟

الهرمزان : ذاك الرجل النائم المتوسِّدُ بُرْنُسَه على الأرض ؟

المغيرة : نعم .

الهرمزان : أين حرسه وحجابه ؟

المغيرة : ليس له حرس ولا حجاب .

الهرمزان : أهذا هو ديوانه ؟

المغيرة : هذا المسجد يا هرمزان .

الهرمزان : للصلاة ؟

المغيرة : نعم .

الهرمزان : وأين ديوانه ؟

المغيرة : ليس له ديوان .

الهرمزان : عجيب .. هذا لا ينبغى أن يكون ملكا .. هذا نبى .

المغيرة : كلا ليس بنبىّ وإنما هو خليفة نبى .

الهرمزان : يعمل عمل الأنبياء فهو نبى .

(يتحرك عمر ثم يستوى جالسا يفرك عينيه)

(يخفّ ابن عباس إلى عمر ويستوى الآخرون وقوفا)

ابن عباس : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا ابن عباس .. غلبنى النعاس لا حول ولا قوة إلا بالله .

ابن عباس : لا الليل تنام يا أمير المؤمنين ولا القَيْلولة فلا غرو أن يغلبك النعاس .

عمر : ويحك يا ابن عباس .. مَنْ عنده هَمُّ المسلمين كيف ينام ؟ **(يلتفت نحو الوفد فيستوى واقفا)** ما هذا الذى أرى ؟ الهرمزان ؟؟

الأحنف : **(يتقدم نحوه)** نعم هُوَ يا أمير المؤمنين قد جِئناك به .

عمر : مرحبا بك يا أحنف بن قيس ومرحبا بك يا أنس بن مالك .. الساعة قدِمْتُما ؟

أنس : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : عزاءك يا أنس فى البَراءِ بن مالك .

أنس : طُوبى له الشهادة يا أمير المؤمنين .

عمر : **(يتأمل الهرمزان لحظة)** أعوذ بالله من النار وأستعين الله . أهذا الذى طغى وتكبر وبغى وتجبر ، وعاهد فغدر ، واستأمن ففجر مرة بعد مرة وكَرَّة بعد كَرَّة ؟

أنس : بل هذا الذى نزَلَ على حُكمك يا أمير المؤمنين طائعا مختارا قبل أن نقدر عليه، لتفعل به ما تشاء.

(يتوافد كثير من المسلمين فيهم أبو طلحة وعبد الله بن الأرقم ويزيد ابن أخت النمر)

عمر : الحمد لله الذى أذلّ للإسلام هذا وأشياعه.. يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة. **(لابن طلحة وابن الأرقم وابن أخت النمر)** خذوه إلى بيت الضيافة ليطعمَ ويستريح ثم ائتونى به من الغد.

(يُسِرّ الهرمزان حديثا إلى المغيرة بن شعبة)

المغيرة : يا أمير المؤمنين إنه يرجو وقد نزل على حكمك ثقةً بعدلِك ورحمتك أن يعرف الآن ماذا أنت به فاعل.

عمر : ليس الآن.. حتى تخلعوا عنه هذه الحلية. وتكسوه مثل غيره من عباد الله.

المغيرة : **(بعد أن يتسار مع الهرمزان)** إنه يودُّ يا أمير المؤمنين لو تحكم عليه وهو فى هذا الزىّ لكى يريك أنه مطيع لك فى كل حال.

عمر : إن كان يريد أن يعجّبنا من زيه فقد رأينا من قبله أعرابيا من بنى مدلج قد ارتدى زى كسرى وتاجه — كسرى أنو شروان لا كِسراهم هذا الغر الصغير. **(لرجاله الثلاثة)** امضوا به.

(يخرج الرجال الثلاثة بالهرمزان وخلفهم الناس والصبيان)

عمر : أنت يا أنس بن مالك فانطلق إلى آل أخيك الشهيد فعزِّهم فيه وواسهم يومك هذا وائتنى من الغد .

أنس : حبا وكرامة يا أمير المؤمنين .

(يخرج)

عمر : وأما أنت يا أحنف فإنى ذاهب الساعة إلى الحَظِيرة حظيرة إبل الصدقة فهل تذهب معى ؟

الأحنف : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ولا يؤذيك هذا الحرُّ الشديد ؟

الأحنف : أنا رجل عربى يا أمير المؤمنين لا يؤذينى الحر ولا البرد .

عمر : وتحسن أن تهنأ الإبل ؟

الأحنف : نعم يا أمير المؤمنين .. نحن بنى تميم أهل الخيل والإبل .

عمر : عزلتم البعير الأجرب يا أسلم ؟

أسلم : من الصباح يا أمير المؤمنين .

عمر : هيا بنا يا أحنف نعالجه مما به .

المغيرة : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك ؟

عمر : ويحك يا ابن شعبة وأى عبد أعبد مني ومن الأحنف ؟ إنه مَنْ ولى أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة . هلم إذن معنا يا مغيرة .

المغيرة : يا أمير المؤمنين إنى ماض الساعة إلى أهلى .

عمر : لكل منا أهل يا ابن شعبة ولست خيرا منى ولا من الأحنف . هلم .

المغيرة : (**يتمتم**) قطع الله لسانى !. ليته ما نطق !

عمر : يا مغيرة بن شعبة إن فى هذا البعير لحق اليتيم والأرملة والمسكين وما يدريك لعل الله يغفر لك بهذا الذى تكره أن تعمله . هيا يا أحنف بن قيس يا سيد بنى تميم . كنا اثنين فصرنا ثلاثة .

(**يخرجون**) .

(ستـــار)

المشهد الخامس

بيت عمر بالمدينة .

يرى عمر داخلا ومعه الأحنف بن قيس وعلى وجه عمر الأسى الشديد وهو يخاطب نفسه كأنه غافل عمن معه .

عمر : ويلك يا ابن الخطاب . كنت وضيعا فرفعك الله وكنت ضالا فهداك الله ، وكنت ذليلا فأعزك الله ، ثم حملَك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربته ما تقول لربك غدا إذا أتيته ؟

الأحنف : يا أمير المؤمنين ما أراك والله ظلمت الرجل . إنه جاءك وأنت مشغول تعد إبل الصدقة فجعل يجذب رداءك ويقول : أعدِنى على فلان فإنه ظلمنى .

عمر : يا أحنف أفما كان علىّ وأنا أعلم أنه من البادية أن أحتمله واستنظره حتى أفرغ من عملى ؟ والله لئن لم يهتد إليه أسلم الساعة ليشغلنى الهم به عن كل شىء حتى عن صلاتى .

الأحنف : بل سيهتدى إليه إن شاء الله ويجىء به .

عمر : إنى لست أعرف الرجل يا أحنف فلئن ذهب ولم يرجع لتكونن حسرة فى قلبى إلى يوم أبْعث ! (**يدخل أسلم**) وجدته يا أسلم ؟ جئت به ؟

أسلم : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : بوركت يا أسلم .. دعه يدخل .

(يخرج أسلم ثم يدخل أعرابى فى حدود الخمسين وهو خائف مترقب)

الأعرابى : يا أمير المؤمنين إنى أعتذر إليكَ من قول أفّ فما كان ينبغى لى أن أقولها لك .فنشدتك الله إلا ما وهبتها لى .

عمر : ويحك يا عبد الله إنما أرسلت فى طلبك لأعتذر أنا إليك إذ خفقتك بالدِرَّة وأنا ظالم . خذ (**يلقى إليه بالدرة**) فاخفقنى بها كما خفقتك .

الأعرابى : معاذ الله يا أمير المؤمنين . حاش لله أن أفعل .

عمر : نشدتك الله إلا ما امتثلت .

الأعرابى : لا والله يا أمير المؤمنين ولكن أدعها لله ولك .

عمر : ليس هكذا يا عبد الله إما أن تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لى فأعلم ذلك .

الأعرابى : بل أدعها لله .

عمر : الحمد لله . هات الآن فاذكر لى ظُلَامَتك .

الأعرابى : قد عفوت عمن ظلمنى يا أمير المؤمنين .

عمر : عفوت حقا من صميم قلبك أم ظننت أنى لن أنصفك فعفوت ؟

الأعرابى : بل عفوت من صميم قلبى يا أمير المؤمنين ابتغاء وجه الله .

عمر : أنت والله خير منى فاذهب مُباركا لك فيما تأتى وما تدع .

(يخرج الأعرابى)

الأحنف : ما رأيت كاليوم أعرابيا قط يا أمير المؤمنين .

عمر : أرأيت يا أحنف ؟ إن الخير فى الناس لكثير .

(يدخل أسلم)

أسلم : بالباب يا أمير المؤمنين أنس بن مالك والمغيرة بن شعبة وزيد ابن ثابت .

عمر : ايذن لهم ثم انطلق إلى أبى طلحة فليحضر لى الهرمزان .

(يخرج أسلم ويدخل أنس والمغيرة وزيد بن ثابت)

أنس : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .. اجلسوا يا أصحاب رسول الله . ماذا ترون فى هذا الهرمزان الذى نزل على حكمى ؟

أنس : أرى يا أمير المؤمنين أن تستحييه فإنى آنست منه فى الطريق ميلا إلى الإسلام .

الأحنف : أما أنا فلم أر منه إلا ازْوِرَاراً ونفاقا . لكثُر ما قال لنا فى الطريق إذا ذكَرْنا له الإسلام . « رويدكم ليس ذلك فى الشرط . أتريدون أن تكرهونى على دينكم » ؟ هذا مع أننا قلنا له مائة مرة ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبينَ الرشْدَ من الغَىِّ ﴾ .

أنس : يا أمير المؤمنين إنا تركنا خلفنا شوكة شديدة وعددا كثيرا فإن قتلتَه يئس القوم من الحياة فكان أشدَّ لشوكتهم .

الأحنف : وإن استحييته يا أمير المؤمنين طمع القوم فينا فصاروا يغدرون كل يوم وينقضون عهدنا دون خوف .

عمر : وأنت يا مغيرة بن شعبة ماذا ترى؟

المغيرة : أرى رأى الأحنف يا أمير المؤمنين فإن وجهَه وجه غدار خؤون ولا خير فى استحياء الغادرين .

عمر : وماذا ترى يا زيد بن ثابت ؟

زيد : يا أمير المؤمنين إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمر النَّعَم) .

أنس : لو استحييته يا أمير المؤمنين فرُبّما أسلم وحسن إسلامه .

عمر : أأستحى يا أنس قاتل البَرَاء بن مالك ومُجزأة بن ثور ؟

(**يدخل أسلم**)

أسلم : قد جاءوا بالهرمزان يا أمير المؤمنين .

عمر : والله لأقتلنه إلا أن يُسلمَ أو يفتح الله برأى أصْوَبَ . أدخلوه .

(**يدخل أبو طلحة ومعه الهرمزان وقد ألبسوه ثوبا صفيقاً ونزعوا عنه كل ما كان عليه من حلية**) .

أبو طلحة : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا أبا طلحة ورحمة الله . هاتِه أوقفه هناك . يا هرمزان كيف رأيت وَبَالَ الغَدْرِ وعَاقِبة أمر الله ؟

الهرمزان : يا عمر كنا وإياكم فى الجاهلية وقد خَلَّى الله بيننا وبينكم فغلَبْناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا .

عمر : (**مسرورا بما سمع**) هذا حسن يا غُدَر . وما أرى إلا أنك لُقِّنْتَ هذا القول أو قلته نِفَاقا لى لتخدعنى .

الهرمزان : كلا يا عمر .. هذا قصارى ما استطعت أن أصِلَ إليه فى سبب نتصاركم علينا اليوم وأنتم أقل منا عدَدًا وعُدة .

عمر : أوَ تدرى بماذا غلبتمونا أنتم فى الجاهلية ؟ باجتماعكم وتفرُّقِنا . والآن فما عذُرك وما حجتك فى انتقاضك علينا مرة بعد مرة ؟

الهرمزان : مالى من عُذْر يا عمر إلا أنى كنت إذ ذاك أشك بعد فى أن الله معكم فكنت أطمع أن أنتصر عليكم،إلى أن أيقنت آخر الأمر ألَّا فائدة من قتالكم وأن الخير فى مسالمتكم وعدم الانتقاض عليكم .

عمر : يا غُدَر إن العهود لا يُعْتَذَر عن نقْضِها بمثل هذا . لتأتينّى بسُلطان أو لأقتلنّك .

الهرمزان : يا أمير العرب .

عمر : قل يا أمير المؤمنين .

الهرمزان : يا أمير المؤمنين لعلك ساخِط علىّ أن قتلت صاحبيك صاحبَ العمامة الخضراء وصاحب العمامة الحمراء .

أنس : يعنى يا أمير المؤمنين البَرَاءَ بن مالك ومَجْزَأةَ بن ثور .

عمر : أجل كيف لا أقتلُ قاتلَهما وقد أمكننى الله منه ؟

الهرمزان : ما ذَنْبى يا أمير المؤمنين وقد خرجا لمبارزتى ؟

عمر : كذبت .. ما كنت لتقدِرَ على البَرَاء لولا أنك طلبته للنِّزال بعدما بارزه منكم مائة فارس فقد بارزته وهو مُكِلٌّ وأنت مُريح . وكذلك فعلت مع مجزأة .

الهرمزان : يا أمير المؤمنين إنما قدَّمْتُ فرسانى لهما فقتلاهم فقلت فى النهاية ليس لهما غيرى فخرجت لهما فكان ما كان . لو أنى قتلتهما صَبْرا لكان لك أن تنتقم لهما منى ولكنى قتلتهما

مبارزة فى الميدان وما أحسبُ هذا يجوز فى شرعتكم معشر العرب .

عمر : كلا يا هرمزان لسنا ننتقم لهما منك وقد أكرمهما الله بالشهادة وهى خير لهما من الحياة ، ولكنك غَدَرْت مرة ولو فعلت ذلك مع كسرى لما أبقى عليك . اذكُرْ كَمْ سَفكْتَ من دماءِ المسلمين ومن دماء قومك فى العهود التى نَقَضْتَ ؟

الهرمزان : يا أمير المؤمنين ما كنت لأُنقضُها لو قد علمت أنْ ليس فى سياستكم أن تتخطوا حدود السَّواد وتغْزُوا بلاد فارس .

عمر : ويلك يا غَدَر . تلك كانت سياستنا ألم تكن معلومة لك ؟ ألم تَرَ كيف كنا نُجيزُ الصلح كلّما طلبه طالب منكم ولو بعد هزيمته ، ونأمُرُ بِرَدّ السَّبْى إلى حريتهم والاكتفاء منهم بالخَرَاج ؟ ألم تر كيف كنا نأمر بتعمير الأرض المَوَاتِ لأهلها وشَقّ الأنهار خلالها وإقامة العدل بينهم ؟

الهرمزان : الآن بعدما سمعت ذلك من فَمِك يا أمير المؤمنين فهل تردُّون لنا إقليم الأهْواز إن صالحناكم ولن ننقِضَ هذه المرة أبدا ؟

عمر : ويلك يا هذا أين حَصَاتُك وعقلُك ؟ كيف نرد لكم الأهواز بعدما استولينا عليها بالسيف وبعدما أسَرْنَاك أنت ؟

الهرمزان : كلا إنهم ما أسَرُونى يا أمير المؤمنين ولكنى طلبت الأمان منهم على أن أنزل على حكمك .

عمر : فأنا بالخيار إن شئت قتلتك بما أسلفت من جرائر الغدر ، وإن شئت تركتك ، وإن شئت سبيتك فكنت عبدا يحسب ثَمُنك فى الفىء.

الهرمزان : يا أمير المؤمنين إنى أحسنت الظن بك وبدينك فلا تُخْلِفْ ظنى .

عمر : ما أنت ودينى ويلك ؟ إن دينى يأمُرُ بالوفاء وينْهَى عن النَّكْثِ وعن الغدر وأنت غدّار نقّاض للعهد نكّاث فلم لا أقتلك ؟

الهرمزان : هل لى أن أشربَ قبل أن تقتلونى فإنى عطْشَان ؟

عمر : يا أسلم ائته بقدح ليشرب .

الهرمزان : (**يأتيه أسلم بقدح غليظ**) ما هذا ؟ لو مِتُّ عَطَشاً ما رضيت أن أشربَ فى مثل هذا .

عمر : ابغ له قدحا أرقَّ من هذا يا أسلم وأمثل .

أسلم : (**يأتى الهرمزان بقدح أرق**) يُرضيك هذا القدحُ ؟ والله ما عندنا غيره .

(**يرتجف القدح فى يد الهرمزان**) .

عمر : مالك لا تشرب ؟ ما عندنا خير من هذا القدح .

الهرمزان : يا عمر إنى أخاف أن أُقْتَلَ وأنا أشرب الماء (**يومئ إلى أبى طلحة**) .

عمر : لقد أبعدت فى سوء الظن بنا يا هرمزان .

الهرمزان : إنه الخوف من الموت يا أمير المؤمنين يصور لى أن سيَّافَك هذا سيضربُ عنقى بالسيف وأنا أشرب هذا الماء .

عمر : كلا لا بأس عليك حتى تشربَه .

(**يكفئ الهرمزان الإناء فيريق ما فيه من ماء**) .

أسلم : إنه تعمد إراقَةَ الماء يا أمير المؤمنين .

عمر : (**متجاهلا ذلك**) لا بأس. أحضِرُوا له الماء مرة أخرى ولا تجمعوا عليه القتْلَ والعطَشَ.

الهرمزان : لا حاجة لى فى الماء. إنى أردت أن أستأمِنَ به.

عمر : إنى إذن قاتلُك!

الهرمزان : قد أمنتنى.

عمر : كذبْتَ..

أنس : بل صدقَ يا أمير المؤمنين.

عمر : ويحك يا أنس.. أنا أؤمن قاتل مجزأة والبراء؟ والله لتأتينِّى بمخرج أو لأعاقبنك أنت.

أنس : قُلتَ له يا أمير المؤمنين: لا بأس عليك حتى تشربه. اشهدوا يا قوم بما سمعتم.

الجميع : أجل يا أمير المؤمنين قُلتَ له ذلك.

عمر : (**يظهر الغضب**) خدَعْتنى يا غُدَر. إن للمخْـدُوع فى الحرب حُكمه. والله لا أنخدع إلا لمُسلم.

أنس : فأسلَمْ يا هرمزان خيرا لك من أن تُقْتَل على الكفر.

الأحنف : إنك لذُو حظ عظيم إن أسلمت.

الهرمزان : أسلمت يا أمير المؤمنين وآمنت بدينكم.

أنس : قل أشهد أن لا إلـه إلا الله..

الهرمزان : أشهد أن لا إلـه إلا الله.

أنس : وأشهد أن محمداً رسول الله.

الهرمزان : وأشهد أن محمداً رسول الله.

(يقوم إليه عمر فيعانقه مستبشرا ويعانقه الآخرون كذلك)

عمر : يا أسلم قل لمُعيقيب يفرض للهرمزان فى العطاء .

أسلم : على كم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : على ألفَيْن .

(ستــار)

المشهد السادس

البيت الذى أعِد للهرمزان فى المدينة يرى الهرمزان جالسا وعنده زيد بن ثابت ومُعَيْقِيب .

زيد : كيف وجدْتَ هذا البيت يا هرمزان ؟

الهرمزان : الحمد لله .

زيد : بيوت المدينة كلُّها على هذا النَّمَط .

الهرمزان : هذا أفضل من بيت أمير المؤمنين .

زيد : صدقت . هذا يُعَدُّ من أفضل بيوت المدينة .

الهرمزان : لو قيل لأهل فارس إن الهرمزان يسكن فى بيت أحسن من بيت عمر أمير المؤمنين لما صدَّقَ ذلك أحد .. الحمد لله .

زيد : والطعام الذى يأتيك من دار الضيافة كيف تجده ؟

الهرمزان : لا أستطيِبُه كثيرا ولكن لا بأس به .

زيد : ينبغى فيما بعد أن تبتاع لك جارية فارسية لتصنع لك الطعام على طريقتكم فى فارس .

الهرمزان : هذا حسن ، وأحسن من ذلك أن أكتب إلى امرأتى لتُقْدِم علىّ .

زيد : هذا أفضل .. ويومئذ تدعونا لنأكل عندك .

الهرمزان : معلوم .. معلوم .

زيد : **(يناوله معيقيب كيساً فيناوله زيد للهرمزان)** هذه خمسمائة درهم من عطائك وإذا احتجْت إلى مزيد فاطلبه من معيقيب .

الهرمزان : هل لك أن تخبرنى يا زيد ما هذا العطاء الذى فرضَه لى أمير المؤمنين على ألفين ؟ أهو صدقَةٌ مما يُعطى للمساكين والمحتاجين ؟

زيد : لا يا هرمزان .

الهرمزان : أهو راتب مما يعطى لمن يعملون فى خدمة الدولة ؟

زيد : ولا هذا .

الهرمزان : أفهو هدية لى من عمر ؟

زيد : إن عمر لا يملك شيئا غير عَطَائِه هوَ وهو لا يكاد يكفيه .

الهرمزان : فأى شىء هو ؟ أمنحةٌ مما يعطى للوفود والغُرَباء المقيمين فى البلد ؟

زيد : لا ليس بمنحة .

الهرمزان : فأى شىء هو إذن ؟

زيد : هذا رزق يأخذه صاحبُه على أنه حقٌّ له فى بيت المال ليس عليه فيه منة لأحد . وقد أصبحت بإسلامك واحداً منا فلك فى بيت المال حقٌّ مثلَنا .

الهرمزان : لا منة لأحد علىّ فيه ؟

زيد : لله وحده المنة .

الهرمزان : أكل واحد من المسلمين له حق فى هذا المال ؟

زيد : نعم .

الهرمزان : هذا شيء عجيب . وكُلُّ الناس سَوَاءٌ فى ذلك ؟

زيد : كان الخليفة الأول أبو بكر لا يفاضل فى العطاء بين الناس ، ولكن عمر رأى أن يفاضل بينهم على مراتبهم فى نصرة هذا الدين والسبق إليه فجعلهم طبقات كل طبقة يتساوى أهلها عربهم وعجمهم وقويهم وضعيفهم .

الهرمزان : وكم يأخذ عمر من العطاء ؟

زيد : يأخذ مثل ما يأخذ أهل طبقته ممن شهدوا وقعة بدر من المهاجرين والأنصار : خمسة آلاف .

الهرمزان : أليس يفضلنى عمر إلا بثلاثة آلاف ؟

زيد : هو ذاك .

الهرمزان : وهل من العجم ومن غير العرب من يأخذ خمسة آلاف مثل عمر ؟

زيد : نعم بلال الحبشى وصُهَيْبٌ الرومى وسلمان الفارسى .

الهرمزان : والله ما سمعنا بمثل هذا فى أمة من الأمم قط ؟

(**يقرع الباب**)

أنس : (**صوته**) يا هرمزان ! يا هرمزان !

الهرمزان : هذا أنس .. ادخل يا أنس .. ومعك الأحنف .. أهلًا وسهلًا أهلًا وسهلًا .

أنس : (**يدخل هو والأحنف**) وعندك زيد ومعيقيب ؟ لقد صرت تؤثرهما علىّ وعلى الأحنف .

الأحنف : لا غَرْوَ يا أنس فمن أيديهما يجىء العطاء .

زيد : من يد معيقيب لا من يدى .

(**يتضاحكون**)

الأحنف : أنت يا زيد يحبك الهرمزان للسانك . إنك لتتكلم الفارسية كأنما ولدت فى مدينة اصْطُخْر !

الهرمزان : (**يضحك**) صحيح .. صحيح .. نطْقُه جيد جيد .

معيقيب : إن أمير المؤمنين أمرنى أن ألتمس له رجلًا من أصحاب رسول الله يقوم بتفقيهه فى الدين .

أنس : أنا أقوم له بذلك . أخبر أمير المؤمنين .

زيد : أنس سيعلمُك أركان الدين .

الهرمزان : (**ممازحاً**) أنت يا أنس ؟ إنى أخاف منك .

أنس : (**يضحك**) بل أنا الذى ينبغى أن أخاف منك . لقد أردت أن تقتلنى ذات ليلة .

(**يتضاحك الثلاثة الهرمزان وأنس والأحنف**)

زيد : حدثونا كيف كان ذلك ؟

أنس : كان ذلك فى الطريق وقد نزلنا أول منزل لنا فى الصحراء بعدما اجتزنا الحِفِير وقد بدا لنا أنه اطمأن إلينا واطمأننا إليه فحللنا عنه قيدَه .

الأحنف : كلا أنا لم أطمَئِنَّ إليه فبِتُّ أراقبه .

أنس : وأوينا إلى مضاجعنا فنِمْنا .

الهرمزان : لكنى أنا لم أنَمْ .. كنت أخشى دائما أن تَثِبَ علّى وأنا نائم فتذبحنى .

أنس : مع أنى كنت رَفِيقا معه جَهْدَ ما أستطيع .

الهرمزان : تلك هى الآفة . كلما زاد فى مُلَاطَفَتى زاد ارْتيابى فيه .

أنس : واستيقظت من الليل فوجدت غطاءه قد انكشف عنه فأشفقت عليه من برد الليل فدنوت منه لأدثّره وإذا هو قد وَثَبَ وإذا الخنجر يَسطَعُ في يده.

الهرمزان : ظننته والله جاء ليذبَحَني فقد رأيته يَدِبُّ دَبِيبًا نحوى.

أنس : لأنى لم أشأ أن أزعجه من نومه.

الهرمزان : الحمد لله إذ أنقذنى الأحنف من قتلك.

الأحنف : كانت ليلة ليلاءَ لم ينَمْها منا أحدٌ حتى الصباح.

زيد : إنى إذن أقترح عليك يا أنس أن لا تجلس إلى الهرمزان إلا ومعك الأحنف يحرسك.

(يتضاحكون)

الهرمزان : الحقَّ أقول لكم يا قوم. إن الفضل فى إسلامى يرجع إلى أنس ابن مالك وإلى الأحنف بن قيس.

الأحنف : كلا لا تُداجِنى. هذه الأخيرة ليست من قلبك.

الهرمزان : لا يفُوتُك شيء أبداً يا أحنف!

زيد : الحمد لله إذ جمعنا على الإسلام فجعلنا كمن قال الله فيهم فى مُسْتَقَرّ رحمته ﴿ ونَزَعْنا ما فى صدورهم من غِلّ إخواننا على سُرُرٍ متقابلين ﴾.

الهرمزان : هذا من القرآن؟

زيد : نعم هذا من القرآن.

أنس : فى وصف أهل الجنة.

الهرمزان : يا ليتني أعرف القرآن.

أنس : سأحفِّظك سُوَراً منه إن شاء الله.

معيقيب : لقد أزِفتْ صلاة الظهر يا قوم.

الأحنف : أجل. فلنتهيّأ للصلاة.

(ينهض الجميع للانصراف)

أنس : أأنتظرك يا هرمزان.. أم تعرف الطريق إلى المسجد؟

الهرمزان : بل اسبقنى سأتوضأ ثم ألحقك.

(يخرج الرجال الأربعة).

(يقرع الباب قرعاً خفيفاً).

الهرمزان : مَنْ؟

صوت : أنا فيرُوزُ يا هرمزان.

الهرمزان : **(يفتح الباب)** فيروز. ادخل. ادخل.

(يدخل فيروز ويغلق الهرمزان الباب).

فيروز : هذا البيت الذى أعطى لك؟

الهرمزان : ماذا جاء بك الساعة يا فيروز؟

فيروز : أتكره أن ترانى يا هرمزان؟

الهرمزان : لا يا فيروز ولكنى أخشى أن يَرتْابُوا بنا.

فيروز : أنّى لهم ذلك يا هرمزان؟ إن أحدا لا يعرف الصلة التى كانت بيننا فى الأهْواز.

الهرمزان : إنهم سبقونى إلى المسجد.

فيروز : أولئك الرجال الأربعة؟

الهرمزان : نعم هل رأوك يا فيروز؟

فيروز : أنا رأيتهم ولم يَروْنى فاطمَئِنّ.

الهرمزان : إنهم سينتظرونني هناك.

فيروز : لصلاة الظهر ؟

الهرمزان : نعم .

فيروز : هذه لم يؤذَّنْ لها بعدُ فمازال عندك وقت .

الهرمزان : لكنى أريد أن أتوضَّأ .

فيروز : لا تخف . إني لن أؤخرك . خبرنى يا هرمزان كيف رضيت لنفسك هذا الهوان وأنت من ملوك الباب ؟

الهرمزان : تعنى إسلامى يا فيروز ؟

فيروز : بل أعنى تسليمك أولا ثم إسلامك .

الهرمزان : خبرنى يا فيروز واصدقنى أما زلت أنت على نِيَّتِك ؟

فيروز : فى عمل الرَّحَى التى سيتحدث بها مَنْ فى المشرق والمغرب ؟

الهرمزان : نعم .

فيروز : يا ضيعة فارس ! تسألنى هذا السؤال وأنت الذى حرَّضْتَنى على أن أكون عبْداً فأباع لأمير العرب فى البَصْرَة حتى أتمكن من تنفيذ هذه النية ؟

الهرمزان : ما يدرينى يا فيروز لعلك تغيَّرت منذ يومئذ .

فيروز : أنا أتَغَيَّر ؟ أنا ابن بُوران بنت كسرى وابن رُستم بطل الأبطال أتَغَيَّر ؟ بل أنت الذى تغيَّرْتَ إذْ أسلَمْت .

الهرمزان : أتكتم سرى يا فيروز ؟

فيروز : أإلىَّ أنا تُوَجّه هذا السؤال ؟ ماذا دهاك يا هرمزان ؟

الهرمزان : علينا يا فيروز أن نلزم الحَيْطَةَ والحَذَر .

فيروز : هات ماذا عندك .

الهرمزان : (**يتلفت حوله كأنما يخشى أن يسمعه أحد**) إنى ما استَسْلمت هناك ونزلت على حكم هذا الرجل إلا لأقوم أنا بعمل الرَّحَى بنفسى لما استبطأتُك يا فيروز ولم أسمع شيئا عن رَحَاك .

فيروز : (**فرحاً**) أحقا يا هرمزان استسلَمتَ من أجل ذلك ؟

الهرمزان : نعم .

فيروز : وأسَلَمْتَ أيضا من أجل ذلك ؟

الهرمزان : (**بعد توقف**) نعم .

فيروز : (**يقبّل رأس الهرمزان ويدَيْه بإخلاص**) الآن اطمأنت نفسى . لا أريد أن أعطلك عن الصلاة الآن . سألقاك مرة أخرى فى القريب . إلى اللقاء .

(**يخرج**) .

(**يقف الهرمزان كالمأخوذ**)

الهرمزان : (**يتمتم فى ذهول**) شيرين !! شيرين !!

(**يسمع أذان الظهر فيُهَرْوِل إلى الداخل وهو يتمتم**) الوضوء . الوضوء .

(**ستـــار**)

المشهد السابع

فى بيت عمر بالمدينة .

يرى الهرمزان جالسا ومعه أبو أمية مولى عُمر وسيرين مولى أنس بن مالك .

الهرمزان : أنت كنت مولىً لعمر ؟

أبو أمية : نعم .

الهرمزان : ثم أعتقَكَ ؟

أبو أمية : كاتَبَنى .

الهرمزان : كيف ؟

أبو أمية : اتفقْتُ معه على خمسة آلاف درهم مُنَجَّمَة على خمس سنين لأُعْتَقَ بها من رقى،فانطلقت إلى العراق فاتّجْرت هناك وفتح الله علىّ .

الهرمزان : أتجرت بغير رأس مال ؟

أبو أمية : بل أقرضنى أمير المؤمنين مائتى درهم فكانت رأس مالى وبارك الله لى فيها .

الهرمزان : وأين كنت من أرض العراق ؟

أبو أمية : أقمت سنة فى المدائن ثم استقررت فى الكُوفَة وتزوجت بها .

الهرمزان : وجئت لتدفَع له ما عليك ؟

أبو أمية : نعم .

الهرمزان : وجئت بهذه الطُّنْفُسة معك ؟
أبو أمية : نعم جئت بها هدية لأمير المؤمنين .
الهرمزان : (**يقلبها**) أتدرى أين هذه مصنوعة ؟
أبو أمية : ابتَعْتُها أنا من الكوفة .
الهرمزان : هذه مصنوعة فى أصْبِهَان . ومن أى بلد كان أصْلُك ؟
أبو أمية : أنا كنت من سَبْى عين التَّمر .
الهرمزان : وصاحبك هذا ؟
أبو أمية : سيرين هذا مثلى من سبْى عين التمر وهو مولى لأنس ابن مالك .
الهرمزان : (**فى اهتمام**) لِمَنْ ؟ لأنس بن مالك ؟
أبو أمية : نعم وقد جاء معى ليشكُوَه إلى أمير المؤمنين .
الهرمزان : ماذا فعل به أنس ؟
أبو أمية : هذا أمير المؤمنين قد عاد من السُّوق .

(**يدخل عمر ويدخل معه أنس بن مالك**)

عمر : لَعلى أبطأت عنكم فى السوق ؟
أبو أمية : قليلا يا أمير المؤمنين .
عمر : ويل لعبد الله بن عمر !
أبو أمية : ماذا فعل يا أمير المؤمنين ؟
عمر : رأيت له إبِلًا سِمَاناً يعرضُها مولاه هناك . هيه لا جَرَم أنكم كنتم تتراطَنُون يا هرمزان .
الهرمزان : أجل يا أمير المؤمنين .
عمر : فيم كنتم تتحدثون ؟

الهرمزان : فى شئون شتى يا أمير المؤمنين .

عمر : (**لأبى أمية وسيرين**) ينبغى أن تكلّماه بالعربية ليسرع فى تعلمها .

الهرمزان : سأتعلمُها وَشيكاً يا أمير المؤمنين لأنى قلما أجد هنا من يحادثنى بالفارسية .

عمر : ذلك خير لك يا هرمزان ليسهل عليك تعلُّم القرآن .

الهرمزان : نعم يا أمير المؤمنين أريد أن أتعلم القرآن .

عمر : أنس بن مالك خير من يعلمك القرآن . لقد وُفِّقْتَ يا هرمزان فى اختياره .

أنس : أسأل الله أن يوفقنى فى ذلك يا أمير المؤمنين .

عمر : هيه يا أبا أمية إذن فقد بارك الله لك فى تِجَارتك ؟

أبو أمية : ببركة دُعَائك يا أمير المؤمنين .

عمر : بل بنشَاطِك واجتهادِك وحسن تدبيرك . أليس كل ما جاءك من حلال طيب ؟

أبو أمية : بلى والله يا أمير المؤمنين لقد عملت بوصيتك فلم يقع فى يدى إلا كل حلال طيب .

عمر : فسيبارك الله لك فى مالك أكثر فأكثر .

أبو أمية : هذه يا أمير المؤمنين الثلاثة آلاف الباقية .

عمر : دفعة واحدة ؟ ألا تُنَجِّمها على ثلاث سنين ؟

أبو أمية : علام أنجّمها يا أمير المؤمنين وهى عندى بحمد الله ؟

عمر : لعلك تستنفع بها فى تجارتك ؟

أبو أمية : لا يا أمير المؤمنين . عندى بحمد الله غيرها .. إلا أن تؤثر أنت أن تقبضَها منى نُجُوماً على الشرْط .

عمر : لا والله يا أبا أمية ما يسُرّنى من شىء أحب إلىّ من تَعْجِيلك بفكِّ رقَبَتِك .

أبو أمية : جزاك الله عنى خيراً يا أمير المؤمنين فما بال أنس بن مالك لم يقبل من سيرين مثل ما قبلت منى ؟

أنس : جئت يا سيرين لتشكُونى إلى أمير المؤمنين ؟

عمر : دعه يا أنس يقُل ماعنده .

سيرين : ما كنت أود ذلك ؟ لولا حِرْصى على أن أفيك حقك .

عمر : هات يا سيرين ما عندك .

سيرين : كنت فى مفتح تُستُر يا أمير المؤمنين فاشتريت رثة فربحت فيها فرأيت أن أدفع له جميع مُكاتبتى فأبى إلا أن يقبله نُجُوما .

أنس : كالشرط الذى كتبناه بيننا .

عمر : ذاك من أجل ألا يؤجّل فإن عجّل فهو خيرٌ لك .

أنس : قد رتبت حالى يا أمير المؤمنين على أن أقْبِضَ ألف درهم كلّ سنة فى مدى عشر سنين .

عمر : كلا بل أردت أن تَرِثَه يا أنس . إنى لأعرف فيك الحرص على المال .

أنس : لا والله يا أمير المؤمنين . هو ما ذكرت لك . يريد أن يقبضنى اليوم ثمانية آلاف درهم فماذا أصنع بها ؟

عمر : اصنع بها ما شئت لا شأن له بك ولا سبيل لك عليه .

أنس : يا أمير المؤمنين أكل يوم يشكونى إليك ؟

عمر : ويلك إنما شكاك فى المرة الأولى لأنك لم تشأ تكاتبه وقد قال الله تعالى ﴿ والذين يبتغون الكتابَ مِمَّا ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن عَلِمْتُم فيهم خيرا ﴾ .

أنس : ما كنت أعلم إذ ذاك أنه يصلح .

عمر : فها أنتذا قد علمت اليوم أنه أصلح الناس وتريد بعد أن تؤخر فك رقبته . والله لتقبضَنّها منه أو لاجِيلَنّ هذه الدّرّةَ على ضَلْعتك .

أنس : قد فعلت يا أمير المؤمنين حباً وكرامة .

عمر : لك أهل يا سيرين ؟

سيرين : لا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : وتحبُّ أن أختار لك ؟

سيرين : من لى بذلك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ألا تزوِّجْه يا أنس ابنة أخيك البَراءَ بن مالك التى عندك فإنه والله لشابٌّ صالحٌ ؟

أنس : ابنة أخى مُسَمَّاة على ابن عمها يا أمير المؤمنين ولكنى سأزوجه ابنتى حَفْصَةَ إن شاء .

عمر : ذلك خير يا أنس . بارك الله له فيها وبارك لها فيه .

أبو أمية : وهذه المائتا درهم التى اقْرَضْتنيهَا يا أمير المؤمنين .

عمر : قد جعلتها لك يا أبا أميةِ .

أبو أمية : إنك اقترضْتها ذلكِ اليوم من حَفْصَة أم المؤمنين .

عمر : أجل قد رددت لها حقها فخذها بارك الله لك فيها .

أبو أمية : والله يا أمير المؤمنين لا أدْرى كيف أشكُركُ .

عمر : مه يا أبا أمية علَامَ تشكرُنى ؟ أعلى ما أمَرَ الله به فى كتابه إذ يقول ﴿ وآتُوهم من مال الله الذى آتاكم ﴾ . فهذا من مال الله الذى آتانى .

أبو أمية : وهذه يا أمير المؤمنين هدية لك منى فاقبلها جُزِيت الخير .

عمر : كلا يا أبا أمية . هذه لا تصلح لعمر ولا آل عمر .

أبو أمية : فماذا أصنع بها يا أمير المؤمنين ؟

عمر : بعها واستعن بثمنها على دينك ودُنْياك .

الهرمزان : أنا أشتريها منك يا أبا أمية .

عمر : بعِها للهرمزان فإنها تصلح لِمِثْله .

أبو أمية : فخذها يا هرمزان هَدية منى لك .

(يتهلل وجه الهرمزان سروراً) .

عمر : **(لأبى أمية وسيرين)** والله لقد ملأتما قلبى اليوم جَذَلًا . والله لأدعُوَن موالىَّ الآخرين عسى أن يكون لهم فيكما أسوة حسنة **(ينادى)** يا أسلم .

أسلم : لبيك يا أمير المؤمنين .

(يدخل) .

عمر : ادع لى مَوَالىّ . ادع لى يَسارًا ويَرْفَأ ووُسَّق الرومى .

أسلم : سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين .. **(يخرج ثم يعود)** .. مغذرة هذا نافع مولى عبد الله بن عمر .

عمر : دعه يدخل .

(يخرج أسلم ويدخل نافع)

عمر : أين عبد الله بن عمر يا نافع ؟ ألم تجده ؟

نافع : بلى يا أمير المؤمنين وجدته يُصلى فى بيته .

عمر : وقلت له أجب أمير المؤمنين ؟

نافع : لا يا أمير المؤمنين قلت أنتظر حتى يُسَلِّم من صلاته .

عمر : ويلك فلن يُسلم من صَلَاتِه . انطلِقْ فقل له : يا عبد الله بن عمر أجب أمير المؤمنين الساعة .

نافع : سمعا يا أمير المؤمنين .

(يخرج) .

(يعود أسلم ومعه يسار ويرفأ ووسق الرومى)

عمر : اجلسوا يا إخوانى . هذان أخواكم أبو أمية وسيرين قد فتح الله عليهما فأصبحا حُرَّيْن . وإن لكم فيهما لأسوة حسنة . ما بالكم سكتم ؟

أسلم : كلا لا أريد فراقَك يا أمير المؤمنين أبدا ما حَيِيت .

يرفأ : ولا أنا يا أمير المؤمنين .

يسار : ولا أنا يا أمير المؤمنين .

عمر : ويلكم أتُشْفِقُون من الحرية ؟ ألـيس خيرا لكـم أن تُفَكّ رقابكم ؟

يسار : يا أمير المؤمنين أتجعل لنا الخيار أم تكرِهُنا على ما تريد ؟

عمر : بل أجعل لكم الخيار .

يسار : فإنا قد اخترنا أن نبقى معك . فتلك حريتنا التى نريد .

يرفأ : أنا عندك يا أمير المؤمنين منذ ثلاثين سنة فأعيذك أن تتخلى عنى بعدما كَبِرت .

أسلم : ومن ذا يقوم على بابك يا أمير المؤمنين إن ذهب أسلم .

يسار : وأنا يا أمير المؤمنين أليس لى فى هذا الذى أعمله فى بيت مال المسلمين مثوبة عند الله وأجر؟

عمر : بلى يا يسار إن شاء الله.

يسار : فعلامَ يا أمير المؤمنين تريد أن تحرمنى ذلك؟

عمر : وأنت يا وُسَّق أتحب أن أكاتبك؟

وسق : لا يا أمير المؤمنين أنا لا أحسن التِّجارة.

عمر : ويلك لتحسننها إن مارستها. إنك لتحسن أن تكتب وتحسب.

وسق : أمن أجل دينى يا أمير المؤمنين تريد أن تُقْصِيَنى عنك؟

عمر : معاذ الله هل أنكرت منى شيئا يا وسق؟

وسق : منك يا أمير المؤمنين لا ولكن من غُلامَيْك هذين يرفأ وأسلم. إنهما يضطهدانى من أجل أنى نَصْرَانى.

أسلم : يا أمير المؤمنين إنه يُصَلِّب فى بيتك.

عمر : كيف يصنع؟

أسلم : هكذا يا أمير المؤمنين. (**يرسم علامة الصليب**)

عمر : ويحكم فليفعل ما بدا له.. تلك شَعِيرة من شَعَائر دينه.

يرفأ : لا يحلو له أن يصنع ذلك إلا أمامنا يا أمير المؤمنين!

عمر : كما تصلون أنتم أمامه. لكم دينكم وله دينه. والله لا أرى أحداً منكم يظلمه أو يهضمه لدينه إلا أوجعته.

يسار : يا أمير المؤمنين لم لا تدعه يعمل معى فى بيت المال فإنه يكتب ويحسب؟

وسق : علام يا أمير المؤمنين فأكون بمَعْزِل عن هذين.

عمر : وتُسلِم يا وسق؟

وسق : علام يا أمير المؤمنين؟

عمر : لا ينبغي أن أستعين على أمانة المسلمين من ليس منهم.

وسق : فلا يا أمير المؤمنين إذن.

عمر : أنت وما تحب. لا إكراه فى الدين.

(ينهض الموالى الأربعة ويخرجون)

أنس : وتأذن لنا كذلك يا أمير المؤمنين؟

عمر : أتريد أن تُؤامر أم سليم فى زواج سيرين من حفصة ابنتك؟

أنس : نعم يا أميرُ المؤمنين. .

عمر : وتأخذ الهرمزان معك؟

أنس : آخذه يا أمير المؤمنين.

عمر : سلِّمْ لى على أم سليم.

(يخرج أنس والهرمزان وأبو أمية وسيرين)

أسلم : (**يدخل**) محمد بن مُسلمة يا أمير المؤمنين.

عمر : ادخل يا ابن مسلمة.

(يدخل محمد بن مسلمة)

ابن مسلمة : السلام عليك يا أمير المؤمنين.

عمر : وعليك السلام ورحمة الله. خبرنى قبل أن تجلس هل ذهبت إلى نسوة الأنصار اللائى أزواجهن فى مصر؟

ابن مسلمة : نعم يا أمير المؤمنين.

عمر : ومعك دَوَاتُك وَقَراطِيسُك؟

ابن مسلمة : نعم وكتبت لكل واحدة ما أرادت أن تكتب لزوجها أو قريبها وهذه كتبهن معى .

عمر : وابن عباس ألم تَلْقَه ؟

ابن مسلمة : بلى لقيته يا أمير المؤمنين وقد طاف بنساء المهاجرين فكتب لهن وأعطانى كتبهن فهى معى كذلك .

عمر : أحسنت يا ابن مسلمة وأحسن صاحبك ابن عباس إذ كفيتمانى ذلك .

ابن مسلمة : لولا سفرى من مكان إلى مكان يا أمير المؤمنين لقمت بهذه المهمة عنك كل يوم .

عمر : جزيت خيرا يا ابن مسلمة . والله إنى ليحزننى أن أذكر أننى أخذت على نفسى للمسلمين أن من غاب منهم فى سبيل الله فأنا أبو العيال . وكنت لا أكتب لهن إلى أزواجهن فحسب بل كنت أشترى لجواريهن وغلمانهن من السوق حتى لا يُخدَعْنَ فى البيع والشراء فوا أسفا أين أنا اليوم من ذلك ؟

ابن مسلمة : أما إنك يا أمير المؤمنين على ما يشغلك من أمر المسلمين لأبو العيال بعد لجميع المجاهدين فى سبيل الله .

عمر : هيهات يا ابن مسلمة . أصبحت اليوم أستعين على ذلك بمن أجد من صالحى المسلمين وهم بين راض ومتعض .

(يدخل عبد الله بن عمر ونافع مولاه)

عبد الله : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام . بخ بخ .. يا آل عمر . تريدون أن تأكلوا على ظهرى !

عبد الله : أى شىء أغضبك يا أمير المؤمنين .؟

عمر : تصلى يا عبد الله فى بيتك وإبلك السمان تتبختر فى السوق !

عبد الله : يا ويلتا ماذا فعل الغلام بها ؟ لقد أمرته أن يعرضها فى السوق للبيع وحَرّجت عليه أن يزحم بها الطريق على الناس .

عمر : فقد زحم بها الطريق علىّ . أنَّى لك هذه الإبل السمان يا ابن عمر ؟

عبد الله : إبل أنضاء هزيلة اَشتريتها يا أمير المؤمنين وبعثت بها إلى الحِمَى أبتغى ما يبتغى المسلمون .

عمر : بخ بخ .. ابن أمير المؤمنين يرعى إبله فى الحِمَى يبتغى ما يبتغى غيره من المسلمين !

عبد الله : يا أمير المؤمنين ما كنتُ أعلم والله أن ذلك يغضبك .. لقد سمعتك مَقْدَمِى من مصر تخطب الناس على المنبر وتحضُّهُم على الاستكثار من شراء الأنعام وتربيتها ألَّا ينيخ بهم عام كعام الرمادة . وسمعتك تقول إنك أبحت لهم الحمى ليتسابقوا إلى ذلك فاشتريت أنا هذه الإبل بما غنمته من مصر .

عمر : يا ابن عمر إنى أبحت الحِمى للمسلمين وما أبحته لابن عمر .

عبد الله : وهل ابن عمر يا أمير المؤمنين إلا رجل من المسلمين ؟

عمر : ليس فى مثل هذا ويلك .

عبد الله : إن يكن فى ذلك جُنَاح فإنى أحب أن أعرفه .

عمر : جناح وأى جناح .. ألا تعرف يا عبد الله بن عمر ؟

عبد الله : فقِّهنى يا أمير المؤمنين .

عمر : ارعُوا إبل ابن أمير المؤمنين ! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين !

عبد الله : والله يا أمير المؤمنين ما قلت لهم شيئا من ذلك .

عمر : لست أنت الذى تقول .. الذين فى الحِمَى هم الذين يقولون .

عبد الله : والله ما أمرت أحدا أن يقول ذلك .

عمر : إن لم تأمُرهم بلسانك فقد أمرتهم بفعلك إذ سُقْت إلى الحمى إبلك .

عبد الله : يا أمير المؤمنين قد كان الذى كان وإنى لنادم وإنى لمُمْتَثِل فاقض فيها ما أنت قاضٍ .

عمر : يا عبد الله بن عمر .. خذ رأس مالك واجعل الربح فى بيت مال المسلمين .

عبد الله : وترضَى عنى إن فعلت يا أمير المؤمنين ولا يبقى فى نفسك شىء ؟

عمر : يبقى فى نفسى الحبُّ لك يا عبد الله والزهْوُ بك . الحمد لله الذى جعل فى آل عمر مثلك .

(**يترقرق الدمع فى عينيه**) .

عبد الله : (**يبكى**) والله إن رضاك عنى ليعدل عندى الدنيا وما فيها .

عمر : فإنى غير راض عنك بعد يا عبد الله .

عبد الله : فيم يا أبتاه ؟

عمر : حتى تعود فتلحق برفاقك المرابطين على أسوار الإسكندرية .

عبد الله : فإنى قد عزمت على ذلك يا أمير المؤمنين من قبل أن تكلمنى. وهذا محمد بن مسلمة يشهد بذلك .

ابن مسلمة : أجل يا أمير المؤمنين لقد قال لى إنه سيصحبنى فى قفولى إلى مصر .

عمر : بوركت يا عبد الله ولكنك لم تخبرنى .

عبد الله : أردت أن أستأذنك فوجدتك مشغولا بهذا الهرمزان .

ابن مسلمة : أجل يا أمير المؤمنين .. هذا الهرمزان قد شغلك .

عمر : ويحكما هذا أمير من أمراء فارس يدخل فى دين الله فكيف لا أحتفى به ؟

ابن مسلمة : لكن المهمة التى جئت فيها من مصر أدعى إلى اهتمامك .

عمر : ويحك يا ابن مسلمة والله ما شغلنى عن مهمتك شاغل قط فى يقظة ولا فى منام . ما أعجب أمر الله فى خلقه . إن عين المرء لتَنام وفكره لا ينام !

ابن مسلمة : كيف يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لقد بات عقلى البارحة يفكر فيما جاء فى كتاب عمرو من صعوبة فتح الإسكندرية حتى ألقى فى روعى حين نهضت مُنبَلَجَ الفجر إن الله قد هدانى إلى السبيل الأمثل .

ابن مسلمة : وما ذاك يا أمير المؤمنين .

عمر : هات الدواة والقلم يا أسلم .

(يدخل أسلم بالدواة والقلم والقرطاس)

عمر : اكتب يا عبد الله بن عمر ما أمليه عليك .

عبد الله : (**يأخذ القلم والقرطاس**) امْلِ يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يملى**) من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص أمير جيش مصر .. سلام عليك ومن معك .. أما بعد ..

(ستـــار)

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

شطا وارمانوسة

ملحمة عمر

شطا وأرمانوسة

برهان

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

خيمة عمرو بن العاص فى المعسكر الإسلامى الذى يحاصر الإسكندرية من المشرق بين الحلوة وقصر فاروس .

يُرى عمرو حزيناً وعنده رومانوس

رومانوس : معذرة يا أمير الجيش . ماذا حجبك اليوم عن الناس ؟

عمرو : ضقت بهم ذرعاً يا أبا الروم فأردت أن أخلو إلى نفسى .

رومانوس : بلغنى أن بك وعكةً ؟

عمرو : وعكةُ النفس يا أبا الروم لا وعكة الجسم .

رومانوس : من جرّاء كتاب أمير المؤمنين الذى ورد إليك اليوم ؟

عمرو : ومن هؤلاء الذين عندنا من أصحابه .

رومانوس : لأنهم صدّقوا ما فى كتاب أمير المؤمنين ؟

عمرو : أجل إنهم لا يرون أبعد مما تحت أنوفهم وإن أمير المؤمنين ليقول عنهم مع ذلك إن أحدهم يعدل ألف رجل !

رومانوس : فى الصبر والنية والإيمان .

عمرو : الحرب تحتاج إلى أكثر من ذلك .

رومانوس : فليقم غيرهم بإكمال ذلك .

عمرو : هذا ما كان ينبغى أن يكون فهل كان ؟ إنهم ما كادوا يسمعون ما كتبه أمير المؤمنين حتى صدقوا ما جاء فيه

وكذبوا ماتراه أعينهم وجعل بعضهم يقول لبعض : إن أمير المؤمنين لعلى حق،فوالله ما كانت تمنعنا الحصون ولا الأسوار ولا البحار ، كأنما لم يروا مناعة المدينة وهذه البحيرة من جنوبها والبحر من شمالها ، والترعة من جنوبها ، والأسوار عليها الحصون فوق الحصون من المشرق ؛ وكأنما لم نحاول مهاجمتها أول مقدمنا فأمطرتنا مجانيقهم وابلًا من حجارتها الضخمة .

رومانوس : إنما دفعتهم الحماسة إلى ذلك فاعذرهم ولا تلمهم .

عمرو : لو كنت لائماً أحداً للمت أمير المؤمنين . فهذا ثالث كتاب منه يستبطئ فتح الإسكندرية . أليس يتركنا وشأننا فإننا نرى ما لا يرى ونشهد ما لا يشهد .

رومانوس : لعلك يا أبا عبد الله لم تصف له جلية الأمر كما ينبغي .

عمرو : بلى قد بينت له كل شيء ولكنه ظل على زعمه إننا ما أبطأنا بفتحها إلا لما أحدثنا . لقد ظن أننا أخلدنا إلى النعمة وأحببنا من الدنيا ما أحب عدونا لأنى ذكرت له ذات يوم ما نحن عليه فى مقامنا هذا من حسن الحال .

رومانوس : يا ليتك لم تذكر له ذلك !

عمرو : ليبلغنه ذلك من غيرى فويل لى إذن منه .

رومانوس : لا تنس يا أمير الجيش أنك أنت الذى كنت تهون عليه فتح مصر .

عمرو : فالحمد لله إذ يسر لنا من ذلك فوق ما كنا نطمع فيه . ألم نهزم الروم فى كل معركة واجهناهم فيها ؟ وغلبناهم على

بابليون وكسرناهم فى نقيوس وكريون ثم وقفنا أمام عاصمتهم نرصدها عليهم ونتحداهم أن يخرجوا لقتالنا فلا يجرؤون ؟ فماذا يريد أمير المؤمنين منا أكثر من ذلك ؟

رومانوس : يريد نية أقوى وإيماناً أشد .

عمرو : وهل من سبيل إلى ذلك يا أبا الروم ؟

رومانوس : والله إن أمر الإيمان لعجيب ولا أرانى أستطيع أن أزيدك به علما . فدع أمير المؤمنين يطالبنا بأكثر مما نظن أنه فى مقدورنا فقد رأى من آيات الله فى تأييد المسلمين منذ صاح فيهم محمد صيحته الأولى ما لو طالبنا بأن ننقل الجبال من أماكنها لما كان ذلك بدعاً منه .

عمرو : يغفر الله لك يا أبا الروم . ماذا أبقيت لعبادة بن الصامت والمقداد ومسلمة ابن مُخلَّد ؟ لقد صرت كأنك واحد منهم .

رومانوس : هيهات يا أبا عبد الله ولكنى رأيت من هذا الرجل أمراً عجباً . كان يجد خالدً بن الوليد مندفعاً منصلتاً انصلات السيف فيحاول أن يُنَهْنِهَهُ حتى قلنا ألا يريد أمير المؤمنين أن يفتح الله البلاد للمسلمين ؟ وأراه اليوم يحرضك على المناجزة والمسارعة إذ وجدك مكيثاً حتى أقول فى نفسى : ماذا يريد أمير المؤمنين ؟ أيريد أن يفتح الدنيا فى يوم وليلة ؟

عمرو : والله لقد ضاق صدرى من إلحاحه على فى أمر ليس عنده فيه برهان . والله لقد هممت اليوم أن أغامر بأرواح المسلمين وألقى بهم إلى الهلكة .

رومانوس : كلا يا عمرو بن العاص ليس مثلك من يصنع ذلك .

عمرو : لِمَ لا ؟ حتى يرى أمير المؤمنين أن الدنيا لم تفتنا كما زعم !

وردان : (**صوته من الخارج**) أبا عبد الله . أبا عبد الله .

عمرو : ما خطبك يا وردان ؟

وردان : (**يدخل**) انظر ! ثلاثة فرسان من لروم يتجولون أمام الأسوار .

(يبرز عمرو ورومانوس إلى فناء الخيمة حيث يتطلعان إلى جهة الغرب ويدخل عبادة ومسلمة بن مخلد وعبد الله بن عمرو)

رومانوس : إنهم يشيرون بأيديهم يريدون المبارزة .

عمرو : أنا خارج لأحد الثلاثة فمن يخرج معى !

رومانوس . كلا لا تخرج أنت يا أمير الجيش . نحن نكفيك .

عبادة : أجل يا أبا عبد الله . نحن نكفيك .

عمرو : ذاك الذى يتقدمهم لا شك أنه من أبطالهم .

رومانوس : أجل .. هذا من أبطالهم .

مسلمة : أنا له يا أبا عبد الله .

عمرو : أنت يا مسلمة ؟

مسلمة : سأكفيكموه بإذن الله .

عمرو : ألا تتركه للمقداد أو لعبادة بن الصامت ؟

مسلمة : ويحك يا عمرو ، أتكره لى أن أقتل هذا العلج ، أم تكره لى الشهادة ؟

عمرو : لا أكره لك هذه ولا تلك ولكنى أريد أن تكون الضربة الأولى للمسلمين .

مسلمة : فأنا صاحبها إن شاء الله .

عمرو : فاخرج له إن شئت .

(يخرج مسلمة منطلقاً ويسمع انطلاق جواده)

عبادة : وأنا والمقداد للآخرين .

عمرو : كلا . مكانك يا ابن الصامت . اخرج أنت يا عبد الله بن عمرو وأنت يا عبد الله ابن سعد فليكف كل منكما قرنه .

ابن عمرو : **(يخرج منطلقاً)** هلم يا عبد الله بن سعد !

(يسمع صوت انطلاق جواديهما)

وردان : ذلك مسلمة بن مخلد قد بلغ إلى صاحبه .

عبادة : اللهم سلط المسلمين على المشركين .

عمرو : أليس هذا بطريقاً منهم يا أبا الروم ؟

رومانوس : بلى .. عليه شارة البطريق .

وردان : إنهما يتصاولان ويتجاولان !

عبادة : وقع أحدهما صريعاً !

وردان : مسلمة !

عمرو : لا حول ولا قوة إلا بالله . أكبَّ عليه قرنه ليجهز عليه .

وردان : اعترضه عبد الله بن عمرو وذبه عنه . مرحى يا عبد الله بن عمرو !

عبادة : الحمد لله نهض مسلمة من كَبْوَتِه !

عمرو : ليته ما نهض !

وردان : وى ! هرب الفرسان الروم صوب حصونهم ! (**كأنه يصيح بفرسان المسلمين الثلاثة**) عليكم بهم يا فرسان الله ! أدركوهم ! أدركوهنم وى ! دخلوا بابهم فأغلق عليهم . واأسفاه ! واأسفاه !

(**تتعالى صيحات الهتاف والفرح من الروم من فوق الأسوار**) .

عمرو : ماذا يقولون يا أبا الروم ؟

رومانوس : يرددون هتاف الانتصار .

عبادة : تبّاً لهم . الفرار عندهم انتصار ؟

عمرو : بل اكتفوا بالجولة الأولى وقد كانت لهم ؟

وردان : هذا مسلمة قد أقبل .

عمرو . : لا أقبل الله به .

(**يدخل مسلمة وعبد الله بن سعد**)

ابن سعد : قاتلهم الله . لم يشاؤا أن يثبتوا لنا .

مسلمة : فروا كالأنعام .

عمرو : لما انكفأ أحدكم على وجهه اعتبروا الجولة لهم علينا فرجعوا إلى حصونهم ظافرين .

مسلمة : إنها مقادير يا عمرو . زَلِقَتْ فرسى .

عمرو : مقادير ! زلقت فرسى !

مسلمة : لعل الله أراد أن يؤدبنى إذ خالفتك وأنت أميرى .

عمرو : ما ينبغى للرجل الذى يشبه النساء أن يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم .

مسلمة : غفر الله لك يا أبا عبد الله . لقد اعترضت على الله الذى خلقنى وعلى أمير المؤمنين الذى اختارنى .

عمرو : ما حيلتى وقد جللتنا خِزياً وتركت العلوج توسعنا هزؤاً وسخرية !

مسلمة : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ (يخرج) .

عبادة : لا حق لك يا ابن العاص أن تؤذى مسلمة . والله إن عشرة من أمثال ذلك العلج لا يثبتون لمسلمة ولكنها المقادير . ألا تؤمن بالمقادير يا عمرو !

عمرو : بلى يا ابن الصامت ولكنى لا ألقى عليها تبعة أعمالنا . لقد نبهته فخالف رأيى فجعل للروم علينا سبيلًا .

عبادة : لا تبتئس يا أبا عبد الله . لقد تعاهدت مع جماعة من المسلمين لئن فتحوا بابهم لمبارزة أو لمغامرة لنقتحمن عليهم الباب .

عمرو : يا صاحب رسول الله إنه ليس بابا واحداً بل دونه أبواب .

عبادة : لنقتحمنها بإذن الله جميعاً بابا بعد باب . فهل تأذن لنا أمير الجيش !

عمرو : لأكونن أول من يقتحم .

عبادة : كلا لا ينبغى أن تشذ عن الناس وأنت أمير . نحن نكفيك ذلك (يخرج)

عمرو : كلا والله لأكونن أول من يقتحم .

رومانوس : ما خطبك يا أبا عبد الله ! إنك لست اليوم على عادتك .

عمرو : ما حيلتى ! ماذا أصنع ! لقد والله ضاقت نفسى .

(يدخل عبد الله بن عمرو)

ابن عمرو : ما كلام بلغني أنك قلته لمسلمة بن مخلد ! أسفاهة يا أبت كسفاهة الجاهلية وقد أكرمك الله بالإسلام وجعلك أميراً على صحابة رسول الله ﷺ .

عمرو : أنت أيضاً ! لا تدخل يا بني فيما لا يعنيك .

ابن عمرو : قد جعلك الله أبي فكيف لا يعنيني أمرك !

عمرو : ويلك أكنت تبغي لك أباً خيراً مني !

ابن عمرو : وددت والله لو أن لي أبا لا يزلّ لسانه في صحابة رسول الله بالقبيح .

عمرو : ويلك أكل هذا من أجل كلمة قلتها في ساعة غضب !

ابن عمرو : تذكر يا أبي أنك أمير هذا الجيش !

عمرو : فقد عصاني ذلك الكثير اللحم ، فكان ما أشفقت منه .

ابن عمرو : يالله أين عزب حلمك ! إنه ما عصاك ولكن بذل نفسه . أفتلومه على أن بذل نفسه !

عمرو : إليك عني الآن . دعني .

ابن عمرو : كلا لا أدعك حتى تعترف لي أنك ما كنت في كمال وعيك .

عمرو : إي والله يا بني إن كتاب أمير المؤمنين اليوم قد أفقدني حلمي وأخرجني من طوري .

(ستـــار)

المشهد الثانى

نفس المنظر كما فى المشهد الأول .

يرى عمرو بن العاص وعنده رومانوس وعبادة ابن الصامت وابن حُذافة وعبد الله بن عمرو ووردان .

عمرو : آه . من يخبرنى ماذا فعلوا بمَسلمة !

رومانوس : ما أحسبهم إلا مرسليه إلينا عما قريب .

عمرو : أخشى أن يكونوا غدروا به .

رومانوس : إنى لا أبرىء هؤلاء الروم من الغدر ولكن قد يمنعهم من ذلك أن المفاداة به خير لهم من قتله .

وردان : لا سيما وقد أبقى مَسلمة على الذى بارزه منهم إذ تمكن من قتله فلم يشأ أن يقتله .

عمرو : ذلك أحرى أن يهيج حقد ذلك الرومى عليه .

رومانوس : لا يستطيع ذلك الرومى أن يقتله إلا بإذن رؤسائه وهؤلاء لن يأذنوا له بذلك .

عمرو : والله إنى بعد لمشفق على مَسلمة .

عبادة : هوِّن عليك يا عمرو فما مسلمة بمن يجزع من الشهادة إن ساقها الله إليه .

عمرو : صدقت ولكنهم كانوا يطلبوننى فآثر هو أن يفدينى بنفسه إذ أوهمهم أنه هو الأمير .

ابن حذافة : يا أبا عبد الله كل منا كان مستعدا أن يقوم بما قام به مسلمة .

عمرو : ولكن لمسلمة عندى شأناً آخر .

ابن عمرو : من أجل أنك شتمته يوم زلقت فرسه ؟

عمرو : أجل يا بنى لشتان ما بين صنيعى وصنيعه .

ابن عمرو : اليوم أدركت ذلك ؟

عمرو : نعم .. ما أفحشت قط فى حياتى إلا ثلاث مرات : مرتين فى الجاهلية . وهذه الثالثة وما منهن مرة إلا وقد ندمت . وما استحييت من واحدة أشد من هذه التى زل بها لسانى فى ابن مخلد .

(تسمع جلبة من الخارج)

صوت : ويلكم ألا تعرفوننى ؟ أنا أبو رافع .

عمرو : (**يصيح**) دعوه يا قوم . هلم يا أبا رافع !

(يدخل أبو رافع وهو فى زى القبط)

أبو رافع : ما أسرع ما نسينى رجالك . لقد أرادوا أن يمنعونى .

عمرو : كلا ما نسوك يا أبا رافع . ولكنهم خافوا أن يكون أحد العدو قد تمثَّل بك .

أبو رافع : ولكنك عرفتنى .

عمرو : من صوتك . أهلًا بك يا أبا رافع . كيف أنت ؟

أبو رافع : بخير والحمد لله .

عمرو : جئت وحدك ؟

أبو رافع : نعم .

عمرو : وأين تركت صاحبك ؟

أبو رافع : أتعنى ...

عمرو : شطا . لا تخف فليس بيننا غريب .

أبو رافع : تركته داخل مدينة الإسكندرية وهو الذى أرسلنى إليك .

عمرو : استطاع أن يصنع لنا شيئاً ؟

أبو رافع : نعم .. استمال قلوب القبط الموجودين فى المدينة .

عمرو : هذا حسن والأبواب ؟

أبو رافع : اتصل ببعض القائمين عليها فوعدوه خيراً .

عمرو : فهل اتفق منهم على موعد مسمى ؟

أبو رافع : لا يا با عبد الله .

عمرو : ماذا منعه من ذلك . ماذا ينتظر ؟

أبو رافع : إنه لا يرى أن نخاطر بأرواح جنودنا فى هذا المركب الوعر .

عمرو : ويلك يا أبا رافع هلّا أفهمته أننا نقاتل فى سبيل الله وأننا لا نخاف الموت ؟ هلا أفهمته أننا لا نستطيع أن نبقى خارج أسوار الإسكندرية إلى الأبد ؟ .

أبو رافع : رويدك يا أبا عبد الله حتى أتم كلامى . لقد جاءه كتاب من خاله المقوقس أنه قادم إلى مصر عما قريب فهو يرى أن ننتظر قدوم المقوقس لعله يتفق معنا على خطة أفضل من اقتحام أبواب المدينة .

عمرو : إن هذا والله لنبأ سار فالمقوقس لنا صديق أمين . ولكن أمير المؤمنين قد استبطأ فتحنا للإسكندرية ولا منا فى ذلك أشد اللوم فماذا نقول له اليوم ؟ أنقول له إننا ننتظر حتى يعود المقوقس من أرض الروم ؟

رومانوس : لا حاجة يا أبا عبد الله أن تذكر ذلك لأمير المؤمنين .

أبو رافع : أجل لا تذكر له شيئاً عن المقوقس حتى يتم قدومه ونرى موقفه منك .

عمرو : فبأى شيء نعتذر لأمير المؤمنين إن تأخرنا بعد عن اقتحام أسوار الإسكندرية ؟

أبو رافع : بين لأمير المؤمنين ما هى عليه من المنعة وأن اقتحامها ليس من الرأى .

عمرو : ويحك بينت له ذلك غير مرة فلم يشأ أن يصدقنى وإن بيننا لطائفة يرون رأيه وهم يشهدون ما نشهد .

عبادة : لعلك تعنينا أنا وأصحابى يا عمرو .

عمرو : أجل . إياكم أعنى !

عبادة : غفر الله لك يا ابن العاص . لئن كنا نرى رأى أمير المؤمنين فى استبطاء فتح هذه المدينة إن ذلك لا يسقط عنا طاعتك ، فأنت أميرنا ونحن جنودك فمهما تأمرنانصدع بأمرك .

عمرو : بوركت يا صاحب رسول الله .

عبادة : بيد أنه ليس لك يا ابن العاص أن تضيق ذرعا بكتاب أمير المؤمنين ونصحه وإرشاده فتأتى أموراً أنت عليها أول النادمين .

عمرو : ما برحتم تلوموننى على اقتحام باب المدينة ذلك اليوم .

عبادة : أجل . ما كان لأمير جيش المسلمين أن يخاطر بنفسه فى غير طائل أو فيما يستطيع غيره أن يكفيه .

عمرو : صدقت يا عبادة والله إنى لنادم وأن الندم لفالق كبدى إن لم يعد إلينا مسلمة ابن مخلد .

أبو رافع : سيعود مسلمة إلينا بإذن الله .

الجميع : إن شاء الله .

أبو رافع : إئذن لى يا أبا عبد الله لأرى أهلى ثم أعود إليك .

عمرو : أجل انطلق يا أبا رافع إلى أهلك .

(**يخرج أبو رافع**) .

عبادة : ويح أبا رافع . لقد عزب عنا أنه قدم بعد غياب طويل .

عمرو : أجل حتى ذكرنا هو بنفسه .

(**يدخل يونس**) .

عمرو : ماذا وراءك يا يونس ؟

يونس : رسول من عند الروم يريد لقاءك أيها الأمير .

عمرو : دعه يدخل .

يونس : (**يدنو من عمرو**) بربك أيها الأمير سله عن أرمانوسة .

عمرو : ويحك من يكون ؟ شطا ؟

يونس : نعم .

عمرو : أين هو ؟ دعه يدخل .

(**يخرج يونس ثم يدخل ومعه شطا**) .

شطا : تحية لك أيها الأمير . أنا رسول من الروم إليك .

عمرو : مرحباً بك يا ابن الهاموك . لعلهم أرسلوك فى شأن مسلمة ؟

شطا : نعم . إن أطلقت لهم جميع من عندك من الأسرى أطلقوه لك .

عبادة : ما هذا ؟ أما برحوا يظنون أنه هو الأمير ؟

شطا : كلا قد تبين لهم أنه ليس هو الأمير ولكنهم لا يشكون أنه من كبار رجالكم وأبطالكم .

عمرو : كم عندنا من الأسرى يا وردان ؟

وردان : خمسة عشر أسيراً .

عمرو : والله لو كانوا مائة لأطلقتهم من أجل مسلمة .

شطا : بوركت أيها الأمير إن عملك هذا سيضاعف ثقة القوم لي وينفي عني كل ريبة .

أصوات : (**من الخارج**) رسول أمير المؤمـــــنين ! رسول أمير المؤمنين !

(ينهض وردان ويخرج) .

(يهم شطا بالخروج فيستوقفه عمرو) .

عمرو : مكانك يا شطا . أنت منا .

(يعود وردان ومعه محمد بن مَسلمة وعبد الله بن عمر) .

ابن مسلمة : السلام عليكم :

عمرو : وعليكما السلام ورحمة الله . مرحباً بمحمد ابن مسلمة . مرحباً بعبد الله بن عمر . كيف أمير المؤمنين وأهل المدينة ؟ .

ابن عمرو : هم جميعاً بخير .

عمرو : إنك أبطأت علينا يا ابن مسلمة .

ابن مسلمة : وجدت أمير المؤمنين مشغولًا بالهرمزان .

عمرو : الهرمزان صاحب الأهواز ؟

ابن مسلمة : نعم .

عمرو : ما باله ؟

ابن مسلمة : قدم إلى المدينة وأسلم .

عبادة : الله أكبر .

ابن عمرو : الله أكبر .

رومانوس : الله أكبر .

عمرو : عهدى بأمير المؤمنين لا يشغله شيء عن شيء .

ابن مسلمة : أجل ولكنه استبقانى أياماً عنده لا أكاد أفارقه . يسألنى الفينة بعد الفينة عن أحوالكم وعن هذه المدينة التى استعصت عليكم حتى أملى علينا هذا الكتاب .

(يناوله رسالة)

(يفض عمرو الرسالة وينظر فيها بإمْعَانٍ)

عبادة : خير إن شاء الله .

عمرو : خير والله وبركة . لله در ابن حنتمة أىُّ رجل هو !

عبادة : ماذا كتب يا عمرو ؟

عمرو : والله يا قوم إنِ أمير المؤمنين وهو غائب عنا ليدرك من أمرنا وأمر هؤلاء الروم وأمر هذه المدينة ما لا ندرك نحن ونحن شهود .

عبادة : اتْلُ علينا الكتاب . لقد زدتنا شوقاً إليه .

عمرو : (**يتلو الرسالة**) من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو ابن العاص أمير جيش مصر . سلام عليك وعلى من معك . أما بعد . فتدَبّرْ ما أقول لك . اترك على حصار ثغر الإسكندرية طائفة من جندك عليها عبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد ، وسر بالباقين فافتح بهم الثغور الأخرى والمدن التى تتحكم فى الأنهار . فإذا فعلت ذلك رجوت أن تسلم لكم الإسكندرية غير بعيد . فلعمرى لا يفلح ثغر يعزل من الأرض التى هو فيها فلا يعيش أهله إلا على الرزق الذى يرد إليه من قبل البحر . إن لم يكن لكم سلطان على البحر . فليكن لكم سلطان على البر والسلام .

(ستــار)

المشهد الثالث

حجرة فى بيت الهاموك بدمياط

هيلانة : لا يعقل يا ولدى أنَّ أباك ...

شطا : أنا سمعته يا أمى بأذنى هاتين .

هيلانة : لعله أراد أن يجامل أبا طور هذا حتى لا يشى به عند أولى الأمر فى القسطنطينية .

شطا : وما شأن القسطنطينية بنا اليوم ؟ لم يبق لها علينا أى سلطان .

هيلانة : أنا لا أفهم كثيراً فى السياسة ولكن أباك دائماً يحب الحيطة .

شطا : يحتاط من ناحية الروم وهم بعيد ولا يحتاط من ناحية العرب وهو بين أيديهم ؟

هيلانة : هو يا ولدى مطمئن من ناحية العرب .

شطا : لمكان خالى المقوقس ؟

هيلانة : نعم .

شطا : استغلال دنئ !

هيلانة : دَنِئ ؟!

شطا : يعتمد على جاه خالى عند العرب ، ثم يطعنه من الخلف .

هيلانة : أبوك يطعن خالك ؟

شطا : نعم . بتواطئه مع هذا الخائن أبى طور.

هيلانة : أرمانوسة يا بنتى أتصدقين مثل هذا الكلام ؟

أرمانوسة : كم أود يا خالة ألا أصدِّقه .

(يدخل الهاموك بغتة)

الهاموك : ترى عن أى شىء تتحدثون ؟

هيلانة : لا شىء يا عزيزى لا شىء .

شطا : كلا يا أمى يجب أن تصارحيه بكل شىء .

هيلانة : ليس الآن .. يا ولدى .. ليس الآن .

شطا : بل الآن .

الهاموك : ها .. لعلهما يريدان التعجيل بالزواج ؟

هيلانة : أجل يا زوجى الحبيب . لقد طارا طويلًا وآن لهما أن يستقرا فى عُشٍ .

الهاموك : لكن السماء ما زالت مُلَبَّدَةً بالغيوم . ألا ينتظران قليلًا حتى تنقشع هذه السحب .

شطا : إن السحب التى تعنيها يا أبى لن تنقشع أبداً .

الهاموك : بلى يا ولدى . عما قريب ستنقشع .

شطا : أوقد صدقت أبا طور فيما زعم لك ؟

الهاموك : أبو طور ؟ وما شأن أبى طور فى ذلك ؟

شطا : يا أبى إنى ابنك وما ينبغى أن تخفى عنى شيئاً .

الهاموك : أنا لا أخفى عليك شيئاً . ماذا تريد أن تعرف ؟

شطا : ماذا جاء بأبى طور هذا إليك ؟

الهاموك : لا شىء .. زيارة قام بها لصديق قديم .

شطا : فى أى شىء حادثك ؟

الهاموك : سؤال غريب . فى شؤون شتى من شؤوننا الخاصة .

شطا : هأنتذا قد أخفيت عنى .

الهاموك : شطا .. قل لى بحياة المسيح ماذا تريد ؟

شطا : يعز على يا أبى أن أراك تلعب بالنار.

الهاموك : ألعب بالنار ؟

شطا : مع هذا الأفّاق الذى كان عندك . إنى قد سمعت ما دار بينك وبينه .

الهاموك : ويلك أكنت تتجسَّس علىّ ؟

شطا : أنا لم أتجسس عليك بل على أبى طور .

الهاموك : أبو طور كان فى خلوة معى فى بيتى فالتجسّس عليه تجسس على .

شطا : يشفع لى فى ذلك أننى أردت إنقاذك .

الهاموك : إنقاذى ؟

شطا : من الخيانة .

الهاموك : أى خيانة ؟

شطا : قلت لك يا أبى إنى سمعت كل ما دار بينك وبينه .

الهاموك : هل لى يا بنى أن أكلمك على انفراد لأوضح لك ما التبس عليك ؟

(يهم بالخروج) .

هيلانة : بل نحن نخرج .. هلم يا أرمانوسة .

شطا : مرهما بالبقاء . يا أبى حتى توضح لهما ما التبس عليهما أيضاً .

الهاموك : فيما بعد . فيما بعد .

(**تخرج هيلانة وأرمانوسة**) .

الهاموك : سمعت حقاً ما دار بينى وبين أبى طور ؟

شطا : نعم .

الهاموك : ما تقول إذن فى تلك القسوة التى أنزلها العرب بأهل إخنا وسلطيس وبلهيب ؟

شطا : لقد استحقوا ما أصابهم . من قال لهم اغدروا وانقضوا عهد الصلح ؟

الهاموك : هذا العهد كان مفروضاً عليهم بالقوة .

شطا : إن القائد العربى لم يفرضه على أحد .

الهاموك : خالك المقوقس هو الذى فرضه عقب عودته من القسطنطينية .

شطا : بالإقناع والمنطق .

الهاموك : بل بالقوة .

شطا : القوة كانت فى أيديهم هم .

الهاموك : بل كانت فى يده . قوة أمضى من قوة السلاح .. قوة السلطان . كانت مارتينة من خلفه .

شطا : لقد استغل نفوذها إن كان لها نفوذ فى التعجيل بتسوية الأمور .

الهاموك : لمصلحة العرب .

شطا : بل لمصلحة أهل مصر أولا قبل مصلحة العرب . ثم لمصلحة الروم أنفسهم فلولا هذا الصلح لاقتحم العرب الإسكندرية وإذن لساقوهم أسرى ولاستولوا على أموالهم وأملاكهم .

الهاموك : كلا ما كانوا ليقدروا على الإسكندرية أبداً ولو حاصروها عشر سنين .

شطا : بعدما دانت لهم بلاد الدِّلتا والصَّعيد ؟

الهاموك : ماذا كان يضطرُّها إلى التسليم ورزقها يأتيها من البحر وليس يعوزها شيء ؟

شطا : يا أبي إن الروم أنفسهم قد آيسوا من البقاء فى البلاد . أفتريد أنت أن تستبقيهم فيها ليذيقوا أهلها المزيد من ظلم واضطهاد ؟

الهاموك : يا بنى إنى أخشى أن يصيبهم غداً من العرب مثل ما أصابهم من الروم أو أشد .

شطا : إذن نكافحهم مثلما كافحنا الروم .

الهاموك : ولم لا نكفى أنفسنا هذه المؤونة ؟

شطا : كيف ؟

الهاموك : إذا اتفقنا اليوم مع الروم على مثل ما اتفقنا عليه مع العرب .

شطا : أتظن الروم يقبلون ؟

الهاموك : بعد هذا الذى رأوه لا شك أنهم سيقبلون .

شطا : ربثما يستعيدون سلطانهم فيعودون سيرتهم الأولى .

الهاموك : إذن نكافحهم من جديد .

شطا : يا أبي لقد غدوت اليوم أحرص على الروم من الروم على أنفسهم .

الهاموك : من أجل مصر يا شطا وأهل مصر .

شطا : بل من أجل نفسك . لقد استطاع أبو طور أن يخدعك إذ زعم لك أنه سيجعلك الرجل الثانى بعده إذا تزوج أيفانيا ابنة هرقل وجلس معها على عرش مصر .

الهاموك : سمعته إذ قال ذلك ؟

شطا : نعم

الهاموك : أليس ذلك خيراً لى من أن أفقد كل شيء ؟

شطا : إنك يا أبى لن تفقد شيئاً . ستبقى والى دمياط كما أنت .

الهاموك : كلا لا أستطيع أن أتعاون مع هؤلاء العرب .

شطا : ماذا يمنعك ؟

الهاموك : المستقبل للروم .

شطا : ما زلت تطمع فى انتصارهم ؟

الهاموك : فى النهاية .

شطا : أية نهاية ؟ هذه نهايتهم .

الهاموك : كلا لا ريب عندى أنهم سيطردون العرب من البلاد كما طردوا الفرس منها من قبل .

شطا : اسمع يا أبى . إنى لن أسكت على هذا الذى سمعت .

الهاموك : ماذا تعنى ؟

شطا : لأكتبن إلى خالى المقوقس بما دار بينك وبين أبى طور .

الهاموك : ويلك ما كفاك أن تجسست على حتى تشى بى .

شطا : يجب أن أكشف لخالى هذه الخيانة . لا يصح أن توهمه أنك معه وأنت عليه .

(يصمت الهاموك هُنَيْهة ثم يرسل قهقهة عالية)

شطا : ما خطبك يا أبى ؟

الهاموك : إنك لسريع التصديق يا بنى . كيف يعقل عندك أن أخرج على سياسة صهرى المقوقس بمثل هذه السهولة ؟

شطا : ما كنت لأصدق لو لم أسمع ذلك بأذنى .

الهاموك : إنك مازلت غِرًّا يا بنى . أوَ تظن أن هذا أول لقاء بينى وبين أبى طور ؟

شطا : ما أذكرا أنه دخل بيتنا منذ جاء هؤلاء العرب إلى بلادنا .

الهاموك : أجل لكنى كنت أختلف سراً إلى بيته فى تنّيس . أتدرى لِمَهْ ؟

شطا : لمه ؟

الهاموك : لكى أستدرجه حتى أعرف ما عنده منذ بلغنى أن حزب أيفانيا المناهض لسياسة خالك يصطنع أباطور ويعتمد عليه .

شطا : أحقاً يا أبى ما تقول ؟

الهاموك : سامحك الله يا ولدى . ما كان ينبغى أن تظن بى غير ذلك .

شطا : (**فرحاً**) الحمد لله . دعنى أقبل رأسك (**يقبل رأس أبيه**) الآن أطمأنت نفسى واستراح بالى .. اغفر يا أبى ما أسأت الظن بك .

الهاموك : لا تثريب عليك يا بنى .. ما كنت تعرف جلية الأمر .

(ستـــار)

المشهد الرابع

فى دار عمرو بن العاص بالفسطاط

عمرو : مرحباً بك فى دارنا أيُّها البِطريق الصالح .

بنيامين : شكراً لك أيها الأمير . أين العِلّيَة التى استقبلتنى فيها إذْ زُرْتُك فى المرة الأولى ؟

عمرو : تسألنى عنها .. ألم تعلم ماذا حلَّ بها ؟

بنيامين : ماذا حل بها ؟

عمرو : أمرنى أمير المؤمنين بهدمها وإزالتها .

بنيامين : علام ؟

عمرو : حتى لا أطلع على عورات جيرانى المسلمين .

بنيامين : وكيف علم أمير المؤمنين بذلك ؟

عمرو : أمير المؤمنين لا تفوته فائتة ؟

بنيامين : ليت أمير المؤمنين تعنيه شؤون القبط كما تعنيه شؤون المسلمين !

عمرو : إنه لكذلكَ لا يفرق بين شأن وشأن ولا يشغله شيء عن شيء .

بنيامين : إذن فلن يسكت على تلك العقوبة القاسية التى أُنزلتموها بأهل إخْنَا وسَخَا وبَلْهِيب .

عمرو : لا ينبغى لك أن تسمى العدل قسوة .

بنيامين : بل لا ينبغى لك أن تسمى القسوة عدلًا .

عمرو : وماذا تريد منى أن أصنع يا بنيامين ؟

بنيامين : امنن عليهم وأطلق سراحهم . غرمهم ما شئت إن شئت ولكن أعد إليهم حريتهم واجعلهم كما كانوا أهل ذمَّة .

عمرو : أيرضيك يا بنيامين أن يعود سلطان الروم على البلاد ؟

بنيامين : لا ولا كرامة .

عمرو : فإن أولٰئك الغادرين من القبط كانوا يعملون من أجل الروم فلو لم نضرب على أيديهم لفشا الغدر فى كل مكان فإن الغدر يعدى كالجرب .

بنيامين : هذا حقٌّ ولكن أولٰئك القبط كانوا قد أكرهوا على ذلك .

عمرو : من الذى أكرههم ؟

بنيامين : زعماء الروم الذين كانوا عندهم .

عمرو : لما اقتحمنا هذه المدن والقرى لم نجد فيها أحداً من الروم .

بنيامين : كانوا حينئذ قد هربوا فى القوارب إذ يئسوا من النصر وخشوا أن يقعوا فى الأسر .

عمرو : لقد ناديناهم قبل اقتحام مدنهم أن يخرجوا من عندهم من الروم أو يخلوا بيننا وبينهم فأنكروا وجود الروم بينهم وقالوا إنهم الذين يقاتلوننا لا الروم .

بنيامين : لقد أكرهوا على هذه الدعوى أيضاً أيها الأمير .

عمرو : لا برهان على ذلك .

بنيامين : قولى هذا هو البرهان .

عمرو : ما كنت لديهم .

بنيامين : لا يخفى على أمرهم .

عمرو : لكنى أنا المسؤول قِبَل أمير المؤمنين لا أنت .

بنيامين : فلنحتكم إلى أمير المؤمنين إن شئت.

عمرو : حباً وكرامة .

(يدخل وردان)

وردان : المقوقس يا أبا عبد الله قد أقبل .

بنيامين : المقوقس ؟

عمرو : جاء فى موعده .

بنيامين : لِمَ لَمْ تخبرنى بأنه آتٍ عندك ؟

عمرو : أحببت أن تلقاه فى بيتى .

بنيامين : لكنى لا أريد لقاءه .

عمرو : فيم يا بنيامين ؟

بنيامين : لو عرفت أيها الأمير ما كان فى حقنا منه.

عمرو : قد سمعت بكل شىء .

بنيامين : وما نالنى منه خاصة . لقد أحرق أخى بالنار .

عمرو : قد سمعت بذلك كله ولكنه تغير اليوم وأناب . ومن تاب تاب الله عليه .

بنيامين : أنا لا أستطيع أن أسامحه أبداً .

عمرو : إن دينكم ليأمر بالعفو والغفران .

بنيامين : أجل وإن مما زاد كراهيتى لهذا الرجل أنه جعلنى أخالف وصايا المسيح فيه .

عمرو : إذن فابق هنا بحيث يمكنك أن تسمعه وتراه دون أن يراك فإن وجدت خيراً لقيته وإلا انصرفت .

بنيامين : لا بأس .

عمرو : ادخل به يا وردان .

(يخرج عمرو بالبطريق بنيامين ثم يعود)

(يدخل المقوقس)

عمرو : (**يستقبله على الباب**) مرحباً بالمقوقس ! مرحباً بالصديق العزيز ! مرحباً بكبير القبط والروم .

المقوقس : معذرة . انْسُبْنى إلى القبط إن شئت فأما الروم فلست منهم وليسوا منى .

عمرو : اجلس . اجلس يا كبير القبط . أتدرى من كان هنا عندى ؟

المقوقس : من ؟

عمرو : بطريق القبط الأكبر بنيامين .

المقوقس : وددت والله لو لقيته عندك عسى أن يسامحنى فيما كان منى فى حقه وحق أخيه .

عمرو : لعله يعود بعد قليل فتلقاه .

المقوقس : اليوم ؟

عمرو : نعم .

المقوقس : إذن يكون اليوم أسعد أيامى . أتدرى يا عمرو كيف أقنعت الروم والقبط فى الإسكندرية بالموافقة على الصلح ؟

عمرو : كيف ؟

المقوقس : قلت للروم إن البِطريق بنيامين قد أمضى الصلح معك فإذا امتنعوا هم فسيمضى الصلح دون أن يكون لهم فيه حلٌّ ولا عقد ويخسرون المزايا التى يخولها لهم الصلح. أما القبط فما كادوا يسمعون اسم بنيامين حتى صاحوا جميعاً نحن مع بنيامين

عمرو : لله درُّك يا مقوقس ما أبرعك فى اجتذاب قلوب الناس .

المقوقس : أين براعتى يا عمرو من براعتك ؟ لقد عرفت كيف تصل إلى قلب مصر إذ وصلت إلى قلب بطريقها بنيامين . إن قيصر عذبنى ظناً منه أننى أنا الذى خذلت القبط عن الروم وما علم أن أثرى فى ذلك ضئيل جداً إذا قيس بأثر البطريق بنيامين . (**يدخل وردان**)

وردان : البطريق بنيامين .

عمرو : مرحباً به . دعه يدخل . (**يدخل بنيامين**) الحمد لله الذى جمع فى بيتى بين عظيمى القبط بنيامين والمقوقس !

(يتصافح بنيامين والمقوقس ويهم المقوقس أن يعانق صاحبه ولكن بنيامين يتغافل عن ذلك) .

المقوقس : الحمد لله إنك لفى صحة جيدة يا أخى البطريق .

بنيامين : ليس من أجل أن مطاردتكم لى كانت رحيمةً أو هينة بل لأنى كنت حريصاً على صحتى حفاظاً على شعلة العقيدة أن يطفئها قيصر ورجال قيصر .

المقوقس : طب بالاً فقد أهلك الله قيصر وطوى ملكه .

بنيامين : الحمد لله . لقد انتصف الله لنا منه بهؤلاء المسلمين . إن لله حكمة لا يعلمها إلا هو .

المقوقس : صدقت إن لله حكمة لا يعلمها إلا هو . ألا ترى كيف انتقم لك منى فسلط على قيصر نفسه الذى من أجله عذبتك واضطهدتك. ثم ألا ترى كيف فرق قيصر بيننا وهو مسيحى مثلنا وجمع هذا العربى بيننا وهو على غير ديننا ؟

(يسود صمت قصير يبدو فى خلاله أن بنيامين لا يستطيع الصفح عن المقوقس)

عمرو : كيف رأيت مدينتنا الجديدة يا مقوقس ؟

المقوقس : حسنة يا عمرو ولكن الإسكندرية أحرى أن تكون عاصمة مصر .

عمرو : إن تكن فسطاطنا اليوم صغيرة فستنمو وتتسع على مر الأيام .

المقوقس : لو اتخذت الإسكندرية عاصمة لك فستأمن عليها غدرات الروم من البحر .

عمرو : إن كنت تخشى عليها من غدرات الروم فذلك أحرى ألا تصلح لنا عاصمة .

المقوقس : كلا لن يجرؤوا عليها إذا اتخذتموها عاصمة .

عمرو : ماذا ترى يا بنيامين ؟

بنيامين : أرى أن هذه الفسطاط الجديدة بجوار منف القديمة ستكون أصلح لتوسطها فى البلاد ولأنها أقرب إلى بلادكم .

عمرو : وهذا ما رآه أمير المؤمنين كذلك .

بنيامين : لقد والله أصاب أمير المؤمنين .

عمرو : وكيف حال الإسكندرية يا مقوقس ؟

المقوقس : سلنى عمن بها من الروم يا عمرو .

عمرو : ما خطبهم ؟

المقوقس : أخذوا يرهقوننى بخلافاتهم وتعلاتهم منذ بلغهم من القسطنطينية أن مارتينة أرملة هرقل التى تناصرنى قد ضعف نفوذها ونفوذ ابنها هرقليوناس على حين قوى نفوذ أبيفانيا ابنة هرقل التى تناصبنى العداء وتدعو لقسطانز ابن أخيها قسطنطين .

عمرو : لا تخف يا مقوقس . فلا شأن لنا بأحد فى القسطنطينية وإنما شأننا فيما يخص الروم معك،فإن وجدت منهم غدراً ونقضاً للعهد الذى بيننا فأخبرنى فوالله لأؤدبنهم شر تأديب .

المقوقس : إنهم أغروا قبط الإسكندرية وغيرهم فجعلوا يطالبوننى بإعفائهم من دفع الجزية والخراج أسوة بما كان متبعاً فى عهد قيصر من إعفاء أهل الإسكندرية جميعاً .

عمرو : أفلا يكون ذلك ظلماً يا مقوقس لو أجبناهم إلى ما يطلبون ؟

المقوقس : إن شئت حققت لهم ما يريدون ريثما يتم رحيل الروم من البلاد .

عمرو : كلا ، ينبغى أن يعلم أهل الإسكندرية ألا فضل لهم على غيرهم من أهل البلاد وأن كل امتياز كان لهم فى عهد قيصر فهو موضوع .

المقوقس : يعز على يا عمرو أن ترفض هذا الطلب وإن كان يسرنى تمسكك بالعدل بين الجميع.ولكن لى طلباً آخر أهم من هذا ويعنينى أمره أكثر فهل لك أن تعدنى بتحقيقه ؟

عمرو : نعم إن كان ذلك فى ملكى .

المقوقس : هؤلاء القبط الذين أسرتهم من أهل إخنا وسخنا وبلهيب لو أطلقت سراحهم وأعدت إليهم حريتهم وأعدتهم كما كانوا أهل ذمة .

عمرو : أتشفع للغادرين ؟

المقوقس : نعم إذا أكرهوا على الغدر .

عمرو : عجباً لقد كان البطريق بنيامين يطالب بنفس هذا الذى تطالب به .

المقوقس : إذن فلا مناص لك من تلبيتنا إلى ما نريد . ألم تقل لى يوماً إننى عن الروم أمضيت الصلح وأن البطريق بنيامين أمضاه عن القبط ؟

عمرو : بلى قد قلت ذلك وإنى لصادق .

المقوقس : إذن فإنى عن الروم أعترف بأنهم كانوا هم السبب فيما وقع من أهل هذه المدن الثلاث من التمرد ونقض العهد .

بنيامين : وأنا أشهد للقبط بأنهم كانوا مكرهين على ذلك من قبل الروم .

(يقوم إلى المقوقس فيعانقه عناقاً حاراً)

المقوقس : الحمد لله إذ رضيت عنى أيها البطريق الجليل !

بنيامين : ماذا ترى لو احتكمنا فى هذا الأمر إلى أمير المؤمنين ؟

المقوقس : لو أمضاها عمرو من عنده كان أفضل .

عمرو : كلا قد قضيت فى ذلك قضائى فلا سبيل إلى نقضه .

المقوقس : إذن فلنحتكم إلى أمير المؤمنين .

(ستــار)

المشهد الخامس

فى بيت الهاموك بدمياط

المقوقس : (**يتلفت كالخائف**) أخشى أن تسمعنا خالتك هيلانة .

أرمانوسة : اطمئنّ يا خال .. إنها فى المطبخ .

المقوقس : قلت إن شطا نفسه هو الذى أخبرك ؟

أرمانوسة : نعم .

المقوقس : قال لك إنه سيجمع جيشاً ليقاتل به أباه ؟

أرمانوسة : نعم .

المقوقس : ليته كان استشارنى فى ذلك .

أرمانوسة : وأين كان يجدك ؟ لقد فوجئ بحركة أبيه فلم يعلم بها إلا بعدما توجه أبوه إلى تَنِّيس ؟

المقوقس : ومتى توجه أبوه إلى تنيس ؟

أرمانوسة : منذ أسبوعين .

المقوقس : يالسوء حظى ! أترك أعمالى بإسكندرية وأجىء عندكم لأشهد عرسا فأجد مكان العرس حرباً !

أرمانوسة : ذاك يا خالى من سوء حظى أنا وقلة بختى .

المقوقس : لا بأس . اصبرى قليلًا يا أرمانوسة .

أرمانوسة : إلى متى أصبر ؟ لقد أوشكت أن أحشَر فى زمرة العوانس .

المقوقس : العوانس ؟ حاشا لله . جمالك يا بنيتى يحميك من ذلك .

أرمانوسة : صه . هذه خالتى قد أقبلت .

(**تدخل هيلانة**) .

هيلانة : ما بالكما سكتُّما حين أقبلت ؟

المقوقس : لتشتركى معنا فى الحديث .

هيلانة : (**فى ارتياب**) أى حديث ؟

المقوقس : فى أى حديث تحبين . ماذا صنعت لنا اليوم فى مطبخك ؟

هيلانة : دعنى من هذا . كنتما تتحدثان عن زوجى وابنى .

المقوقس : أجل .

هيلانة : ماذا كنتما تقولان ؟

المقوقس : كنت أقول لأرمانوسة كان ينبغى أن تخطرونى حين أردتم تأجيل يوم العرس عن موعده فإنى مشغول كما تعلمون .

هيلانة : كلا يا قيرس إننا لم نرد تأجيله .

المقوقس : فهأنذا قد حضرت من الإسكندرية ولم أجد لا شطا ولا والده .

هيلانة : تلك هى المحنة يا أخى . لا أدرى ماذا جرى لشطا وأبيه .

المقوقس : لقد أخبرتمونى أن الهاموك توجه إلى تنيس ليبتاع منها الثياب الفاخرة للعروسين .

هيلانة : هذا ما ادعاه حين ذهب .

المقوقس : ادعاه ؟

هيلانة : لو كان صادقاً فيما ادعاه لكان قد رجع قبل اليوم .

المقوقس : لعله لم يجد فى السوق مبتغاه فانتظر حتى يجده .

هيلانة : كلا يا أخى قلبى يحدثنى أن وراء ذلك شراً .

المقوقس : لِمَ تتوقّعين الشر ولا تتوقعين الخير ؟

هيلانة : أراد شطا أن يصحبه فى رحلته إلى تنيس فرفض .

المقوقس : وأى شيء فى ذلك ؟

هيلانة : وبعد سفر أبيه بيومين قرر هو السفر فجأة وهو هائج مائج .

المقوقس : ألم تقولوا إنه سافر إلى أشموم ليجيء لكم بأجود الجبن والعسل؟

هيلانة : هذا ما زعمه لنا والله أعلم بما فى نيته .

المقوقس : هيلانة يا أختاه علام هذا التطير والتشاؤم ؟

هيلانة : رأيت البارحة رؤيا أفزعتنى وملأت قلبى رعباً .

المقوقس : ماذا رأيت ؟

هيلانة : كأنما كان شطا وأبوه يتبارزان بالسيف فاختلفا ضربتين فسقطا صريعين .

المقوقس : هونى عليك . هذه أضغاث أحلام .

(يسمع وقع جواد ثم ينقطع)

أرمانوسة : **(تنظر من الشباك)** هذا شطا قد عاد . الحمد لله .

هيلانة : وأبوه . ماذا جرى لأبيه ؟

المقوقس : هو من طريق وأبوه من طريق .

هيلانة : إنى خائفة .

(يدخل شطا)

شطا : خالى أنت هنا . الحمد لله إذ نجوت .

المقوقس : نجوت مماذا !

شطا : من أن تساق إلى أبى طور فيرسلك أسيراً إلى أيفانيا بالقسطنطينية .

المقوقس : كيف ؟

شطا : لقد علم أبو طور أنك ستكون هنا لحضور العرس فسير فرقة من جنوده ليقبضوا عليك ويسوقوك إليه .

المقوقس : وماذا فعلوا ؟

شطا : ترصدنا لهم أنا ورجالى بالساحل فلما نزلوا من سفنهم انقضضنا عليهم فقتلنا منهم مقتلة وفرَّ الباقون فى السفن .

المقوقس : بوركت يا بنى . لقد قمت بعمل عظيم وأين تركت رجالك ؟

شطا : تركتهم يرابطون بالساحل .

هيلانة : وأين أبوك يا شطا ؟ ألم تسمع عنه شيئاً ؟

شطا : لا يا أماه لم أسمع عنه شيئاً ولكنى لقيته .

هيلانة : لقيته ؟ أين لقيته ؟

شطا : عند الساحل .

هيلانة : الحمد لله إذ لم تصدق رؤياى .

شطا : أى رؤيا يا أماه ؟

هيلانة : خبرنى أولًا أين تركت أباك ؟

شطا : هو الذى تركنى .

هيلانة : تركك ؟ كيف تركك ؟

شطا : فر من وجهى مع جنود أبى طور .

هيلانة : وامصيبتاه . أوقد انضم أبوك إلى أبى طور ؟

شطا : هو الذى كان يقود هذه الحملة لأبى طور .

هيلانة : (**باكية**) حسبى الله منك يا هاموك . حسبى الله منك !

(ستـــار)

المشهد السادس

في بيت المقوقس بإسكندرية

يرى المقوقس مريضاً على فراشه وعنده هيلانة وأرمانوسة.

(يسمع قرع خفيف على الباب الخارجى) .

هيلانة : (فى جزع) الباب يقرع يا أرمانوسة . يا ويلتاه .

أرمانوسة : تشجعى يا خالة .

هيلانة : من أين ؟ ما بقى لنا صبر ولا جلد . لا تفتحى يا بنيتى إلا بعد أن تنظرى من الطاق .

أرمانوسة : سأفعل يا خالة . (تخرج) .

المقوقس : لا تخافى يا هيلانة .

هيلانة : إنى إنما أخاف عليك يا أخى .

المقوقس : إن كانوا يريدون بى شراً فلن تُغْنى عنا هذه الأبواب شيئاً .

هيلانة : ليت ابنى شطا بقى معنا ولم يخرج .

المقوقس : شطا خرج فى مهمة .

هيلانة : ليتك بعثت غيره (تسمع حس أرمانوسة والقادمين) من يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : (صوتها) زائرتان من جاراتنا يا خالة .

هيلانة : (**بصوت خافض**) فى هذا الوقت العصيب ؟ (**بصوت عال**) أهلًا وسهلًا أدخليهما البهو يا أرمانوسة .

(**تدخل أرمانوسة وإحدى المرأتين المدعوتين**) .

هيلانة : قلت لك فى البهو يا أرمانوسة .

المرأة : أليس لى أن أرى خالى ؟

هيلانة : (**مدهوشة**) خالك ؟

المقوقس : هذا ابنك شطا يا هيلانة . ألم تعرفى صوته ؟

هيلانة : شطا ! ها .. تنكَّرْتُ فى زىٍّ امرأة ! وأين الثانية يا أرمانوسة ؟ . لقد قلت زائرتان .

شطا : ادخل يا يونس .

(**يدخل يونس حاملًا زيه التنكرى قد خلعه عن نفسه**)

هيلانة : الحمد لله . ابقيا أنتما معنا ولا تتركانا بعد الآن .

شطا : معذرة يا أماه دعينى أحدث خالى عن المهمة .

أرمانوسة : قبل أن يطرقنا أحد .

هيلانة : تتوقعين أن يطرقنا أحد بعد ؟

أرمانوسة : من يدرى ؟

شطا : تكلم يا يونس .

يونس : يا سيدى البطريق إن عمرو بن العاص يهديك السلام ويحمد لك شجاعتك وصلابتك فى موقفك .

المقوقس : لكن أين ثالثكم الذى اسمه ..

شطا : ابن حذافة ؟

المقوقس : أجل لماذا لم يأت معكما ؟

يونس : ذهب إلى الحصن لينذر إخوانه من حامية العرب بما اتفقنا عليه مع عمرو بن العاص .

المقوقس : علام اتفقتم معه ؟

يونس : على أن نقتحم نحن ورجالنا البوابة الكبرى فنفتحها على مصراعيها للجنود العرب .

المقوقس : متى ؟

يونس : الليلة .

المقوقس : الليلة ؟

يونس : قبل أن تمتد إليك أيديهم بسوء .

المقوقس : ذكرتم لعمرو بن العاص ما أصابني من تحرشهم ؟

يونس : نعم . بينا له كل شيء .

المقوقس : بوركتم وبورك أميركم عمرو .

(يقرع الباب الخارجي قرعاً شديداً)

هيلانة : هذا قرع شديد .

أرمانوسة : لا بدّ أنهم الروم .

هيلانة : يا ويلتا ماذا نعمل ؟

المقوقس : اختبئ يا شطا أنت ويونس وافتحي يا أرمانوسة .

شطا : أواه .. لولا خطة الليلة لتصدَّيْنا لهؤلاء .

المقوقس : حذار أن تظهرا لهم . الخطة أهم من أي شيء آخر .

(تخرج أرمانوسة إلى جهة اليمين لتفتح ويخرج شطا ويونس إلى جهة اليسار ليختبئا) .

أرمانوسة : (**صوتها**) انتظروا حتى أستأذن لكم عليه .

تيودور : (صوته) لا داعى للاستئذان .. عندنا أوامر عُلْيا .

أرمانوسة : (صوتها) إن خالى المقوقس مريض ولا يصح أن تدخلوا جميعاً عنده .

تيودور : (صوته) هؤلاء الجنود لن يدخلوا معنا . أنا وأودوقيانوس فقط .

(يدخل تيودور وأودوقيانوس)

تيودور : كيف أنت اليوم يا قيرس ؟

المقوقس : أنا بخير ماذا تريدون أنتم ؟

تيودور : تكلم يا أودوقيانوس .

أودوقيانوس : مازلت مصراً على موقفك ؟

المقوقس : نعم اتفاق عقدناه وليس لنا أن ننقضه .

أودوقيانوس : بل عقدته أنت وحدك وفرضته علينا إذ كانت مارتينة تسندك وتأخذ بناصرك . وقد قتلت مارتينة اليوم وقتل ابنها هرقليوس وانتقلت السلطة إلى أبيفانيا وأبن أخيها الأمير قنسطانز بن قسطنطين .

المقوقس : هذا لا يغير من الأمر شيئاً .

أودوقيانوس : لست اليوم ممثل دولة الروم فى مصر .

المقوقس : من إذن ؟

أودوقيانوس : القائد تُيودور فهو الذى تولى هذا المنصب مكانك .

المقوقس : الأمر ليس أمركم وحدكم معشر الروم ، بل أمر القبط فى إسكندرية وسائر طوائفها وليس من مصلحة هؤلاء نقض الاتفاق .

أودوقيانوس : لا شأن لنا بهؤلاء .
المقوقس : لا شأن لكم ولكن لى بهم شأناً .
أودوقيانوس : إنك قد عزلت . ألم تفهم بعد ؟
المقوقس : فماذا تريدون بعد منى ؟
أودوقيانوس : أن تعلن نقض الاتفاق .
المقوقس : دعوا الذى تولى مكانى يعلن ذلك .
أودوقيانوس : الذى تولى مكانك يأمرك بذلك .
المقوقس : لا أقبل أن يأمرنى أحد .
أودوقيانوس : لقد صبرنا عليك حتى الآن رعاية لشيبتك وقد كاد صبرنا أن ينفد .
المقوقس : أتهددنى ؟
أودوقيانوس : أجل .
المقوقس : افعل ما بدا لك .

(يأخذ أودوقيانوس بلحية المقوقس)

(نرى يونس يهم بتجريد سيفه ولكن شطا يمنعه من ذلك) .

أرمانوسة : **(تحاول تنحية يده عن لحية خالها)** نح يدك .
أودوقيانوس : يسعدنى أن تضعى يدك على يدى أيتها الساحرة !
أرمانوسة : أيها الوغد .
أودوقيانوس : كُفّى لسانك عنى . لا تحسبنى مثل دومنتيانوس .

(يدخل دومنتيانوس)

دومنتيانوس : نح يدك !

أودوقيانوس : ما شأنك أنت ؟

دومنتيانوس : نح يدك !

أودوقيانوس : مازلت تطمع فيها ؟ إنها ليست لك !

دومنتيانوس : إن لم تنح يدك لأقطعنها بهذا السيف (**يجرد سيفه**) .

أودوقيانوس : أتخوفني بسيفك ؟

دومنتيانوس : قسماً بالسيد المسيح إن لم تنح يدك لأقتلنك .

أودوقيانوس : (**يرسل لحية المقوقس**) لتندمن غداً على موقفك هذا .

دومنتيانوس : أيها المنافق ! أتظن أيفانيا لا تعلم أنك كنت من صنائع مارتينة ؟

أودوقيانوس : وأنت ؟

دومنتيانوس : أنا لست منافقاً مثلك . أنا لا أبالى .

تيودور : حسبكما . لا تتشاجرا أمام الشيخ المريض .

دومنتيانوس : الآن يا تيودور ؟ هلا زجرتَه عن سوء فعله هذا من قبل ؟

تيودور : أردنا من الشيخ أن يعلن نقض الاتفاق الذى بيننا وبين العرب فأبى .

دومنتيانوس : ولماذا لا تعلنونه أنتم ؟ أخشيتم أن تتحملوا تبعة ذلك فأردتم أن تلقوها على كتفيه ؟

تيودور : إن بقاءنا هنا لن يأتى بخير . هيا بنا يا أودوقيانوس . هيا بنا يا قوم .

(**يخرج القوم ما عدا دومنتيانوس**)

المقوقس : لا ندرى يا دومنتيانوس كيف نشكرك .

دومنتيانوس : إنما دفعت عنك شرَّ أخى ولا شكر لى على ذلك .

هيلانة : كلا لا نجحد فضلك أبداً .

أرمانوسة : لقد وقفت موقفاً تحسدك عليه الأبطال وإنك لتستحق الجزاء يا دومنتيانوس .

دومنتيانوس : إن كنت أستحق جزاءً فقد نلتُه بكلمتك هذه يا أرمانوسة !

أرمانوسة : وددت اليوم يا دومنتيانوس لو كنت من ذوى قرباى !

دومنتيانوس : ماذا كنت فاعلة إذن ؟

أرمانوسة : إذن لما رضيت أن يتزوجنى أحد غيرك .

دومنتيانوس : أتعنين ما تقولين يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : نعم .

دومنتيانوس : إذن ففى قولك هذا عزاء لى أى عزاء . (**ينهض**) اسمح لى يا سيدى البطريق أن أنصرف الآن لأقضى لى مهمة ثم أعود لأحرسكم .

المقوقس : لتحرسنا ؟

دومنتيانوس : نعم لا ينبغى أن أترككم دون حارس .

المقوقس : شكراً لك يا دومنتيانوس . عندنا من يحرسنا فى البيت . عندنا شطا ويونس .

دومنتيانوس : أين هما ؟

المقوقس : مختبئان داخل البيت لئلا يتحرّشا بالقوم . تعال يا شطا ! تعال يا يونس !

(يدخل شطا ويونس فيصافحان دومنتيانوس بحرارة) .

شطا : آه لو كان الروم جميعاً مثلك !

دومنتيانوس : أما أنا يا شطا فإنى أتمنى لو كنت مثلك .

يونس : إنكما تتمنيان ما لا يكون .

دومنتيانوس : أنت الذى أنقذت أرمانوسة فى الطريق بين بلبيس وبابليون ؟

أرمانوسة : أجل هو بعينه يا دومنتيانوس .

دومنتيانوس : وأهديت إليه الصليب .

أرمانوسة : نعم .

دومنتيانوس : ترى ماذا صنعت به يا يونس ؟

يونس : احتفظت به على سبيل الذكرى .

دومنتيانوس : معك حتى اليوم ؟

يونس : أجل معى دائماً لا يفارقنى أبداً . تحب أن تراه ؟

(يظهر له الصليب)

دومنتيانوس : طوبى لك يا يونس ! طوبى لك !

(ستــار)

المشهد السابع

فى دار الحكم بإسكندرية وقد احتلها العرب.

يرى عمرو بن العاص وحوله وجوه رجاله وقد أجلس المقوقس عن يمينه ووقف أمامه وفد من الروم على رأسهم تيودور .

المقوقس : لا تأخذك بهم رأفة يا أمير العرب . إنى نصحت لهم فاستغشونى وكادوا يبطشون بى وأنا مريض .

تيودور : إنها كانت فتنة يا أمير العرب . ضاعت فيها الأحلام وطاشت فيها العقول ، واختلط فيها المذنب بالبرىء ، وقد نجحت فى إطفاء نارها فاعتبرها كأن لم تكن .

المقوقس : كلا يا أمير العرب . إنك إذن تسوى بين الصالحين والمجرمين .

تيودور : هذه فتنة لم يتبين فيها الصالح من المجرم .

المقوقس : بلى . كان المجرمون من الروم والصالحون من القبط .

تيودور : كلا يا أمير العرب . بل كان القبط معنا فى هذه الفتنة فإما أن تعفو عنهم جميعاً أو تعاقبهم جميعاً .

المقوقس : لو استطعتم لزعمتم أن الذين قاموا بالغدر ونقض العهد كانوا جميعاً من القبط ولم يشترك فى ذلك من الروم أحد .

تيودور : كلا . نحن نقول الحق ونعترف به . اشترك الروم والقبط وغيرهم فى هذه الفتنة .

المقوقس : الذين اشتركوا فيها من القبط كانوا مكرهين على ذلك .
تيودور : من ذا أكرههم ؟
المقوقس : أنتم الروم .
تيودور : هذه دعوى لا يستطيع أحد إثباتها .
المقوقس : فى وسع الأمير أن يسألهم .
تيودور : يسأل من ؟ القبط ؟
المقوقس : نعم .
تيودور : لا ريب أنهم سيزعمون ذلك ليبرئوا أنفسهم .
المقوقس : إنكم وجدتم عوناً من بعض أهل المدينة لما اقتحمتم أبوابها يا أمير العرب ؟
عمرو : أجل .
المقوقس : أولئك من أهلها القبط وما كانوا ليفعلوا ذلك لو لم يكونوا على العهد ثابتين وللفتنة كارهين .
تيودور : إنى لا أنكر أن من القبط من كره الفتنة ولم يشترك فيها ولكن الجمهرة العظمى بينهم كانوا مشتركين .
المقوقس : كيف عرفت ذلك ؟ هل أحصيتهم ؟
تيودور : لقد كان ذلك واضحاً لنا جميعاً خلال أيام الفتنة . وبعد فإنى ألتمس لهم العفو والصفح من أمير العرب كما ألتمس للروم . والأمير واسع الحلم فلماذا تريد أنت أن تضيقه .
المقوقس : لا ينبغى للأمير أن ينسيه الحلم واجب العدل .

(يدخل وردان)

عمرو : ماذا وراءك يا وردان ؟

وردان : رسول أمير المؤمنين يا أبا عبد الله .

عمرو : مرحباً برسول أمير المؤمنين . دعه يدخل .

(يخرج وردان ثم يدخل أبو رافع)

أبو رافع : السلام عليكم ورحمة الله .

عمرو : وعليك السلام يا أبا رافع ورحمة الله . كيف تركت أمير المؤمنين ومن عنده ؟

أبو رافع : تركتهم بخير وعافية وقد جئتك بكتاب أمير المؤمنين فى أمر أسرى بلهيب وإخنا وسلطيس .

عمرو : ترى ماذا قضى فى أمرهم أمير المؤمنين ؟

أبو رافع : قضى بإعادتهم إلى الحرية واعتبارهم أهل ذمة (**يناوله كتاباً**) .

المقوقس : (**هاتفاً**) عاش أمير المؤمنين العادل !

أبو رافع : حتى أولئك الذين أرسلوا منهم إلى المدينة ممن وقع عليهم السبى ردهم أمير المؤمنين معى أحراراً إلى بلادهم .

المقوقس : حيا الله عدل أمير المؤمنين !

عمرو : (**يتصفح الكتاب**) وأين هم ؟ أجئت بهم معك ؟

أبو رافع : لا يا أبا عبد الله . استأذنونى فى بعض الطريق لينطلقوا إلى قراهم .

عمرو : الحمد لله لقد أفتانا أمير المؤمنين فيما نحن فيه . إن أمر أهل الإسكندرية لا يختلف عن أمر أهل بلهيب وإخنا وسلطيس .

المقوقس : تعنى أن أمر القبط هنا مثل أمر القبط هناك ؟

عمرو : بل أعني أننا سنمضي الاتفاق كما كان وكأنما لم ينقضه الروم وغير الروم .

تيودور : بوركت يا أمير العرب . شكراً لك يا أمير العرب .

المقوقس : يا عمرو إنك إن سويت بين الأبرياء والمذنبين أغريت المذنبين بمعاودة الذنب .

عمرو : هيهات يا مقوقس لن نمكنهم من ذلك أبداً . إنا لن نرابط منذ اليوم خارج الإسكندرية كما كنا بل داخلها إلى أن يجلوا عنها جميعاً فيما بقي لهم من أمد الهدنة .

تيودور : لكن الاتفاق يقضي بأن تبقوا خارج المدينة .

عمرو : الاتفاق قد نقضتموه أنتم فمن حقنا أن نمنعكم من نقضه مرة أخرى .

تيودور : إني أخشى أيها الأمير أن يقع بين جنودكم وجنودنا احتكاك وعراك .

عمرو : إن جنودنا لا يعتدون على أحد . وعليكم أنتم أن تكفوا جنودكم عن العدوان وإلا نكلنا بهم تنكيلا . وقد أعذر من أنذر . انصرفوا إن شئتم .

(يخرج تيودور والوفد الذين معه) .

(يدخل عبد الله بن سعد ووردان ومعاوية ابن حديج)

عمرو : ماذا فعلتم يا ابن سعد ؟ هل اخترتم من يحمل بشرى الفتح إلى أمير المؤمنين ؟

ابن سعد : نعم هذا معاوية بن حديج الكندي وجدناه أفصحهم لساناً وأقدرهم على وصف ما رأى وما شهد .

عمرو : على بركة الله . امض يا معاوية بالبشرى إلى أمير المؤمنين .

معاوية : ألا تكتب معى كتاباً إليه ؟

عمرو : وما أصنع بالكتاب ؟ قد اخترناك يا معاوية لتكون أنت الكتاب فصف لأمير المؤمنين الدقيق والجليل مما شهدت واجعله بلسانك كأنه رأى بعينيك .

معاوية : أفعل أيها الأمير .

عمرو : يا وردان جهز لمعاوية بن حديج ما يصلحه .

(يخرج وردان ومعاوية بن حديج)

شطا : أيها الأمير لقد آن لك اليوم أن تجيبنى إلى ما طلبت .

عمرو : تعنى غزو تنيس ؟

شطا : أجل .. ما بقى اليوم فى مصر من بلد إلا تحرر من سلطان الروم ما خلا تنيس .

عمرو : فيها الطاغية أبو طور ؟ .

شطا : وفيها الخائن الهاموك الذى انضم إليه .

عمرو : هى فى وسط البحر ؟

شطا : نعم فهى لذلك حصينة منيعة .

عمرو : وماذا علينا يا شطا لو تركناها إلى حين ؟

شطا : أيها الأمير ستظل شواطئنا مهددة ما بقيت تنيس . لقد عجز الفرس عن الاستيلاء عليها يوم استولوا على مصر فما لبث الروم أن وثبوا منها واستردوا مصر من أيدى الفرس .

عمرو : إنى أشفق على المسلمين يا شطا من أخطار الحرب فى البحر .

شطا : هذه حجة غير مقنعة أيها الأمير . لم لا تقول إنك لا تريد حرب أبى طور لأنه عربى مثلكم ؟

عمرو : ويحك يا شطا إنما أردت أن تُهَيِّجَنى بهذه الكلمة !

شطا : بل هى كلمة حق أيها الأمير .

عمرو : كذبت إن كون الطاغية عربياً لأحرى أن يدفعنا إلى قتاله .

شطا : فقد حق عليكم قتاله اليوم فماذا يمنعكم من قتاله ؟ إنى سأدبر لكم السفن التى تحمل جنودكم وما يحتاجون إليه من المؤن .

عمرو : ماذا ترى يا رومانوس ؟

رومانوس : أيها الأمير إن هذا الفتى المصرى لم يدع لك من عذر تعتذر به عن غزو تنيس فاغزها وتوكل على الله .

عبادة : أجل يا أبا عبد الله . دعنا نتوجه إليها ونستعن بالله .

عمرو : إذن فاندب لها يا ابن الصامت من يريد من المسلمين متطوعا غير مستكره .

رومانوس : اجعلنى فيهم يا صاحب رسول الله .

شطا : وائذن لى أيها الأمير أن أكون دليلًا للجيش .

عمرو : أنت دليل الجيش !

شطا : الحمد لله ! الحمد لله ! أصغ إلى أيها الأمير . أصغوا إلى جميعا .

عمرو : ماذا عندك ؟

شطا : أشهد ألا إلـه إلا الله . وأن محمداً رسول الله .

عمرو : أتدرى يا شطا ماذا فعلت ؟

شطا : نعم . أسلمت لله رب العالمين .

عمرو : أنت إذن أمير جيش تِنِّيس !

(ستـــار)

المشهد الثانى

فى بيت المقوقس بإسكندرية
المقوقس وهيلانة وأرمانوسة

هيلانة : كلّميه أنت يا بنيتى لعله يسمع لك .

أرمانوسة : كلا لن أستجدى منه الحب . كلماه أنتما .. أنت يا خالتى أمه وأنت يا خالى خاله .

المقوقس : وأنت يا أرمانوسة حبيبته .

أرمانوسة : كلا لو كان يحبنى حقاً لما أقدم على ما أقدم عليه .

المقوقس : إنا قد حاولنا معه كل سبيل يا أرمانوسة ولكن دون جدوى .

هيلانة : أجل ، لقد ناقشه خالك طويلا ، وأسمعه كلاماً لو سمعه الحجر لاقتنع به .

أرمانوسة : إذن فلن يجدى كلامى معه شيئاً .

هيلانة : حاولى يا أرمانوسة .. لا بأس من المحاولة . من يدرى ؟

أرمانوسة : إنه لم يكاشفنى بهذا الأمر حتى الآن .

المقوقس : لأنه يتهيبك .

أرمانوسة : بل يخجل منى .

المقوقس : هذا أرجى أن يؤثر فيه كلامك .

هيلانة : ها هو ذا قد أقبل ! فعليك به يا أرمانوسة .

أرمانوسة : كلا لن أذل له كبريائى . لن أكلمه فى هذا الأمر إلا إذا فاتحنى هو فيه .

المقوقس : دعينا يا هيلانة ننسحب حتى يخلو أحدهما إلى الآخر .

(يخرج المقوقس وهيلانة)

(يدخل شطا وقد ارتدى ثياب الذاهب إلى الحرب) .

شطا : **(يقترب من أرمانوسة)** أرمانوسة !

أرمانوسة : **(فى إعراض)** ماذا تريد ؟

شطا : ألا ترين هذه الثياب التى على ؟

أرمانوسة : ما بالها ؟

شطا : إنى ذاهب إلى الحرب .

أرمانوسة : أعرف أنها ثياب الميدان .

شطا : ولم تسأليني يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : وعلام أسألك ؟

شطا : لا ريب أنك قد سمعت يا أرمانوسة .

أرمانوسة : بماذا ؟

شطا : بأنى أسلمت !

أرمانوسة : وماذا تريد أن تفعل بعد ؟

شطا : أريد أن أؤكد لك أنى باق على حبك .

أرمانوسة : الحب ؟ ما كنت أظن أنك تجرؤ بعد على التلفظ بهذه الكلمة .

شطا : علام يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : لقد قطعت كل رابطة بينى وبينك .

شطا : كلا هذا غير صحيح .

أرمانوسة : إن لم يكن صحيحاً من قبلك فهو صحيح من قبلى .

شطا : ماذا تعنين ؟

أرمانوسة : إن كنت باقياً على حبى كما تزعم فإنى غير باقية على حبّك .

شطا : حنانيك يا أرمانوسة . أمن أجل أنى عرفت الحق فآمنت به؟

أرمانوسة : اختر بين حبى وإسلامك .

شطا : بل أجمع بينهما يا أرمانوسة فأجمع بين السعادتين .

أرمانوسة : كلا ليس لك إلا أحدهما فاختر ما يحلو لك .

شطا : (محمداً) إذن فقد اخترت .

أرمانوسة : هذا الدين الجديد ؟

شطا : أجل .

أرمانوسة : هأنتذا قد اعترفت أنك لا تحبنى .

شطا : ما حيلتى يا أرمانوسة ؟ أنت التى حملتنى على ذلك . إن الدين لأمر خطير وليس بالأمر اليسير. إنه وجودك كله تسوينه من جديد .

أرمانوسة : فعلام إذن تكلمنى فى الحب ؟

شطا : لأنى أحبُّك .

أرمانوسة : لكنى لا أمنح حبى لمن ليس على دينى .

شطا : الأمر يسير . ادخلى فى دين من تحبين .

أرمانوسة : ويلك يا شطا أما كفاك أن تركت دينك حتى تدعونى أن أفعل مثلك . فيم إذن كافحنا الروم ذلك الكفاح الطويل ؟

شطا : كافحنا الروم من أجل حرية العقيدة وقد ظفرنا بها والحمد لله .

أرمانوسة : لكنك أضعت العقيدة نفسها اليوم . لقد نقمنا على الروم إذ فرضوا علينا مذهباً غير مذهبنا فى الدين المسيحى فما بالك بالخروج من الدين المسيحى كله إلى دين جديد ؟

شطا : إن أحداً لم يكرهنا على هذا الدين الجديد . إنى أسلمت من تلقاء نفسى ووحى ضميرى . إنى آمنت به يا أرمانوسة فكيف أهرب من إيمانى ؟

أرمانوسة : دعنى إذن أهرب منك .

شطا : كلا ليس لك منى مهرب .

أرمانوسة : لِمَ لا ؟ أو تظننى لا أجد زوجاً غيرك ؟

شطا : معاذ الله ولكنك لن تجدى من يخلص لك مثلى ؟

أرمانوسة : بلى قد وجدته . قد وجدت من هو أفضل منك وأكثر إخلاصاً لى منك .

شطا : هيهات . من يكون ؟

أرمانوسة : دومنتيانوس !

شطا : دومنتيانوس ؟

أرمانوسة : أجل . هو الذى أنقذ خالى من بلاط قيصر ، وذب عنه يوم اختبأت أنت كالمرأة خلف تلك الستارة !

شطا : سامحك الله يا أرمانوسة . لقد علمت أنى ما اختبأت جبناً ولكن لأمر .

أرمانوسة : ليس يعنينى ذلك فى قليل ولا كثير . إن دومنتيانوس يحبنى حباً عظيماً وكفى ، وإنى سأتزوجه .

شطا : لكنك لا تحبينه .

أرمانوسة : بلى ، صرت أحبه ولا أحب سواه .

صوت : (**ينادى من الخارج**) يا شطا .. يا شطا .

شطا : نعم .

الصوت : الجيش فى انتظارك . على أهبة المسير .

شطا : انتظرنى ! أنا خارج !

أرمانوسة : (**تنادى**) فرتون ! فرتون !

شطا : (**صوته**) لبيك يا سيدتى (**يدخل**) .

أرمانوسة : تعرف دومنتيانوس يا فرتون ؟

فرتون : نعم .

أرمانوسة : انطلق إلى المعسكر الرومانى فستجده هناك . قل له إنى أريد أن أراه .

شطا : قل له إن سيدك المقوقس يريد أن يراه .

أرمانوسة : كلا يا فرتون . قل له إنى أنا أرمانوسة أريد أن أراه فى الحال .

فرتون : سمعاً يا سيدتى .

أرمانوسة : انطلق (**يخرج الغلام**) .

شطا : ليس يليق يا أرمانوسة .

أرمانوسة : وهل تعرف أنت ما يليق وما لا يليق ؟

(**يدخل المقوقس وهيلانة**) .

المقوقس : أماض أنت يا بنى الساعة ؟

شطا : أجل يا خالى . ادع لى بالتوفيق .

المقوقس : أرجو لك السلامة والتوفيق (**يعانقه**) .

شطا : وأنت يا أماه ؟

هيلانة : أنا والله لا أدرى يا شطا ماذا أرجو لك . فجعتنى أمس فى دينك إذ تركته وأنت اليوم ماض لتفجعنى فى أبيك أو فى نفسك أو فيكما معاً .

شطا : فكرى فى أمرى الليلة يا أماه ثم ادعى لى عند صلاتك بما تحبين (**يعانقها**) .

هيلانة : يا سوء حظى فى الزوج وفى الولد !

شطا : وأنت يا أرمانوسة أرجو لك خيراً مما رجوت لنفسك (**يدنو منها كأنما يريد أن يعانقها**) .

أرمانوسة : (**متجافية عنه**) مع السلامة .

(**يخرج شطا**) .

(**يقف الثلاثة هنيهة واجمين**) .

المقوقس : لماذا يا بنيتى أرسلت إلى دومنتيانوس ؟

أرمانوسة : لأسأله إن كان يريد أن يتزوجنى بعد ؟

المقوقس : ما أرى إلا أنك قد تسرعت .

هيلانة : أجل يا بنيتى إن شطا ليحبك فلو انتظرته حتى يعود . لعله يرجع إلى ما نحب وتحبين .

أرمانوسة : كلا يا خالة . إن ابنك لن يعود أبداً .

هيلانة : (**فى ارتياع**) ماذا تقولين ؟

أرمانوسة : (**كأنها تستدرك**) لن يرجع عن دينه الجديد أبداً .

هيلانة : من يدرى ؟

أرمانوسة : يا خالة إنى قد قررت أن أتزوج غيره .

هيلانة : هكذا فى الحال ؟

أرمانوسة : ليعلم أننى لست بائرة .

المقوقس : لو ترويت قليلا يا أرمانوسة حتى لا تقدمى على أمر تندمين غداً عليه .

أرمانوسة : خالى الحبيب إنى ظللت طول عمرى مطيعة لك خاضعة لرأيك فهل لك أن تتركنى اليوم أتصرف فى أمرى كما أريد ؟

المقوقس : كما تريدين يا أرمانوسة كما تريدين .

هيلانة : إننا ما أردنا يا بنيتى إلا مصلحتك .

المقوقس : دعيها يا هيلانة .. دعيها تتصرف كما تريد .

(يدخل الغلام فرتون)

فرتون : السيد دومنتيانوس يا مولاتى .

أرمانوسة : دعه يدخل .

المقوقس : هل ننسحب نحن يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : كما تحبان .

المقوقس : هلم يا هيلانة (**ينسحب هو وهيلانة**)

(**يدخل دومنتيانوس فيحنى رأسه محيِّياً**) .

أرمانوسة : مرحباً بك يا دومنتيانوس . تفضل (**تشير له بالجلوس**) .

دومنتيانوس : (**يجلس**) شكراً .

أرمانوسة : (**تنادى**) فرتون !

فرتون : (**يظهر على الباب**) نعم يا مولاتى .

(تدنو منه أرمانوسة فتساره بحديث ثم يخرج فرتون منطلقاً).

أرمانوسة : أتدرى يا دومنتيانوس لماذا أرسلت فى طلبك ؟

دومنتيانوس: خيراً يا أرمانوسة .

أرمانوسة : لا ريب أنك علمت بما وقع من شطا .

دومنتيانوس: أجل علمت أنه بدل دينه .

أرمانوسة : ونحن نعدك ذا فضل علينا كبير .

دومنتيانوس: ما قمت إلا ببعض الواجب .

أرمانوسة : وقد رأيت أن أخبرك بما استقر عليه عزمى بعدما انفصم الرباط الذى بينى وبينه .

دومنتيانوس: انفصم ؟

أرمانوسة : تخلّى عنى يا دومنتيانوس بعد ما انتظرته طول هذه المدة وآثرته على غيره من الخطاب .

دومنتيانوس: هونى عليك يا أرمانوسة فلعل السماء قد قسمت لك زوجاً غيره .

أرمانوسة : هيهات يا دومنتيانوس فقد استقر رأيى على أن أدخل الدير .

دومنتيانوس: ماذا تقولين يا أرمانوسة ؟ تدخلين الدير ؟

أرمانوسة : أجل لم يبق لى أَرَبٌ فى الزواج ولا فى الحياة .

دومنتيانوس: لا حق لك يا أرمانوسة . ما كدت تفتحين لى باب الأمل حتى أوصدته فى وجهى .

أرمانوسة : صدقنى يا دومنتيانوس إننى ما قصدت إلا أن أخفف عنك .

دومنتيانوس: بقطع أملى فيك ؟

أرمانوسة : قد كان أملك مقطوعاً من قبل . وجدير بك أن تتعزَّى اليوم حين تعلم أننى وهبت نفسى لله فلن أُزَفَّ إلى أحد من البشر .

دومنتيانوس: إنى اشفق عليك أن تحرمى نفسك بهجة الحياة .

أرمانوسة : إنى ما قررت دخول الدير إلا بعدما ماتت فى نفسى معانى الحياة الدنيا وأشرق فى قلبى نور الله .

دومنتيانوس: رُبَّما ترجعين عن عزمك هذا يا أرمانوسة .

أرمانوسة : كلا لا سبيل إلى ذلك .

دومنتيانوس: ربما يتغير رأيك .

أرمانوسة : مستحيل . لو كان فى الإمكان أن يتغير رأيى أو أرجع عن عزمى لما أرسلت إليك لأستودع منك لعلى لا أراك بعد اليوم .

دومنتيانوس: أحقاً يا أرمانوسة خطر على بالك أن تستودعى منى ؟

أرمانوسة : وحق العذراء يا دومنتيانوس .

دومنتيانوس: ما أكرمك يا أرمانوسة وأحناك على !

أرمانوسة : أنت جدير بذلك يا دومنتيانوس وبأكثر من ذلك .

دومنتيانوس: أنت إذن راضية عنى ؟

أرمانوسة : كل الرضا .

دومنتيانوس: يكفينى هذا زاداً لروحى يا أرمانوسة حتى أموت . لأرحلن غداً فى أول سفينة تقلنى إلى القسطنطينية وأنا قرير العين ، رضى البال .

أرمانوسة : تصحبك السلامة يا دومنتيانوس . أتراك تذكرنى هناك على ضفاف البوسفور أم سرعان ما تنسانى ؟

دومنتيانوس: محال أن أنساك يا أرمانوسة . سيظل قلبى خافقاً بذكراك إلى أن أموت .

أرمانوسة : أحقاً يا دومنتيانوس ؟

دومنتيانوس: وحياة السيد المسيح يا أرمانوسة .

أرمانوسة : يكفينى هذا زاداً منك يعزينى فى قلب الدير عما زوى عنى من أباطيل الحياة (**تمد يدها إليه**) وداعاً يا دومنتيانوس .

دومنتيانوس: (**يقبل يدها**) وداعاً يا أرمانوسة (**يخرج**) .

أرمانوسة : (**بين الرضا والأسى**) ويح هذا العاشق الرومى ! ما كنت أحسبه يحبنى كل هذا الحب !

(**يدخل المقوقس وهيلانة**) .

المقوقس : ما هذا الذى صنعت يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : سمعتما حديثنا ؟

هيلانة : نعم . كيف اعتزمت دخول الدير دون أن تخبرينا بذلك من قبل ؟

أرمانوسة : أليس لى أن أتصرف فى أمرى كما أريد ؟

هيلانة : لكن دخول الدير يا بنيتى أمر عظيم .

أرمانوسة : أهو أعظم يا خالة من دخول ابنك فى الدين الجديد ؟

هيلانة : كلاهما عندى عظيم . هو خرج من دينه وأنت تريدين أن تخرجى من دنياك .

المقوقس : أحقاً يا أرمانوسة اعتزمت دخول الدير ؟

أرمانوسة : (باسمة) يخيل إلى يا خالى أنك أدركت قصدى .

هيلانة : ماذا تعنين ؟

أرمانوسة : اطمئنى يا خالة فإنى لن أدخل الدير أبداً . وإنما أردت أن أصرف هذا الرومى عنى وأحمله على الرحيل وشيكاً إلى بلده .

هيلانة : أحسنت يا بنيتى فيما فعلت . من يدرى لعل شطا يعود غداً إليك وإلى دينك .

أرمانوسة : (فى حدة) كلا لن أقبل شطا أبداً ولو عاد إلى دينه !

هيلانة : غداً يسترضيك فيزول هذا السخط عنك .

أرمانوسة : كلا كلا لن أتزوجه أبداً ولو لم أجد رجلًا غيره !

المقوقس : إذن فعلام صرفت عنك دومنتيانوس ؟

أرمانوسة : لأنه ليس الزوج الذى أرضاه .

المقوقس : علام إذن أرسلت فى طلبه ؟ هلّا تركته وشأنه ؟

أرمانوسة : إن له فضلًا علينا أردت أن أجزيه عليه .

المقوقس : أفهذا هو الجزاء الذى يستحق ؟

أرمانوسة : نعم . لقد رأيت من الخير له ألا أتزوج من غيره وهو بين ظهر انينا حتى يرحل إلى بلده .

المقوقس : لو تركته وشأنه لرحل فى موعده .

أرمانوسة : لكننى أريد يا خالى أن أعجل بالزواج .

المقوقس : أليس عليك أن تحسنى اختيار الزوج الذى ترضينه ؟

أرمانوسة : إنى قد اخترته يا خالى العزيز .

هيلانة : هو شطا ابن خالتك لا ريب .

أرمانوسة : (**ثائرة**) كلا كلا .. ليس شطا . ليس شطا . ليس شطا .

المقوقس : فمن يكون يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : ستراه عما قليل .

المقوقس : أين ؟

أرمانوسة : هنا فى البيت . لقد أرسلت فى طلبه .

المقوقس : من يكون ؟

أرمانوسة : يونس .

المقوقس : يونس من ؟

أرمانوسة : يونس بن مرقص .

المقوقس : هذا العربى المسلم ؟

أرمانوسة : نعم .

هيلانة : لا حق لك . كيف تقبلينه وهو مسلم ؟

أرمانوسة : لآمرنّه أن يعود إلى نصرانيته .

هيلانة : أوَ تظنين أنه يقبل ؟

أرمانوسة : إن شاء أن يتزوجنى . وى ! ينبغى أن أتجمل وأتكحل !!
(**تخرج فى خفة الغزال**) .

هيلانة : لقد دار اليوم رأسى يا قيرس . بربك أشهدت مثل هذا قط ؟

المقوقس : دعيها يا هيلانة تفعل ما تريد .

هيلانة : كل هذا من شطا . حسبى الله منك يا شطا . حسبى الله منك .

(**يدخل فرتون**) .

فرتون : أين مولاتى أرمانوسة ؟

هيلانة : ماذا تريد منها ؟

فرتون : السيد يونس الذى أرسلتنى فى طلبه .

هيلانة : ماله ؟

فرتون : جئت به معى .

أرمانوسة : (**تدخل فى كامل زينتها**) دعه يدخل يا فرتون .

(**ينسحب المقوقس وهيلانة**)

أرمانوسة : (**تدعو مبتهلة**) يا رب . أضف على جمالى جمالًا من عندك .

(**يدخل يونس**) .

يونس : سلام عليك يا أرمانوسة !

أرمانوسة : مرحباً بك يا يونس . اجلس .

يونس : أرسلتم فى طلبى ؟

أرمانوسة : نعم الحمد لله إذ وجدناك .

يونس : أينما تطلبونى تجدونى .

أرمانوسة : لقد خشيت أن تكون ذهبتَ فى جيش تنّيس .

يونس : وودت والله لو كنت فيهم .

أرمانوسة : فما منعك ؟

يونس : استبقانى الأمير هنا فى المدينة .

أرمانوسة : هل ساءك ذلك ؟

يونس : فى أوَّل الأمر .

أرمانوسة : والآن ؟

يونس : أدركت أن قد خير لى فى المقام .

أرمانوسة : أتذكر يا يونس إذ التقينا أول مرة ؟

يونس : نعم ، عند البطريق صفرونيوس ببيت المقدس عند الضحى فى اليوم الثانى عشر من شهر ديسمبر سنة ٦٣٨ .

أرمانوسة : إنك لتذكره بتفاصيله .

يونس : ذاك يوم لا ينسى أبداً يا أرمانوسة .

أرمانوسة : ودعوتنى يومئذ يودوقيا .

يونس : كان أجمل اسم عندى قبل أن أعرف اسمك !

أرمانوسة : أحقاً أنها بدلت دينها من أجلك ؟

يونس : نعم .. أعلنت إسلامها وهى تلفظ النفس الأخير .

أرمانوسة : يا لها من محبة مخلصة . هكذا يكون الحب . وأين ذلك الصليب الذى أهديته إليك يا يونس .

يونس : محفوظ عندى يا أرمانوسة .

أرمانوسة : أين ؟

يونس : هنا دائماً فى صدرى !

أرمانوسة : تحمله وأنت مسلم ؟

يونس : أحمله من أجلك يا أرمانوسة !

أرمانوسة : أتريد أن تزعم أنك تحبنى ؟

يونس : واضياع عمراه ! أتسمّين ذلك زعماً يا أرمانوسة .

أرمانوسة : إن أحداً لم يدر عن حبك هذا شيئا .

يونس : بلى يا أرمانوسة . سلى عمرو بن العاص . سلى رومانوس . سلى وردان . سلى أبا رافع . سلى الناس جميعاً يخبروك أننى مُتيَّم بحبك وأنى ما جئت معهم إلى مصر إلا من أجلك .

أرمانوسة : لكنك لم تكاشفنى بشىء .

يونس : كيف وأنت مسماة على ابن خالتك ؟

أرمانوسة : قد انقطع ما بينى وبين ابن خالتى اليوم .

يونس : كيف ؟

أرمانوسة : أصبحت فى حل من خطبته .

يونس : أحقاً ما تقولين ؟

أرمانوسة : من أجل ذلك دعوتك .

يونس : أوَتقبلينني إن طلبتك ؟

أرمانوسة : نعم إن أجبتنى إلى ما أطلب منك .

يونس : اطلبى ما تشائين يا أرمانوسة . اطلبى حياتى أقدمها بين يديك .

أرمانوسة : إن كنت تريدنى حقاً فارجع إلى دينك القديم . ارجع إلى المسيحية .

يونس : حنانيك يا أرمانوسة . اطلبى كل شىء منى إلا هذا .

أرمانوسة : كلا لا أطلب منك إلا هذا .

يونس : وتكونين لى يا أرمانوسة ؟

أرمانوسة : وأكون لك .

يونس : وحق هذا الصليب ؟

أرمانوسة : وحق هذا الصليب .

يونس : كل ما تطلبه أرمانوسة هين وإن عز.خذى منى دينى ودنياى إن شئت فأنت دينى ودنياى .

أرمانوسة : بوركت يا يونس . أنت الزوج الكريم الذى اختارته لى السماء (**تنادى**) تعال يا خال . ادخل يا خال (**يدخل المقوقس**) . هذا يونس يا خالى قد قبل أن يتنصر من جديد ليتزوجنى .

المقوقس : أجل قد سمعت حديثكما من خلف هذا الباب . ولكن هل فكرتما أين تعيشان بعد ذلك ؟

أرمانوسة : أين نعيش ؟ هنا فى الإسكندرية .

المقوقس : أنت يحق لك ذلك ولكن لا يحق ليونس .

أرمانوسة : لماذا ؟

المقوقس : لأن المرتد عن الإسلام لا يحق له أن يعيش فى بلد يظله سلطان الإسلام.أوَلا تعلم ذلك يا يونس ؟

يونس : بلى يا سيدى البطريق .

أرمانوسة : فكيف كتمته عنى ؟

يونس : فى وسعنا حينئذ أن نرحل إلى بلد لا يظله حكم المسلمين .

أرمانوسة : أين ؟

يونس : فى أرض الروم .

أرمانوسة : كلا لا أريد بمصر بديلًا . لا أعيش إلا فى مصر . خبرنى يا يونس أليس لك أن تتزوجنى وأنت على دينك وأنا على دينى ؟

يونس : بلى يا أرمانوسة .

أرمانوسة : فابق إذن على دينك .

يونس : أرمانوسة ! لا أكاد أصدق ما أسمع ! إني إذن لسعيد . سعيد !!

(ستار)

المشهد التاسع

فى بيت عمر بالمدينة .

يُرى عمر جالساً وعنده معاوية بن حُدَيْج وقد وضع أمامهما طعام يأكلان منه .

عمر : (ينادى) عاتكة !

عاتكة : (صوتها) نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : أليس عندك غير الخبز والزيت لبشير فتح الإسكندرية ؟

عاتكة : وطبق من التمر ، ستحمله الجارية إليك .

عمر : وليس غير ذلك ؟

عاتكة : لو أردت له خيراً مما عندك لوجهته إلى دار الضيافة .

(تدخل الجارية تحمل طبقاً فتضعه بينهما على الأرض وتخرج) .

عمر : صدقت أم عياض . ليتنى فعلت يا معاوية . إذن لوجدت هناك خيراً من هذا وأفضل .

معاوية : كلا يا أمير المؤمنين . هذا والله أفضل عندى وأحب إلى إلا أن تواكلنى أنت هناك .

عمر : ويحك يا ابن حديج لا أواكلك إلا فى بيتى .

معاوية : إذن فما هنا خير لى مما هناك .

عمر : بوركت يا ابن حديج . إنى استأثرت بك لأستوضحك بعض ما ألقيته على الناس فى خطبتك . كل أولًا يا معاوية .

معاوية : الحمد لله قد أكلت يا أمير المؤمنين .

عمر : كل من التمر (ينادى) عاتكة !

عاتكة : (**تظهر على الباب**) نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : هل شهدت الصلاة جامعة ؟

عاتكة : نعم .

عمر : وسمعت الخطبة التى ألقاها بشير الفتح ؟

عاتكة : نعم .

عمر : ولم تعجبى مما قال فى وصف الإسكندرية ؟

عاتكة : بلى . عجبت كما عجب الناس .

عمر : ولم يخامرك شك ؟

عاتكة : يا أمير المؤمنين قد سمعنا كثيراً من العجائب فى تلك البلاد حتى ألفنا سماعها بل رأينا منها ما لم يكن يخطر لنا على بال .

عمر : لكنى أظنك يا معاوية قد غاليت ولم تقتصد .

معاوية : لا والله يا أمير المؤمنين ما غاليت فى شىء بل كان كل ما وصفت دون بعض ما شهدت .

عمر : كنت تقول أربعمائة ملهى للملوك .

معاوية : أجل يا أمير المؤمنين وقد رأيتها بعينى هاتين كأنها مما بنته الجن .

عمر : وأربعمائة بِنيّة بأربعمائة حمام ؟

معاوية : يا أمير المؤمنين ما إخالنى قلت ذلك .

عمر : فلماذا قلت ؟

معاوية : أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام .

عمر : كل حمام منها يسع ألف مجلس ، كل مجلس منها يسع جماعة نفرٍ ؟

معاوية : لا يا أمير المؤمنين إنما تلك الحمامات الكبرى،وعددها اثنا عشر فقط .

عمر : وأربعون ألف يهودى عليهم الجزية ؟

معاوية : نعم .

عمر : واثنا عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر ؟

معاوية : نعم .

عمر : كم يكون عدد سكانها إذن ؟

معاوية : لا يعلم عددهم إلا الله يا أمير المؤمنين .

عمر : وليس لها على ذلك غير طريقين اثنين ؟

معاوية : يا أمير المؤمنين ألم أقل لك إنى قصرت فى الوصف ؟

عمر : كيف ؟

معاوية : فى الإسكندرية طرق كثيرة يا أمير المؤمنين يخطئها العد وإنما قصرت وصفى على طريقيها الأعظمين اللذين يشقّان المدينة من غربها إلى شرقها ومن شمالها إلى جنوبها وتكتنفهما على طولهما من الجانبين عمد مرفوعة من المرمر الناصع يكاد بريقها يغشى الأبصار،ثم يلتقيان فى رحبة فيحاء قد غرست فيها الحدائق الغناء وتطاولت من حولها القصور الشماء فإذا انتهى بك أحد الطريقين إلى البحر رأيت عجباً تحار فيه الألباب ، قصوراً شامخات على ربوات فى البحر ناتئات كأنهن الجوار المنشآت !

عمر : هيه يا أخا كندة . وتلك العجيبة التى تهدى السفن ؟

معاوية : تلك منارة علوها ثلثمائة ذراع تقوم على صخرة فى البحر وتذهب فى الجو صعداً على أربعة أركان ثم على ثمانية ، ثم مستديرة ، ثم مكشوفة فى أعلاها ، توقد بها فى الليل مشاعل تهدى السفن فى البحر. وبها مرآة عظيمة تتراءى فيها السفن القادمة من بعيد قبل أن يدركها البصر من قريب .

عمر : وتلك يخزن فيها الماء العذب على مدار العام ؟

معاوية : تلك الصهاريج يا أمير المؤمنين تحت الأرض طبقات بعضها فوق بعض .

عمر : كل يا معاوية . قد شغلتك بالحديث عن طعامك .

معاوية : بل اكتفيت يا أمير المؤمنين .

(يصفق عمر فتدخل الجارية لترفع الخوان) .

عمر : هذه صاحبة الفضل علينا يا معاوية إذ نبهتنا إليك . ويحك يا أخا كندة كيف تحمل بشرى الفتح فتح الإسكندرية فتقعد على باب المسجد ولا تبادر إلى إبلاغى .

معاوية : يا أمير المؤمنين إنى أشفقت أن تكون قائلا فى وقت الظهيرة فرأيت أن أنتظر حتى تصحو من قيلولتك .

عمر : ظننتنى نائماً يا معاوية ؟

معاوية : نعم .

عمر : بئسما ظننت . لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى فكيف بالنوم يا معاوية مع هذين ؟

(ستار)

المشهد العاشر

فى بيت المقوقس بإسكندرية

يُرى المقوقس على فراشه وقد نهكته العلة وأشفى على الموت وعنده هيلانة أخته وأرمانوسة .

المقوقس : كنيسة أبى يحنّس ! أريد أن أدفن فى كنيسة أبى يحنس !

أرمانوسة : سوف تدفن هناك يا خالى .. بعد عمر طويل .

المقوقس : هيهات يا أرمانوسة . ما بقى من العمر كثير ولا قليل .

هيلانة : لا حق لك أن تروعنا يا قيرس إنك يا أخى بخير .

أرمانوسة : وستزول عنك هذه الوعكة كما زالت الوعكة السابقة .

المقوقس : هيهات . هذه ليست كتلك . هذه علة الموت . آه من لى بأن أدفن فى كنيسة أبى يحنّس ! لن أطمئن إلا إذا ضمن لى عمرو بن العاص ذلك . أنا لا أستطيع الذهاب إليه . عليه هو أن يجىء إلى .

أرمانوسة : ها هو ذا يونس قد جاء .

المقوقس : ومعه الأمير العربى ؟

أرمانوسة : لا بل جاء وحده .

المقوقس : أواه . لقد نسينى عمرو !

(يدخل يونس) .

المقوقس : يونس . ماذا وراءك يا يونس ؟

يونس : كل خير يا سيدى البطريق . إن عمراً آت إليك اليوم ليعودك .

المقوقس : ألم تخبره أنى دنف ؟ وأنى أوشك أن أموت ؟

يونس : بلى .

المقوقس : فلماذا لم يأت معك ؟

يونس : وجدته مشغولاً يجهز الجيش إلى برقة .

المقوقس : واضيعتاه ! ألا يدركنى أولًا ثم يرسل جيشه إلى حيث يشاء ؟

يونس : سيفرغ يا سيدى وشيكاً ويحضر إليك .

المقوقس : هو الذى قال لك ذلك ؟

يونس : نعم وأرسل معى الهاموك .

الجميع : الهاموك !

المقوقس : أكان عنده الهاموك ؟

يونس : نعم .

المقوقس : ماذا كان يصنع عنده ؟ كان يشكونا إليه ؟

يونس : لا أدرى ولكن عمراً قال لى خذه معك يا يونس وأوصهم أن يرفقوا به .

أرمانوسة : ما كان ينبغى لكم أن تطردوه إذ جاءكم أمس .

هيلانة : طردناه أمس ولنطردنّه اليوم. لن نقبله أبداً. أيريد عمرو أن يفرضه علينا فرضاً ؟

يونس : كلا إنما رجاء تقدم به إليكم وإصلاح بين ذوى الأرحام .

المقوقس : أين هو الآن ؟

يونس : خارج الباب ينتظر إذنكم .

أرمانوسة : دعوه يدخل .. لا يصح أن ترفضوا شفاعة الأمير .

هيلانة : اسكتى يا أرمانوسة . لا شأن لك .

أرمانوسة : إنه بعد يا خالة لزوجك ووالد ابنك الشهيد .

هيلانة : بل هو قاتله !

المقوقس : هيلانة ، لا يسعنا إلا أن نقبل شفاعة عمرو .

هيلانة : وما شأن عمرو بهذا الخائن ؟

المقوقس : قد شفع له وكفى .

هيلانة : بل تريد أن تجيب عمراً إلى طلبه ليجيبك عمرو إلى طلبك .

المقوقس : أوه . لا ترهقونى بجدالكم. قل له يدخل يا يونس .

(**يخرج يونس ثم يعود ومعه الهاموك**) .

الهاموك : (**يدنو من المقوقس**) كيف أنت يا أخى البطريق ؟

المقوقس : كما ترى . أجئت أنت اليوم لتجهز على ؟

الهاموك : معاذ الله . نفسى فداؤك يا قيرس .

المقوقس : آه . ما أرخص الكلام عندك !

الهاموك : (**يلتفت إلى زوجته**) هيلانة !

هيلانة : لا تكلّمنى ! لا أريد كلامك .

أرمانوسة : لا حق لك يا خالة . اسمعى أولًا ماذا يريد أن يقول .

الهاموك : أنا والله لا أدرى لماذا أنتم غاضبون على .

هيلانة : لا تدرى يا قاتل ! لا تدرى يا مجرم ! أنت قتلت شطا .
قتلت ابنى الوحيد .

الهاموك : من ذا روى لك هذه الفرية ؟

هيلانة : أى فرية ؟ هذه مصداق الرؤيا التى رأيتها بدمياط .

الهاموك : الرؤيا شىء والواقع شىء آخر .

هيلانة : أجل . ليست الشطر الآخر من الرؤيا هو الذى تحقق . ليته هو الذى قتلك ولم تقتله أنت .

الهاموك : هيلانة يا عزيزتى إن رؤياك لم يتحقق منها شىء .

هيلانة : بلى قد تحقق شطر منها بقتلك لابنك .

الهاموك : لكن الذى قتله هو أبو طور .

هيلانة : بل أنت .

الهاموك : سلى من حضر الواقعة من المقاتلين يخبروك أنه بارز أبا طور فاختلفا ضربتين فسقطا صريعين .

هيلانة : أنت إذن أبو طور !

الهاموك : هيلانة ! أنا زوجك الهاموك يا هيلانة !

هيلانة : كلا لو كنت زوجى ما قتلت ابنى .

الهاموك : أخى قيرس . ألا تكلم أختك ؟ ألا تقنعها بأن الرؤيا التى رأتها فى دمياط كانت باطلة .

المقوقس : ليس الأمر أمر رؤيا يا هاموك . إنك حقاً أنت الذى دفعت شطا إلى ذلك المصير . لولا أنت لما أسلم ولما لقى مصرعه فى تنيس .

الهاموك : ماذا تقول ؟ أنا سبب إسلامه ومصرعه ؟

المقوقس : نعم أنت دفعته إلى ذلك دفعاً بغدرك وخيانتك . جعلته ينوء بعبء الذنب الذى جنيته فلم يجد وسيلة للتكفير غير الإسلام والموت فى سبيل الإسلام .

الهاموك : والله ما قصدت ذلك ولا أردته (**يبكى**) صدقونى . ما قصدت ذلك ولا أردته .

المقوقس : آه . لقد قتلتمونى بجدالكم . ويلكم أبقوا على حشاشتى حتى يجىء عمرو . أريد أن أكلمه فى أمر هام يتعلق بموتى وآخرتى . اخرجوا من عندى .

أرمانوسة : (**تومىء لهم**) هيا بنا لندع خالى وحده ليستريح .

المقوقس : ابق أنت عندى يا يونس .

(**يخرجون ما عدا يونس**) .

المقوقس : (**يتنهد**) آه حتى عند الموت يلقون همومهم على !

يونس : يا سيدى البطريق . إنهم لا يعتقدون أنك ستموت .

المقوقس : بل لا يريدون أن يعترفوا بهذه الحقيقة .

يونس : من فرط حبهم لك .

المقوقس : كلا بل لئلا يطلب منهم أن يقوموا لى برعاية أكبر .

يونس : لماذا تسىء الظن بأهلك وأحبابك ؟

المقوقس : لأن الحياة علمتنى أن سوء الظن أجدر بالرجل اللبيب .

يونس : (**ينهض**) سيدى هذا عمرو بن العاص قد أقبل !

المقوقس : الحمد لله . الحمد لله . دعه يدخل .

(**يخرج يونس ثم يعود ومعه عمرو بن العاص**) الحمد لله يا عمرو إذ جئت قبل أن أموت .

عمرو : لا بأس عليك يا عظيم القبط .

المقوقس : عظيم القبط !!

عمرو : أليس هو اللقب الذى تحبه وتؤثره ؟

المقوقس : وما نفع ذلك لى إذا بقى القبط يعتبروننى عدوهم حتى اليوم؟

عمرو : هون عليك يا مقوقس . غداً يعلمون جميعاً أنك أحسنت إليهم أكثر مما أسأت .

المقوقس : غداً ؟ عندما أصير تراباً يا عمرو ؟

عمرو : بل قبل ذلك .

المقوقس : هيهات . إلا أن تعيننى على ذلك يا عمرو .

عمرو : كيف ؟ اقترح ما تريد .

المقوقس : أعلن فى البلاد أن كل كنيسة كانت يعقوبية فى الأصل ترد إلى اليعاقبة .

عمرو : ما هذا يا مقوقس ؟ إنا إذن نصادر كنائس الملكانيين ونعطيها لليعاقبة .

المقوقس : وأى بأس فى ذلك ؟ لتكسبن إن فعلت قلوب عامة القبط .

عمرو : والملكانيون منهم ؟

المقوقس : هؤلاء قلة .

عمرو : أفى الحق يا مقوقس أن تظلم القلة من أجل الكثرة ؟

المقوقس : إنك لن تظلم أحداً من أجل أحدٍ ولكنك سترد الحق إلى أصحابه .

عمرو : كلا يا مقوقس لا سبيل إلى ذلك فقد أعطينا الناس عهداً ألا تؤخذ كنائسهم ولا تهدم ولا يتعرض لهم فى شؤون دينهم رضى بذلك من رضى وسخط من سخط .

المقوقس : واكبدى منك يا عمرو . ما أطلب منك من طلب إلا اعتذرت منه وأحسنت الاعتذار .

عمرو : ما كنت لأحسن الاعتذار يا مقوقس لو أحسنت أنت الطلب.

المقوقس : لولا ثقتى بك يا عمرو لقلت إنك تطيع فى أمرى رأى البطريق بنيامين .

عمرو : وما رأى البطريق بنيامين ؟

المقوقس : أن أحيا ملعوناً من القبط وأموت ملعوناً منهم .

عمرو : رويدك يا مقوقس فإن بنيامين لا يحمل لك إلا الوُدَّ .

المقوقس : كلا يا عمرو لو شاء بنيامين لرفع عنى حقد القبط فى يوم واحد . ألا ترى كيف امتنع إلى اليوم عن الرجوع إلى منصبه بعدما زال سلطان الروم ورحلت جيوشهم عن البلاد واستقرت فيها الأمور ؟

عمرو : إنه آلى على نفسه لا يعود إلى منصبه حتى يرد إلى كنائس اليعاقبة كل ما نقل منها إلى الكنائس الملكانية من تحف ونفائس . .

المقوقس : ألم تكلف القائد سنوتيوس بتنفيذ هذه المهمة ؟

عمرو : بلى .

المقوقس : أفلم يخبرك سنوتيوس أن ذلك يستغرق مدة طويلة ؟

عمرو : بلى .

المقوقس : فلو كان بنيامين صافى النية لرجع إلى منصبه من اليوم ، وإنما أخر رجوعه محتجاً بتلك التحف والنفائس ليظل سخط القبط على قيصر مشتعلًا وعلى أنا بالتبع .

عمرو : هون عليك يا مقوقس . ماذا يعنيك اليوم أن يرضى القبط عنك أو يسخطوا عليك ؟

المقوقس : إنى كما تعلم قد عدت إلى المذهب اليعقوبى الذى كان يدين به آبائى وأجدادى .

عمرو : ذلك خير .

المقوقس : وأريد إذا متُّ أن أُدفن فى كنيسة يعقوبية .

عمرو : وصية الميت حق له .

المقوقس : لكن القبط لن يسمحوا لى بذلك .

عمرو : ما أرى أن من حقهم أن يمنعوك .

المقوقس : إنهم ما نِعِىَّ لا محالة إلا إذا ضمنت لى أنت ذلك يا عمرو .

عمرو : فى أى كنيسة تريد أن تدفن ؟

المقوقس : فى كنيسة أبى يحنّس .

عمرو : كنيسة الجسر ؟

المقوقس : نعم .

عمرو : (**يطرق قليلاً كأنه يفكر**) .

المقوقس : (**محتداً**) إياك أن تعتذر عن هذه أو تتنصل . إذن لأكونن أشقى الناس بمعرفتك .

عمرو : الناس أحرار فى دينهم .

المقوقس : ماذا تعنى ؟

عمرو : وأنت منهم لك ما لهم وعليك ما عليهم .

المقوقس : أفصح بالله عليك . أضمنت لى ذلك أم لا ؟

عمرو : نعم لك علينا أن تدفن حيثما تريد .

المقوقس : فى كنيسة أبى يحنس .

عمرو : فى كنيسة أبى يحنس .

المقوقس : الحمد لله . الآن اطمأن قلبى يا عمرو .

عمرو : خبرنى إذن ماذا فعل صهرك الهاموك ؟

المقوقس : أوقد شكانا هو إليك ؟

عمرو : اللهم لا بل استشفع .

المقوقس : لولا أنك أوصيتنا به لما أذنا له أن يدخل لنا بيتاً أو يرى لنا وجهاً .

عمرو : علام كل هذه القطيعة يا مقوقس ؟

المقوقس : ألا تدرى يا عمرو ماذا فعل ؟ لقد خان قضيتنا وتواطأ مع أعدائنا ولم يرع لى عهداً ولا قرابة حتى لقد بلغ من غدره ونذالته أن اتفق مع أبى طور على اختطافى أنا من دمياط وإرسالى أسيراً إلى أبيفانيا ابنة قيصر لتسومنى من سوء العذاب ما تريد .

عمرو : لكن الله قد أحبط كيدهم وأذهب ريحهم وجعل لشطا وللمؤمنين معه الدبرة عليهم وفتح تنيس على أيديهم فتحاً مبيناً ثم كتب لشطا الشهادة ليكون مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً .

المقوقس : (**يجهش باكياً**) أتريد الحق يا عمرو ؟ لقد رزئت بشطا مرتين مرة حين أسلم ومرة حين قتل .

عمرو : يغفر الله لك يا مقوقس لو تعلم ما أعد الله لشطا من قرة أعين لفرحت له فرحتين .

المقوقس : دعنا من شطا يا عمرو فقد مضى لسبيله ولكن ما شأنك بالهاموك هذا الذى نقض العهد وواطأ العدو وخان العشيرة والصهر والأهل والولد ، أحقاً أنك أعدت له ولاية دمياط ؟

عمرو : نعم .

المقوقس : جزاءً له على غدره وخيانته ؟

عمرو : لقد تاب يا مقوقس !

المقوقس : تاب ؟ أمثل هذا يتوب ؟ قسماً لو دعى إلى فتنة جديدة له فيها مطمع لكان أول من يجيب .

عمرو : إنه أسلم يا مقوقس .

المقوقس : (**فى دهشة**) أسلم ؟

عمرو : أجل . أسلم على يد ابنه الشهيد .

المقوقس : قاتله الله . ذلك أحرى يا عمرو أن تكشف سره وتتقى شره وتحذر مكره وغدره .أوَ تظنه أسلم مخلصا لله ؟ إنما أراد بإسلامه أن توليه دمياط وقد فعلت .

عمرو : ويحك يا مقوقس إن الله لم يأمرنا أن نشق عن قلوب الناس لنرى ما فيها من خير أو شر ، وإن الهاموك لأعرف الناس بتلك الناحية وأصلح من يحكمها ، ونرعَى بعد قَرابتَه منك ومن شطا الشهيد .

المقوقس : قرابة أبكتنا الدم وأورثتنا الندم !

عمرو : ما يدريك يا مقوقس لعل الله يريك غداً منه ما يسرك . (**ينهض لينصرف**) لا بأس عليك يا عظيم القبط . أرجو الله لك الشفاء .

المقوقس : بل ارجه لى المغفرة يا عمرو .

عمرو : المغفرة والشفاء (**يتوجه نحو الباب ليخرج ويرافقه يونس**)

المقوقس : الوصية يا عمرو !
عمرو : كنيسة أبي يحنّس ؟
المقوقس : نعم .
عمرو : مضمونة إن شاء الله (**يخرج**) .
(تدخل هيلانة وأرمانوسة ثم يدخل خلفهما الهاموك) .
أرمانوسة : اطمأن قلبك الآن يا خال ؟
المقوقس : أجل . لأدفنن في كنيسة أبي يحنّس على رغم أنوف الكائدين والشامتين والحاقدين . (**يدخل الهاموك**) .
الهاموك : بعد عمر طويل يا أخي البطريق إن شاء الله .
المقوقس : هلمّ يا هاموك لي حساب عسير معك . أحقا أنك غيرت دينك ؟
الهاموك : (**بعد تردد**) نعم أسلمت .
هيلانة : أسلمت ؟ أنت أيضا أسلمت ؟
المقوقس : ولِمَ كتمت عنا دينك ؟
الهاموك : لم أشأ أن أزعجكم لعلمي أن ذلك سيزعجكم .
هيلانة : وتجرؤ بعدُ يا هذا أن تدعوَني للّحاق بك ؟
الهاموك : أنت زوجتي يا هيلانة .
هيلانة : كلا إن الدين قد فرق بيننا اليوم .
الهاموك : حنانيك يا هيلانة . إن الدين ينبغي أن يجمع ولا يفرق .
أرمانوسة : لقد صدق عمي الهاموك .
هيلانة : كلا بل كذب .
الهاموك : لقد أعادوا لي ولاية دمياط يا هيلانة .

هيلانة : أنت الآن والى دمياط كما كنت ؟

الهاموك : نعم عزيزتى فدعينا نعد إليها كما كنا .

هيلانة : بعد أن غيرت دينك ؟

الهاموك : لكنى ما غيرت حبى ولا إخلاصى لمن أحب .

المقوقس : طاوعيه يا هيلانة ولا تبالى بدينه الجديد .

هيلانة : كيف يا قيرس ؟

المقوقس : إنه غير مخلص فيه وإنما اعتنقه طمعاً فى ولاية دمياط .

هيلانة : إذن فقد باع دينه بالدنيا .

المقوقس : أجل .

هيلانة : فكيف تنصحنى يا أخى أن أعود إليه ؟ إن من يبيع دينه لا يؤمن أن يبيع أهله وذويه .

الهاموك : سامحكم الله ما كنتم لتقولوا هذا القول عنى لو عرفتم كيف أسلمت على يد ابنى شطا وهو يموت .

أرمانوسة : كيف يا عمى الهاموك ؟ بالله صف لنا ذلك .

الهاموك : لما دارت الدائرة علينا فى تنيس وقتل أبو طور فيمن قتل، حملونى مع الأسرى إلى بر دمياط وأنا أتوقع القتل فى كل لحظة من أجل غدرى ونقضى للعهد ، وإذا رجل من العرب سألنى أنت الهاموك ؟ فهممت أن أقول لا لولا يقينى أنهم سيهتدون إلى معرفتى لا محالة ؛ وساقنى الرجل أمامه وأنا لا أشك أنه يسوقنى للذبح وإذا أنا بين يدى شطا ابنى وهو مثخن بالجراح حتى كدت أنكره وإذا هو الذى أمرهم بإحضارى إليه.فلما رآنى أومأ لى فدنوت منه فقال بصوت

متقطع أتدرى يا أبى إلى أين إلى أين أنا ذاهب ؟ قلت : إلى أين ؟ قال : إلى الجنة فهل لك أن تلحق بى ؟ قلت كيف ؟ قال أسلم كما أسلمت فلم أدر بماذا أجيب.فلما رأى ترددى لحقته غشية ثم انتبه منها وهو يصيح : كلا لا تخزونى فى أبى . لا أريد أن يباع أبى فى الأسواق.ثم التفت إلى وقال بصوت رقيق: أبتاه ألا تحب أن تعود إلى ولاية دمياط فى حياتك وتدخل الجنة بعد مماتك ؟ إنى سأموت الساعة يا أبتاه فدعنى أفرح بهدايتك قبل أن أموت.فلم يسعنى حينئذ إلا أن أعلن له إسلامى فهب فرحاً فاعتنقنى وأخذ يقبلنى حتى ضمخ وجهى وثيابى ببعض دمه الزكى وهو يقول : اشهدوا ياقوم هذا الهاموك أبى قد أسلم.ثم نظر إلى وقال أوصيك بأمى خيراً وأوصيك بخالى المقوقس وأوصيك بأرمانوسة !

أرمانوسة : ثم ماذا يا عمى الهاموك ؟

الهاموك : ثم سكت إلى الأبد .

أرمانوسة : كان اسمى آخر كلمة نطق بها ؟

الهاموك : آخر كلمة سمعتها منه ثم تمتم بعدها بكلام لم أفهمه .

أرمانوسة : (**تنشج باكية**) واحزناه . واحسرتاه . كلما تذكرت أنه خرج من عندى دون أن أودعه بكلمة طيبة تمزق قلبى ألماً وندماً. ياليتنى كنت ألنت الحديث معه بالدنيا وما فيها . ماذا جنى المسكين ؟ لقد قال إن الإيمان دخل قلبه فلم يستطع فراراً منه فكيف ألومه وأعاديه وأنسى كل ما كان بينى وبينه من قرابة وتحاب وكفاح فى سبيل هذه الأرض الغالية ؟

(يستولى الحزن على الجميع وترقرق عيونهم بالدمع)

يونس : **(مواسياً)** جعلت فداك يا أرمانوسة . يا ليت أنى قتلت أنا مكان شطا وأنه هو عاش لك !

أرمانوسة : بل سلمت لى يا زوجى الحبيب . ليس بكائى على شطا بناقص من حبى لك . ولولا أنى غاضبته بغير حق وأسأت إليه لما اشتد حزنى عليه .

(تشبك يديها فى يدى يونس)

الهاموك : وأنت يا هيلانة . أما آن لك أن تصفحى عنى وتعودى إلى ؟ إن لم تفعليه من أجلى فمن أجل فقيدنا العزيز .

أرمانوسة : خالتى العزيزة . لقد كنا ننقم على الروم أنهم سلبونا حرية العقيدة ، وقد رفع الله عنا ظلم الروم واضطهادهم. أفيضطهد بعضنا بعضاً فى عقيدته ؟

هيلانة : أخشى يا أرمانوسة أن يكرهنى هو على دينه أو يضطهدنى فى دينى .

الهاموك : معاذ الله يا هيلانة أن أفعل هذا أو ذاك .

يونس : إن الإسلام يا خالة لا يبيح له ذلك .

هيلانة : لا شأن لى بالإسلام،إن خوفى من هذا الرجل الغادر .

الهاموك : سامحك الله يا هيلانة .

أرمانوسة : إن رابك منه شيء ففى وسعك حينئذ أن تهجريه .

الهاموك : قسماً بالذى تقسمين به يا هيلانة لا ترين منى إلا ما تحبين .

(يبسط إليها أصابع يديه) مثل يونس وأرمانوسة !

هيلانة : اشهد يا أخى ما يقول (**تشبك يديها فى يديه**) ما بالك يا أخى صامتاً لا تجيب ؟

المقوقس : (**فى أسى**) الحمد لله إذ ليس لى فى الدنيا أحد !

هيلانة : معاذ الله يا أخى نحن جميعاً لك .

أرمانوسة : أنا يا خالى ابنتك .

يونس : وأنا ابنك .

هيلانة : وأنا شقيقتك .

الهاموك : وأنا زوج شقيقتك .

صوت : (**من الخارج**) يا مقوقس ! يا مقوقس !

يونس : عجباً . هذا صوت عمرو بن العاص .

المقوقس : قل له يدخل يا يونس .

(**يخرج يونس**)

أرمانوسة : ترى ماذا عاد به ؟

الهاموك : لعله خير .

المقوقس : ابقوا مكانكم حتى لا يطيل المكث عندى فإنى أريد أن أستريح .

(**يعود يونس ومعه عمرو بن العاص**)

المقوقس : لعلك تريد أن تكلمنى وحدى يا عمرو .

عمرو : لا بل مكانكم . إنما هو كتاب تلقيته الساعة من أمير المؤمنين فأحببت أن أطلعكم عليه .

الجميع : كتاب من أمير المؤمنين !

عمرو : كتاب تعزيه فى ابنكم الشهيد شطا !. خذ يا يونس فاقرأه عليهم .

يونس : (**يأخذ الرسالة**) من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص . أما بعد فقد فرحت وفرح المسلمون لفتح تنيس ولا سيما وقد أتم الله ذلك على يد ذلك الفتى المصرى الصالح الذى اختصر الطريق إلى الجنة إذ اسلم لله وقاتل فى سبيل الله حتى لقى الله راضيا مرضياً بعدما قتل طاغية البحر ومزق جيشه وسفنه وهدى المسلمين إلى الفتح والنصر . أبلغ المقوقس عظيم القبط وآله جميعاً عزاءنا فى شطا وترحمنا عليه وأوص أصحابك أن يكون لهم فى هذا الشهيد المصرى أسوة حسنة حتى يحقق الله بهم مصداق ما أخبر به رسول الله ﷺ إذ قال : (إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض) . فسأله أبو بكر . ولم يا رسول الله ؟ قال : (لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة) .

(تعود أرمانوسة إلى تشبيك أصابعها فى أصابع يونس وكذلك تفعل هيلانة مع زوجها الهاموك)

المقوقس : (**يلحظ ذلك**) أعطنى يدك يا عمرو . (**يضع يده فى يد عمرو**) .

(ستار)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ إخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ إمبراطورية فى المزاد .

٢١ ــ الدنيا فوضى .
٢٢ ــ أوزوريس .
٢٣ ــ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .
٢٤ ــ دار ابن لقمان .
٢٥ ــ قطط وفيران .
٢٦ ــ هاروت وماروت .
٢٧ ــ جلفدان هانم .
٢٨ ــ الفلاح الفصيح .
٢٩ ــ حبل الغسيل .
٣٠ ــ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ــ هكذا لقى الله عمر .
٣٢ ــ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ــ إلـه إسرائيل .
٣٤ ــ الزعيم الأوحد .
٣٥ ــ الدودة والثعبان .
٣٦ ــ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

الولاة والرعية

و

فتح الفتوح

ملحمة عمر

الولاة والرعية

و

فتح الفتوح

علي احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

« فى دار عمرو بن العاص بالفسطاط »

عمرو : (**يدخل غاضباً**) رَيْطة ! رَيْطة !

ريطة : (**تدخل**) لبيك يا أبا عبدالله .

عمرو : أين ابنك محمد ؟

ريطة : إنى لأراك غاضباً . ما خطبك ؟

عمرو : أين هو؟

ريطة : تسألنى ؟.. أنا أحْرَى أن أسألك عنه.لأى شىء تريده ؟

عمرو : أريد أن أؤدبه .

ريطة : ماذا فعل ؟

عمرو : ألا تعلمين أنت ماذا فعل ؟

ريطة : أنّى لى أن أعلم ماذا فعل ؟

عمرو : لا بد أنه أحدَثَ حدثا فقد كتب إلىّ أمير المؤمنين فيه وأمرنى ألا أضع ثيابى حتى أقدُمَ به عليه .

ريطة : فى المدينة ؟

عمرو : ويحك أين يكون أمير المؤمنين إلّا فى المدينة ؟

ريطة : رويدك ، إنك لتغلظ لى فى الكلام كأنما أنا التى أحدثت الحدَث .

عمرو : أنتِ دَلّلْته فأفسَدته بتدليلكِ. والله لأؤدّبنه ولأوجعنه .

ريطة : ها هو ذا قد أقبل مع وردان فأدّبه كما تشاء حتى لا تُلْقِى تَبِعتَه على ظهرى .

(يدخل وردان ومحمد بن عمرو)

عمرو : أين وجدتَه يا وردان ؟

وردان : فى المِضْمَار يتسابق .

عمرو : أليس لك من عمل آخر غير السباق يا لُكَع ؟

محمد : ماذا جَنَيْتُ يا أبت فتَشْتُمَنى ؟

عمرو : خبرنى أنت ماذا جنَيْتَ ؟

محمد : لا والله يا أبت ما جنيت شيئا .

عمرو : فعلام أمرنى أمير المؤمنين أن أقْدُمَ بك عليه ؟

محمد : ماذا يصنَع بى أمير المؤمنين ؟ لعله طلب عبد الله بن عمرو .

عمرو : بل طالبك أنت .

محمد : اكتب إليه يا أبى تستوضحه .

عمرو : قبح الله رأيك ! تريد أن أعْصِى أمر عمر ؟

ريطة : أخبِر أباك يا بُنى .

محمد : بأى شىء يا أمّه ؟

ريطة : بالذى أغضب أمير المؤمنين منك .

محمد : ماذا عسى أن يُغضِبه منى وهو بالمدينة وأنا بمصر ؟

عمرو : سلْهُ هذا السؤال غداً إذا علاكَ بدِرّته .

محمد : (**فى خوف**) ماذا قال لك عنى يا أبى فى كتابه ؟

عمرو : ويلك لوقد قال ما سألتُك .

محمد : وأنا لو أعلم شيئا لأجبْتُكَ .

عمرو : وردان . إنى لأرى فى عيْنيك أن عندك علما فتكلم .

وردان : ليس عندى يقين يا أبا عبد الله ولكنى أظن ظناً .

عمرو : فهاتِ ما عندك ؟

وردان : فى سباق الخيل الكبير الذى أجْرِىَ منذ شهرين تلَاحى محمد بن عمرو وفتًى من القبط فما كان من محمدٍ إلا أن لطَمَه وقال له خُذْها وأنا ابن الأكْرَمِين ؟

عمرو : فعلتَهَا يا محمد ؟

محمد : نعم يا أبت وقد ندِمْتُ على ما فعلت ولن أعود لمثلها .

عمرو : ويلك يا ابن السُّوء أتريد أن تَهْدِمَ كل ما بنيت ؟ أتريد أن يعزِلَنى أمير المؤمنين ويُوَلِّيَها غيرى ؟

محمد : ما كنت أعلم أن ذلك سيبلغ أمير المؤمنين .

عمرو : ويلك ألا تعلم أن لأمير المؤمنين عُيُوناً فى كل مكان يبلِّغُونه الأخبار ؟

محمد : لقد كنا واقفين بعيداً عن المِضْمَارِ ولم يرنَا أحدٌ إذ لطمته .

عمرو : أليس لهذا الفتى القبطى لسان ؟

محمد : ويشكونى تَوا إلى أمير المؤمنين ؟

عمرو : لِمَ لا ؟ إن أمير المؤمنين ليشجع الناس على ذلك .

محمد : لقد غاظنى الفتى يا أبى فلم أملك أن لطمته ؟

ريضة : ماذا فعل لك يا ولدى ؟

محمد : دَأَبَ طولَ السباق على مُلَاحَاتى . كلما قلت : جوادى هو السابق قال لى كذَبْتَ بل جوادى .

ريطة : فهلّا قلت له : كذبت كما قال لك ؟

عمرو : (**ساخراً**) ابن الوالى على مِصْرَ ، فله أن يفعل بالناس ما يشاء . خذها وأنا ابن الأكرمين . والله لئن بلغ عمرَ هذا الذى قلْتَه ليلزِمنّنى بها ما حييت .

ريطة : لكن من الذى كتب للفتى القبطىّ إلى أمير المؤمنين ؟

عمرو : أهذه عقَبَةٌ ؟ كثير من القبط أصبحوا اليوم يكتبون العربية .

ريطة : لِمَ لا تبعث إلى الفتى فتَسْتسمِحه لابنك ؟

عمرو : صدقت يا أم عبد الله . تعرفُ مكانه يا وردان ؟

وردان : نعم .

عمرو : انطلقْ إليه فقلْ أجِبْ الأمير .

وردان : لن أجده يا أبا عبد الله .

عمرو : لا ترجعْ إلىّ حتى تجده .

وردان : هو الآن عند أمير المؤمنين فى المدينة .

عمرو : ويلك كيف عرفْتَ ؟

محمد : سألت عنه اليوم فقيل لى إنه رحل مع وفْدِ مصرَ إلى أمير المؤمنين .

عمرو : مع وفد مصر ؟ ويل لأبى رافع ! كيف أذن لذلك الفتى أن يذهب معهم دون أن يخبرنى ؟

ريطة : لا شك أن أبا رافع هو الذى شجَّع الفتى على شكواه .

محمد : من أجل أنه قِبْطى مثله .

(**يدخل عبد الله بن عمرو**)

عبد الله : كذبت يا لُكَع. بل من أجل أنه مُسْلِم يغَارُ على الإسلام أن تشوه أنت صورته عند أهل مصر.

عمرو : سمعت حديثَنا يا عبد الله؟

عبد الله : من أوله إلى آخره. شَغَلْتُمُونى عن قُرْآنى؟

عبد الله : ليس لك مع أمير المؤمنين سبيل إلا أن تطيعه كما أمرك.

وردان : أنتم الجناة على أنفسكم. هلّا قصرْتُم هذا السباق على أنفسكم دون أن تُشْرِكوا فيه القبط.

عمرو : ويلك من كان من أهل الذِّمّة فله ما لنا وعليه ما علينا فبأى حق نمنعه؟

وردان : حتى لا يحدث بيننا وبينهم مثل هذا الذى حدث.

عمرو : إنما هذا فعلُ غِرّ سفيه فعلينا أن نؤدبه لا أن نمنعهم حقَّهم من أجله.

عبد الله : هذا بلدهم يا وردان ونحن مقيمون فى بلدهم بأمر الله فكيف نعْصى أمر الله فيهم؟

ريطة : اذهب إليه وحدك يا أبا عبد الله واترُكْ محمداً حتى يسألك عنه، فلعله أراد أن يستشيرك فى بعض الشئون التى تكلّمَ فيها مع الوفد.

عمرو : ويحك أتريدين أن تنقذى ابنك وتُلْقِى بزوجك فى الهَاوِيَة؟ لا والله لآخُذَنَّه معى وليفعل به أمير المؤمنين وبى ما يشاء.

(ستار)

المشهد الثاني

فى ميمنة المسجد النبوى الشريف حيث يجلس عمرُ ليفْصِلَ فى شئون الناس .

يُرى عمر جالسا وأمامه سعد بن أبى وقاص عن اليمين والجرّاحُ بن سِنَان الأسدى فى جماعة من قومه عن الشمال .

سعد : يا أمير المؤمنين لا ينبغى أن تصدّق فِيّ كلام السفهاء .

عمر : مَهْ يا سعد . اكفُفْ لسانَك عنهم ؟

سعد : فما بالهم لم يكفوا لسانهم عنى ؟

عمر : ذلك ما أنظر فيه الساعة حتى أرى وجْهَ الحق فيما اتّهموك به . **(يلتفت إلى محمد بن مسْلمة الجالس قريبا منه)** يا محمد بن مسلمة هل وجدت فى الكُوفَةِ من يطعن فى سَعْدٍ غير هؤلاء الرَّهْطِ ؟

ابن مسلمة : لا يا أمير المؤمنين كلهم يثنى عليه خيرا ما خلا هؤلاء .

عمر : يا جراح بن سنان . أنت الذى توليت كِبْرَ الحَمْلِة على سعد ؟

جراح : أنا وهؤلاء الرهْط من قومى يا أمير المؤمنين،ولولا ما أوْجب الله علينا من النصيحة لجماعة المسلمين لسكتْنا فكان

السكون أجدى علينا وأسلم .

عمر : وسائر أهل الكوفة أليسوا ناصحين لجماعة المسلمين ؟

جراح : الله أعلم بهم يا أمير المؤمنين وحسابهم على الله .

عمر : ألا تعلمون أن سعد بن أبى وقاص من السابقين فى الإسلام وممن تُوُفِّى عنهم النبى وهو عنهم رَاض ؟

جراح : بلى نعلم ذلك يا أمير المؤمنين،ولعل ذلك هو الذى أسْكَتَ غيرنا من أهل الكوفة عنه . أما نحن فقد رأينا الإنكار عليه أوجب لمكان القُدْوَة فيه .

عمر : أنت الذى يقول عنه إنه لا يُقَسِّمُ بالسَّوِيّة ولا يعدل فى الرعيّة ولا يغزُو فى السرّية ؟

جراح : أجل يا أمير المؤمنين هو كذلك،وهؤلاء الرهطُ يشهدون معى على ذلك .

الجماعة : أجل يا أمير المؤمنين .

سعد : هؤلاء متواطئون معك .

جراح : هات لأمير المؤمنين شاهداً واحداً يشهَدُ علينا لك .

جفينة : (**ينهض من مجلسه**) أنا يا أمير المؤمنين أشهد لسعد .

عمر : من تكون ؟

جفينة : أنا جُفَيْنة العبادى صاحِبُ سعد وصديقه وأعرف الناس به وأشدّهم ملازمة له .

عمر : مسلم أنت ؟

جفينة : نعم يا أمير المؤمنين . كنت نصرانياً فهدانى الله إلى الإسلام .

عمر : ماذا تشهد لسعد ؟

جفينة : أشهد أنه يقسم بالسوية ويعدل فى الرعية ويغزو فى السرية .
عمر : ويحك ما زدت على أن أخذت السجعة فقلَبْتَها !
جراح : يا أمير المؤمنين أتكذِّبُنا وتصدق هذا الذى كان عِلْجاً منذ أيام ؟
جفينة : سامحكم الله.ماذا يمنعكم أن تسبُّونى وقد سبَبْتُم صاحب رسول الله ؟
عمر : اجلس يا جفينة (**لسعد**) أحقا يا أبا إسحاق هو صاحبك وصديقك ؟
سعد : نعم يا أمير المؤمنين .
عمر : وأعرف الناس بك وأقربهم إليك ؟
سعد : هو ظِئْرٌ لى يا أمير المؤمنين ومُؤَدِّبٌ لأولادى يعلمهم القراءة والكتابة .
عمر : وماذا قلتم فى صلاة سعد ؟
جراح : ما قلنا عنها إلا أنها تختلف عن الصلاة التى عرفناها من مَشْيَخَةِ الصحابة .
عمر : ويلك أفْصِحْ ! ألم تزعموا أنه لا يحسنُ يُصَلِّى ؟
جراح : بلى يا أمير المؤمنين.إنه ليُطِيلُها حينا حتى يَضِيقُ بها المصلُّون، ويخففُها حينا حتى لإنهم ليلهَثُون وراءه .
عمر : كيف تصلى يا أبا إسحاق ؟
سعد : يا أمير المؤمنين أتصدِّقهم حتى فى الصلاة ؟
عمر : أجب يا أبا إسحاق كيف تصلى بالناس ؟
سعد : أطيل الأوليَّين وأخفف الأخيرتين .

عمر : ذلك الظن بك يا أبا إسحاق .

سعد : يجهلون السنة يا أمير المؤمنين فيُنكِرُونَها عليّ .

عمر : ويحكم هكذا كانت صلاة رسول الله ﷺ . وتقولون إن الصيد يُلْهيه ؟

جراح : نعم يا أمير المؤمنين وكل الناس يعلم ذلك .

عمر : عن أى شىء يلهيه ؟

جراح : عن كل شىء .

عمر : عن حق لله عليه أو حق للناس ؟

جراح : لا جرم يا أمير المؤمنين .

عمر : أجب . هل غابَ عن صلاة له قط أو قصدهُ أحد فى مجلسه فلم يجده ؟

جفينة : (**ينهض**) أنا أجيبك يا أمير المؤمنين . إن سعدا لا يخرج للصَّيْد إلا يوم الجمعة .

عمر : يوم الجمعة ؟.

سعد : يعنى يا أمير المؤمنين أنى أخرج فى السَّحَر من ليلة الجمعة فما يَمْتَع الضحى إلّا وقد فَرَغت من صيدى وعدْتُ إلى بيتى .

جفينة : أجل يا أمير المؤمنين هو ذاك وإنى لأخرج أحياناً معه .

عمر : ويحكم ليس فى هذا الصيد من بأس .

جراح : لقد ظننا يا أمير المؤمنين أن ليس لوالى المسلمين أن يتلهَّى بالصيد،فإن رأيت ألا بأس بذلك فرأيك الأصْوَبُ.ولكنا نَنْشُدُك بالله إلا ما وَلَّيْت علينا غيرَه فإنا لن نأْمَنه بعدما شكوناه إليك .

عمر : اللهم إنا نعوذ بك من كل مُنافق عليم اللّسان. من استخْلَفْتَ على الكوفة يا سعد؟

سعد : عبد الله بن عبد الله بن عتبان.

عمر : اخترت فأحسنت فليكن هو على الكوفة مكانك.

سعد : أتعزِلُنى يا أمير المؤمنين كأنما صدقت ما قالوا فىّ؟

عمر : كلا يا أبا إسحاق لولا الاحتياط لكان سبيلهم بيّنا.

سعد : يا أمير المؤمنين أليس بحسبك دليلا على ما عندهم من الشر نهوضهم فى هذا الأمر وقد استعدَّ لنا من الأعاجم من استعد؟

عمر : بلى يا سعد، ولكن ذلك لا يمنعنى وايم الله من النظر فيما لديهم ولا اتِّباع الحَيْطَة بعد ذلك، ألاَّ تنشَقَّ كلمة المسلمين وقد جمع لهم عدوهم ما جمع.

الجراح : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين. هذا الخطَرُ والله هو الذى حملنا على التعجيل بشكوى أميرنا إليك.

عمر : الله أعلم بما فى سرائركم. ارتفعوا الآن عنى وإياكم أن تعودوا لمثلها. والذى نفسى بيده لئن شَغَبْتم بعدها على والٍ لى لأجعلنهم نكالا لغيركم.

(يخرج الجراح وجماعته)

سعد : إذن فسيّرنى يا أمير المؤمنين مع الجيش فإنّ لى بفارس وحربها خُبْراً.

عمر : ليس من الخير أن أبعثك فى هذا الوجه بعد الذى كان،ولكن

تبقى عندنا يا أبا إسحاق وتشير علينا فيما يعنينا من أمور العراق .

سعد : إنى أريد يا أمير المؤمنين أن أجاهد فى سبيل الله فابعثنى وأمِّر غيرى .

عمر : لقد فتح الله العراق والمدائن على يديك ، فبحسبك ذلك . دع شيئا لغيرك ممن لم يبلوا بلاءك . تعال معى يا أبا إسحاق .

سعد : إلى أين يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أنت ضَيفى اليوم .. أنت ومحمد بن مسلمة .
(**يأخذ بيديهما**) هلم .

(**يخرج الثلاثة ويخرج الناس ما خلا جفينة فإنه يتلبث فى المسجد كأنما ينتظر قدوم قادم وإذا جراح بن سنان يدخل مُتسللا فيدنو منه**)

الجراح : أنت راحل معنا يا جُفَيْنة ؟

جفينة : كلا أنا باق مع سعد .

الجراح : وبقية أجرنا ؟

جفينة : قد أحضرته معى فخُذه .
(**يناوله كيسا من الذهب**)

الجراح : ألف دينار ؟

جفينة : ألف دينار .

الجراح : كاملة؟

جفينة : تَشُكُّ فى أمانتى يا جراح؟

الجراح : معاذ الله يا جفينة.

(يتسللان خارجين)

(ستار)

المشهد الثالث

ميمنة المسجد النبوى انشريف .

يرى عمر جالسا وحوله كبار الصحابة من أهل الشورى وغيرهم وأمامه أبو رافع ومن معه من وفد القبط من ناحية اليمين،وعمرو بن العاص وابنه محمد من ناحية الشمال .

عمر : أتْمِمْ يا داود .

داود : فلم يكد يسمع ذلك منى يا أمير المؤمنين حتى أخرج لى سَوْطَه فجعل يضربنى به وهو يقول خُذها وأنا ابن الأكرمين .

عمر : (**مردداً فى سخرية**) خذها وأنا ابن الأكرمين ! خذها وأنا ابن الأكرمين ! ما يقول ابنك فى هذا يا عمرو ؟ أينكر أم يعترف ؟

عمرو : بل يعترف يا أمير المؤمنين . قد اعترف لى بذلك ونحن فى مصر لما سألته حين جاءنى كتاب أمير المؤمنين .

عمر : أوَليس له لسان يجيب ؟

محمد : قد وقع ذلك منى يا أمير المؤمنين وأنا نادم وتائب ولن أعود لمثلها .

عمر : قاتلك الله . ألا تعلم أنِ هذا فى ذِمتنا ؟ فى ذمة الله و ذمة رسوله وذمة المسلمين ؟ قم أيها الفتى فاضرب ابن الأكـرمين .
(**يلقي إليه بالدرة**) اجلس أمامه يا ابن الأكرمين وامتثل له !

(يجلس محمد بن عمرو أمام داود وبيده الدرة فيضربه داود)

عمر : اضربه يا داود وأوجعه ! اضرب ابن الأكرمين ! (**ينهال داود عليه ضربا وعمر يقول له**) اضرب ابن الأكرمين !

داود : (**يكـف عن الضرب**) يا أمير المؤمـنين قد استوفـيت واشتفيت .

عمر : أجِلْها الآن على صلْعَة عمرو !

عمرو : يا أمير المؤمنين ما ذنبى ؟

عمر : ما ذنـبك ؟ هل جرؤ ابـنك على ضرب هذا الفتـى إلا بسلطانك ؟ امتثل .

عمرو : امتثلت يا أمير المؤمنين .

عمر : أجِلْها يا داود على صلعته .

داود : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى وحسبى ذلك .

عمر : إنك والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه .

داود : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت .

عمر : أيا عمرو متى تعبَّدتم الناس وقد ولدَتْهم أمهاتهم أحراراً ؟ اصرف ابنك هذا عنى ثم عُدْ إلىّ .(**يخرج عمرو وابنه محمد**

إذا رجعت إلى بلدك يا داود فرابَكَ رَيْبٌ فاكتب إلىّ .

(**يعود الفتى إلى مجلسه ويعود عمرو بن العاص**) .

أبو رافع : هل يأذن أمير المؤمنين للوفد فينصرفوا إلى رحالهم ؟

عمر : كلا يا أبا رافع حتى نتحادث معهم فى أمر الخليج الذى تقترح حفره ، فهذا عمرو قد حضر فلنبدأ حديثنا فى ذلك على مسمع منه .

عمرو : ألم تَتَّفقوا على شىء بعد يا أمير المؤمنين !

عمر : إنا أجَّلنا الحديث فى الخليج حتى تحضر يا أبا عبد الله .

عمرو : نِعْمَ ما فعلت يا أمير المؤمنين وإن كنت زوَّدْت أبا رافع بكل ما عندى من رأى فى هذا الأمر .

عمر : ما تقولون يا معشر الوفد فى حفر هذا الخليج من نيلكم حتى يسيل فى البحر !

بطرس : يا أمير المؤمنين إن الخليج الذى تقترحه قد كان موجودا فى الأزمنة السابقة ولكنه أهْمِل فرُدِمَ وفى الإمكان إعادة حَفْره من جديد .

اصطفانوس : يا أمير المؤمنين ليس من رأيى أن تحفر ذلك الخليج .

عمر : كأنك ترى أن تحفر خليجا جديدا غير الخليج القديم !

اصطفانوس : كلا يا أمير المؤمنين . إنى أرى ألا يُحْفَر خليج ألبتة .

عمر : فِيمَ ويحك ! ألا تَرىَ ما فى ذلك من منافع لنا ولكم !

اصطفانوس : إنه لو تَمَّ يا أمير المؤمنين فسيجعل سِعْر الطعام بالمدينة مثل سِعْرِه فى مصر فينكسر الخراج بذلك .

عمر : علام ينكسر الخراج ! إننا لا نريد أن نأخذ من مصر أكثر من القدر المتفق بيننا وبين أهلها وما زاد على ذلك فبالثَّمن تجارةً بين أهلها وبيننا. فأى شىء تخافون ولماذا ينكسر الخراج !

بطرس : أما أنا فأرى أن الخليج سيزيد مصر رخاء على رخاء إذ تنشط وتتسع التجارة بينها وبين بلاد العرب وبلاد الهند .

جرجس : أنا أيضا أرى ذلك .

اصطفانوس : كلا يا أمير المؤمنين إن فى ذلك خراب مصر .

عمر : ويحك أفمن أجل خليج يصل النيل بالبحر وييّسر نقل السلع من بلادكم إلى بلادنا تخرب مصر ! إذن فأخرب الله مصر من عمران المدينة ؟

بطرس : اعذره يا أمير المؤمنين فإنه قليل المعرفة بهذه الشئون .

عمر : أصغ إلىّ لعلى أستطيع أن أبين لك . هل سمعتم بعام الرمادة إذ أصابنا قحط شديد استمر تسعة شهور !

اصطفانوس : نعم سمعنا بذلك .

عمر : لقد كان عندنا يومئذ ذَهبٌ لم يستطع أحد أن يحمله إليكم، وعندكم ميرة لم يستطع أحد أن ينقلها إلينا لبعد الشُّقة مع الجَفَاف الذى أهلك الزّرْع والظهْر. لودِدْتُ والله يا أهل مصر لو كان سبيل لتيسير النقل بين مصر والشام وبين مصر والعراق وبين هذه الأقطار الثلاثة وبيننا حتى يتبادل أهل هذه البلاد ما لديهم من السلع، فيربو الخير عندهم جميعا ويعم الرخاء .

بطرس : هذا حسن يا أمير المؤمنين .

عمر : إنى لأنظر إلى هذه البلاد كأنها بلد واحد فلا ينبغى أن يجوع فى بلد منها قوم ويشبع آخرون،ولا ينبغى أن يجوع أهل بلد منها ويشبع أهل بلد آخر .

شنودة : وأهل الذمة فيها يا أمير المؤمنين !

عمر : أهل الذمة فيها كالمسلمين لا فرق بينهم وبين المسلمين .

شنودة : يا أمير المؤمنين أنتم تجمعون من المسلمين الزكاة فحسب، فعلام تجمعون منا الجِزْيَة والخراج .

عمر : الخراج إنما هو على الأرض لا عليكم .

شنودة : ولو ملكها رجل مسلم؟

عمر : ولو ملكها رجل مسلم،ولكنى قد منعت المسلمين العرب أن يتَبَاعوا من أرض مصر حتى لا يزاحِموكم فى أرضكم ولِا يشغلهم شاغل عما أوجبه الله عليهم من الجهاد عنكم وحماية دياركم .

شنودة : والذين يُسلمون منا يا أمير المؤمنين؟

عمر : تسقط عنهم الجِزْيَة .

شنودة : ولا يسقط عنهم الخراج؟

عمر : لا .. الخراج على الأرض .

شنودة : وفقراؤنا يا أمير المؤمنين أليس لهم نصيب فى الصدقة؟

عمر : بلى لهم فيها نصيب . إن الصدقة على الفقراء والمساكين .. الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب .

شنودة : والعطاء يا أمير المؤمنين؟

عمر : العطاء للمسلمين خاصة لأنهم مجندون للجهاد والمُرابطَة في الثغور والحدود، أما الذّميوُّن فيعملون فى أرضهم ويعملون فى متاجرهم ويعملون فى صناعتهم فيكسَبُون من ذلك، ولذلك لا نفرض لهم عطاء اللهم إلا للمساكين منهم والمعْوَزين.

شنودة : فاحفر الخليج إذن يا أمير المؤمنين فى مصر وأقم بها ما تراه من المرافق والمصالح،فلن يضار أهل مصر شيئا ما سِرتم فى سياستها على هذا المنهج.

بطرس : وأنت يا اصطفانوس آن لك أن توافق على رأينا.

اصطفانوس : قد وافقت الساعة.

عمر : الحمد لله. بقى عليكم الآن أن تعاونوا صاحبكم عمراً على ذلك.

الوفد : سنفعل يا أمير المؤمنين. سنعاونه بكل ما أوتينا من قوة.

عمر : إذن فإنى أرجو يا عمرو أن لا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله.

عمرو : إن شاء الله يا أمير المؤمنين.

عمر : هل لك يا عمرو أن تتركنى معهم قليلا حتى ندعوك؟

عمرو : حباً وكرامة (يخرج).

عمر : ماذا ترون فى عمرو بن العاص! إن شئتم اخترت لكم والياً آخر مكانه.

الوفد : يا أمير المؤمنين لا نريد به بديلا وبِطْريقنا الأكبر بنيامين يحبه ولا يريد به بديلا.

عمر : إنى باعث إليكم من هو خير من عمرو .

الوفد : يا أمير المؤمنين أنت وما تريد. ولكنا نعرف عمراً ولا نعرف الآخر فالذى نعرفه خير لنا من الذى لا نعرفه .

عمر : (**ينادى**) هلم يا عمرو بن العاص .

عمرو : لبيك يا أمير المؤمنين . (**يعود**)

عمر : إنك لذو حظّ عظيم . إن أهل مصر ليحبونك ولا يريدون بك بديلا فعليك بأهلك وأولادك فأدبهم وشدّد عليهم أن يتواضعوا للناس ولا يترفَّعوا عليهم فإن العظمة لله وحده .

(**ستــار**)

المشهد الرابع

فى بيت عمر بالمدينة .

يرى سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف جالسين فى جانب ، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص فى جانب آخر وهم يتطلعون إلى باب الدخول حيث يرى أسلم واقفا دونه .

خالد : أين أمير المؤمنين يا أسلم؟ ما باله تأخر !

عمرو : قلت لنا آنفا إنه سيعود وشيكاً .

أسلم : هو الذى أمرنى بذلك . قال لى إن جاء عمرو بن العاص فقل له ينتظرنى فإنى عائد عما قليل .

خالد : ها نحن أولاء انتظرنا طويلا ولم يعد . يا ليتنى زرت أولا بيت أختى فاطمة .

سعد : (**باديا فى وجهه الغضب**) لعله علم بحضورى فكَرِهَ أن يلقانى .

ابن عوف : أوَليس هو الذى أرسل فى طلبك !

سعد : بلى أرسل فى طلبى ليؤنِّبنى . والله لأكونَنّ أنا الذى أؤنبه .

خالد : هوِّن عليك يا أبا إسحاق .

سعد : (**ثائرا**) هوِّن عليك ! فهلّا هوّنت على نفسك يا أبا سليمان يوم عَزلك !

خالد : لو فعلت لكان خيرا لى .

سعد : لكنك ما فعلت .

خالد : لذلك نَدِمْت فأشفقت عليك أن تقع فى مثل ما وقعت فيه .

سعد : إن أمرى مختلف عن أمرك . لقد رأيتنى يوما وأنا خمس الإسلام ، واليوم يصدّق عُمرُ أوشاب بنى أسد فىّ .

عمرو : ما إخاله صدّقهم يا أبا إسحاق .

سعد : فما باله خَلّى سبيلهم وعَزلنى !

عمرو : درءا للفتنة وحرصا على اجتماع الكلمة .

سعد : لحاك الله يا ابن العاص . هؤلاء الطَّغَام هم الذين أشْعَلُوا الفتنة وفرّقُوا الكلمة .

ابن عوف : لا حول ولا قوة إلا بالله . كل هذا من جُفَيْنة .

سعد : وما شأن جفينة !

ابن عوف : هو الذى حمّسَك وحَرَّضَك .

خالد : ومَنْ جفينة !

ابن عوف : عِلْجٌ من علوج الجزيرة أسلم حديثا على يد سعد .

سعد : إنى أحرّج عليك يا ابن عوف أن تَشْتُمَ صاحبى .

ابن عوف : إنه ليس من نُظَرَائك فتتخذه صاحبا لك .

سعد : هذا شأنى يا عبد الرحمن وليس من شأنك .

ابن عوف : فازجره إذن إذا دخل فيما لا يَعْنيه من أمْرِك .

سعد : إنه رجل صالح وليس كما ظننت .

عمرو : ها هو ذا أمير المؤمنين قد جاء .

(يدخل عمر)

عمر : السلام عليكم .

خالد : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله .

عمر : أبو سليمان !. مرحبا بك فى المدينة يا أبا سليمان ! كيف تركت أهل الشام؟

خالد : (مبتسماً) سلْ بهم غيرى يا أمير المؤمنين فقد أراحنى الله من كل ذلك .

عمر : صدقت يا خالد لقد أراحك الله من كل ذلك .

خالد : أين كنت يا أمير المؤمنين فقد حبسْتَنا طويلا ننتظرك !

عمر : اعذرونى يا قوم . غداً يذهب بريد العراق وطائفة من نساء المهاجرين لم يكتب لهن أحد إلى أزواجهن وذويهن فى العراق فكتبت لهنّ اليوم . مرحبا مرحبا بكم ما أسعدنى أن يجتمع اليوم عندى ثلاثة من أبطال المسلمين شامى وعراقى ومصرى .

سعد : يا أمير المؤمنين لا تذْكرنى بعد فقد عزلتنى من أجل أولئك الطَّغَام من بنى أسد .

عمر : مهلًا يا ابن أبى وقاص . ما قوارص تبلغنى بعد منك ! أليس قد فرغنا من ذلك وقضينا ما قضينا فيه ، وانتهيتَ من سَخَطك إلى رضى واقتناع .

سعد : هيهات يا عمر ما زلت على سَخَطى حتى تُنصفَنى من أولئك الكذَبَة الفسَقَة !

عمر : لقد كذَّبتهم وصدَّقتُك فأى نَصِفَة تريد بعد يا سعد !

سعد : كذّبتَهم بلسانك يا أمير المؤمنين ولكنك صدَّقتهم بفعلك .

عمر : تعنى العزل !

سعد : نعم .

عمر : ويحك يا أبا إسحاق بلسانى قضَيْتُ عليهم لك . فأما العزل فليس لهم وليس عليك وإنما هُوَ لخير المسلمين .

سعد : كلا يا أمير المؤمنين لا ريب عندى الآن أن القوم تواطأوا على ذلك مع العدو لتنحِيتى من أمرة جيش العراق إبان الحملة التى يحشدون الحشود لها اليوم .

عمر : أنَّى لك هذا يا أبا إسحاق ! هذا أمر عظيم .

سعد : إنهم قوم سوء يا أمير المؤمنين لا وازع لهم من دين ولا مُروءَة .

عمر : هذا أمر عظيم . لا سبيل لك عليهم إلا ببرهان .

سعد : ومن لك بالبرهان الذى تريد ! إنما تُقضى مثل هذه الأمور فى السر وتحت الكِتمان الشديد .

عمر : فكيف غَفَلْتَ عن ذلك إذْ كنْت معهم فى العراق !

سعد : ما كنت غافلا يا أمير المؤمنين ولكن أعوزنى الدليل .

عمر : ولم تُشِرْ إلى ذلك يومْ المحاكمة .

سعد : لقد أطار الغضب يومئذ من رأسى كل شىء .

عمر : فماذا تريد منى اليوم أن أصنع !

سعد : اجعلنى على إمرة جيش العراق وخلَاكَ ذم .

عمر : كلا لا أواجه جموع فارس برجل يطيِّرُ الغضب من رأسه كل شىء .

سعد : أنت الذى استفززتنى ما استفزّنى للغضب سواك .

عمر : سامحك الله يا أبا إسحاق .

سعد : ليست هذه أول هضيمه نالتنى منك . لقد قاسمتنى مالى إذ قال قائل إنى أثْرَيْت وفَشَا لى مال ، فسكت ولم أعترض واحتسبت أجرى عند الله ، ولكنك استمرأتها فما أن نقل لك ناقل ، أن لى قصراً سميته قصر سعد وجعلت له باباً يمنع عنى الصويت حتى سرَّحت صاحبك إلىّ فما سلّم علىّ ولا كلّمنى حتى عَمَدَ إلى الباب فأحْرقَه !

عمر : ويحك لقد علمت أنى إنما أمرت محمد بن مسلمة بذلك ليتسامع كل عمالى بالعراق وغيره بما حدث لك فلا تحدِّث أحداً منهم نفسه أن يتخذ لنفسه باباً دون الناس .

سعد : ثم أرسلته لى آخر مرة ليطوف بى على أهل الكوفة من مسجد إلى مسجد ومن ناد إلى نادٍ يسألهم عن سيرتى كأنى رجل سوء موصوم أو مظنون فى دينه أو أمانته .

عمر : وأى بأس فى ذلك عليك ؟ لقد كانوا يقولون عنك : ما لم نعلم إلا خيرا فهى شهادة لك إلا ما كان من الجرّاح وجماعَتِه .

سعد : فقد كذبت أهل الكوفة جميعا وما صدقت إلا الجرّاح وجماعته .

(يدخل أسلم)

أسلم : يا أمير المؤمنين رجل بالباب يستأذن عليك قد شَحُبَ لونه واغبر وجهه وطال شعره .

عمر : ألم تسأله من يكون !

أسلم : سألته فلم يجبنى وقال إن أمير المؤمنين يعرفه. إنه يحمل جرابَه وأدواته وعنزته كأنما جاء من سفر.

عمير : (صوته من خارج الباب) أنا عُمَيرُ بن سعد.

عمر : ادخل يا عمير بن سعد.

عمير : (يدخل) السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

عمر : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ويحك يا عمير بن سعد. ما هذه الهيئة! ما شأنك!

عمير : ما تنكر يا أمير المؤمنين من هيئتى وشأنى! ألست ترانى صحيح البدن، ظاهر الدم معى الدنيا أجرُّها بقرنيها!

عمر : ساخط جديد! اللهم اكفنى شرّ الساخطين؟

عمير : بل مُعذِر من نفسه، مُستَقِيل من عمله، جاعل بينك وبينه الله حكما وشهيدا ألا إنه بكل شىء محيط.

عمر : وما الذى معك هل جئت لنا بشىء!

عمير : ما جئت يا أمير المؤمنين بغير ما ترى: جِرَاب أجعل فيه زادى وإدَاوة أحمل فيها وضوئى وشرابى وعنْزةٌ أتوكأُ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرَض.

عمر : ويحك أفَجِئتَ تمشى من حِمْص!

عمير : نعم أمرتنى فى كتابك إلىّ أن أقبل فى الحال وما كانت عندى دابّة أركبها فركبت قدَمَىّ.

عمر : أما كان فيهم أحد يتبرع لك بدابة تركبها!

عمير : ما فعلوا وما سألتهم ذلك.

عمر : بئس المسلمون خرجْتَ من عندهم !

عمير : يا عمر إن الله قد نهاك عن الغيبة .

عمر : إنى أمرتك أن تقْبِلَ بما جَبَيْتَ من فىء المسلمين فأين هو !

عمير : لو كان لكِ شيء لأتَيْتُ به .

عمر : عجبا .. لقد مضى عليك حول منذ وليتك على حمص فأى شيء منعت !

عمير : ألا تَثِقُ بى يا أمير المؤمنين وتَكِلُ أمرى إلى الله !

عمر : سبحان الله . هذا عملى وعلىّ أن أحيط به .

عمير : أخشى يا أمير المؤمنين أن يغمك إذا سمعته .

عمر : هات ويلك . لأن يغمّنى اليوم خير من أن يغمنى يوم القيامة .

عمير : إنك بعثتنى حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم جميعا حتى إذا جمعوه أمرتهم فوضعوه مواضعه .

عمر : بَيِّنْ ويلك كيف وضعوه مواضعه !

عمير : أنفقوه لخير البلدة فى إصلاح طرقها وكرى ترعها وترميم أسوارها وتعليم جُهالِها وإطعام جائعيها وإعانة فقرائها ومساكينها من مسلمين وذميين .

عمر : إن يكن هذا الذى فعلت فلعمرى لقد أحسنت ففيم لم تكتب إلىّ بذلك !

عمير : ظننت أنك بعثتنى لذلك ولم يحدث عندى من شيء جديد فأخبرك به .

عمر : فما جئتنا بشيء!

عمير : لو فضل من ذلك شيء لأتيتك به.

عمر : لقد ظننت بك ظناً يا عمير والله يغفر لى ولك. أما وقد بيّنت لى ما بيّنت فتهيأ للعودة إلى حمص فإنى سأجدد لك عهداً.

عمير : كلا يا أمير المؤمنين إن ذلك لشيء مضى لا عَمِلت لك ولا لأحد من بعدك أبداً. ائذن لى يا أمير المؤمنين **(ينهض)**.

عمر : إلى أين!

عمير : إلى منزلى وأهلى.

عمر : البث لدينا قليلا بعد.

عمير : إن أهلى على أميال من المدينة فأريد أن أصِل إليهم قبل أن يدركنى الليل.

عمر : اذهب مصاحبا يا عمير بن سعد.

(يخرج عمير)

عمرو : ما رأيت كاليوم عجبا يا أمير المؤمنين.

عمر : والله إن كان صادقا فى زُهْدِه هذا فهو خير الناس.

عمرو : أتشك يا أمير المؤمنين فى صدقه!

عمر : إنى لأرجوه أن يكون صادقاً ولكن الشيطان كثيرا ما يُلبِسُ الباطل ثوب الحق، وقد استعاذ رسول الله من كل منافق عليم اللسان. ماذا تعرف عنه يا خالد!

خالد : ما أعلم عنه إلا خيراً يا أمير المؤمنين. إن أهل حمص ليثنون عليه قريبا من ثنائهم على أبى عبيدة رحمه الله.

عمر : يرحم الله أبا عبيدة . أين فى الناس مثله أو قريب منه ! ما تركت الدنيا أحداً إلا غيّرته ما خلا أبا عبيدة !

سعد : ذلك أن الله توفاه إلى رحمته ولو عاش ما سَلِمَ منك يا عمر !

عمر : (فى رقة) أبا إسحاق بأبى أنت وأمى كيف السبيل إلى رِضائك !

سعد : كلا لا تجمع لى أبويك يا عمر فقد جمعهما لى من هو خير منك !

عمر : ويحك يا خال رسول الله أليس لنا فى رسول الله أسوة حسنة ؟

سعد : إنك يا ابن الخطاب تأبى إلا أن تَتَهَضّمَنى فى كل شىء . هذا الرداء الذى أعطيتنيه أمس . (**يبرز له ثوباً فى يده**)

عمر : ما باله ؟

سعد : تكسونى هذا وتكسو ابن أخى مِسْوَرا أفضل منه .

ابن عوف : أوَقد ظننت يا أبا إسحاق أن أمير المؤمنين فضل مِسْوَراً عليك ؟

سعد : لا غرْو إن سرك ذلك فهو ابن اختك ؟

ابن عوف : إن شئت أمرت ابن أختى فدفع لك الرداء الذى معه بالرداء الذى معك .

سعد : (**ثائرا**) ما أفْيَلَ رأيك يا ابن عوف . أترانى من أجل الرداء ذاته غضبت ؟ إنما أغضبنى أن يعمد عمر إلى إذلالى وإهوانى .

عمر : معاذ الله يا أبا إسحاق والذى نفس عمر بيده ما قصدت ذلك ولا خطر لى على بال .

ابن عوف : قد حلف لك أمير المؤمنين يا سعد فماذا تريد بعد؟

سعد : لكنى قد أقسمت أمس يا أمير المؤمنين لأضربن بهذا الرِّدَاء رأسك .

عمر : إذن فافعل وأبِرّ قسمك يا أبا إسحاق (**يخضع له رأسه**) وليرفق الشيخ بالشيخ !

سعد : (**يضرب رأس عمر بالرداء ثم ينكفئ عليه يقبله وهو يبكى**) والله ليس فينا مثلك يا عمر ! أفّ للناس من بعدك يا عمر !

عمر : (**يعانقه**) صدق رسول الله ﷺ إذ قال : (هذا خالى فليُرِيَنِّى امرؤ خاله) ! (**ينهض كالمؤذن بالإنصراف فينهض الجميع**)

خالد : إنى أنتظر زيارتك يا أمير المؤمنين فى بيت أمّى .

عمر : إن شاء الله يا أبا سليمان .

(**يخرج خالد**)

سعد : سامحنى يا أمير المؤمنين .

عمر : قد فعلت يا أبا إسحاق .

(**يخرج سعد وعبد الرحمن بن عوف**)

عمرو : وأنا يا أمير المؤمنين ألا تفصل فى أمرى فأعود إلى مصر؟ ها قد أتاك الله بخالد بن الوليد فعليك به فوالله ليُذْهِبَنّ الله به وساوس الشيطان عن الفرس كما أذهب به وساوس الشيطان عن الروم .

عمر : لكنى أوثرك أنت يا عمرو فحربك حرب هيّنة لينة .

عمرو : لعل أولئك الأعاجم يا أمير المؤمنين لا تصلح لهم الحرب الهينة اللينة .

عمر : بلى يا ابن العاص إن الرِّفْقَ دائما أفضل من العُنف، وإنى لا أريد أن يبغضنا هؤلاء الأعاجم عسى أن يقذف الله فى قلوبهم الإيمان فيسلِمُوا وليس لذلك غيرك . والله ما أنسى حديث الأيام الثلاثة التى عَرَضتَ فيها المسلمين فى مختلف أحوالهم على القبط حالا بعد حال .

عمرو : أعجبك ذلك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أعجبنى ؟ إنى لأحدِّث به السُّمَّار فى مجالسى يا عمرو ؟

عمرو : فذلك أحرى يا أمير المؤمنين أن تَدَعنى فى مصر أسد فتُوقَها وأنظم أمورها فوالله ما الذى نستقبله اليوم من سِلمها بأيسر مما استدبرناه من حربها . فإن مكايد الروم ما زالت تُحاك فى برها وبحرها . ونحن ما زلنا نبنى الفُسطَاط، والإسكندرية لم تُفتح لنا أبوابها إلا منذ شهر واحد ، وهذا الخليج الذى أشرت بحفره ، وقد رأيت تعلق القبط بى وميلهم إلىّ .

عمر : (**بعد صمت يسير**) ولكنى أخشى من سَطْوَة خالد فإن فى سيفه رَهَقاً .

عمرو : يا أمير المؤمنين ليس مثلى من يَصِف مثل خالد لمِثْلك ، ولكن خالداً يجمع فى حربه بين الحيلة والبطش . وهذه الجموع التى حَشَدها يزدجرد فى الجبال والآطام لا يقوى عليها إلا من يجمع بين هاتين الخصلتين ومن لك يا أمير

المؤمنين بمثل خالد. والله لقد سمعت كثيراً من القِبْط يسألونني عنه ولا يصدقون أنه حي بعد؟

عمر : إني سأنظر في ذلك يا عمرو فاكتمه عني.

عمرو : أتأذن لي الآن يا أمير المؤمنين أن أستعد للسفر؟

عمر : إذا شئت يا عمرو.

(ستـــار)

المشهد الخامس

فى بيت عمر بالمدينة

خالد : أرسلت فى طلبى يا أمير المؤمنين؟

عمر : نعم يا أبا سليمان .

خالد : الحمد لله أصبح لا يُقلقُنى طلبك يا عمر إذ أصبحت لا أخشى أن تعزلنى أو تقاسِمَنى مالى!

عمر : الحمد لله إذ مَسَحَ عن نفسك الضغن يا خالد فصِرت لى مُحبا وحبيبا أىّ حبيب .

خالد : إنما يحرص على الحب النساء يا عمر . لقد قتلتنى يا ابن الخطاب!

عمر : ويلك ما تقول؟

خالد : أيّما رجل قطعته عن عمله فقد قَتَلْتَه . ألا تذكر يا عمر كيف كدت أموت غما فى عهد أبى بكر إذ تركَنى سَنَةً بعد فتح الحيرة لا أعمل شيئا؟

عمر : تلك السَّنَةَ التى سَمَّيْتَها سَنَةَ نِساء؟

خالد : أجل أما أنت فقد زدت فى ذلك على أبى بكر كما زدت عليه فى كل شىء.

عمر : كلا يا خالد يأبى الله أن أتقدم على أبى بكر .

خالد : إنما تركنى أبو بكر سنة وتركتنى أنت أربع لا أحمل سلاحى إلا للصيد ، وكلما سمعت بغزوة للمسلمين فى العراق أو فى مصر تقطع قلبى شوقاً إلى أعِنّة الخيل ، حتى إذا فتح الله عليهم حمدت الله عز وجل وقلت لنفسى لقد صدق ابن حنتمة : النصر بيد الله يؤتيه المسلمين ولا يؤتيه خالداً ولا أبا عبيدة .

عمر : (**بصوت يخالطه البكاء**) ما كنت أعلم يا أبا سليمان أنك تحمل كل هذا الهَمِّ من أجل ذلك . لقد بلغنى أنك تَدْرُسُ القرآن فظننتك قد وجدت ما يُغْنِيك عن ركوب الخيل وسُرَى الليل ومعاناة الويل .

خالد : إنى لأدرس القرآن حقا يا أمير المؤمنين ولكن ما غَناء ذلك لى وأنا قد شَبَبْت على الحرب والقتال ؟ والله إن أصغر رجل فى الأنصار أو المهاجرين ليفقه فى القرآن خيرا منى ولا أذكر عبد الله بن عباس ولا المِسْوَر بن مَخْرَمة !

عمر : لو كنتَ أقمت بيننا فى المدينة لوجدت عملا كثيراً ولضممناك إلى أهل الشورى .

خالد : مع طلحة وعثمان وعلىّ وابن عوف ؟ كلا يا عمر ليس هؤلاء بأقرانى ولا رفاقى إنما رفاقى وأقرانى هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو ورافع بن عميرة وقيس بن مكشوح وقد فرقت بينى وبينهم يا عمر !

عمر : لو أقمتَ لأشرت علينا فى شئون الحرب فليس فى أهل الشورى من يُغنى غَناءَك .

خالد : يا أمير المؤمنين ليس القول كالفعال . وعندك اليوم سعد بن أبي وقاص قد سحَبْتَه مثلى من الميدان وضممته إلى أهل شوراك .

عمر : ما يدريك يا أبا سليمان لعلى أرسلك مرة أخرى إلى الميدان .

خالد : (**يفرح فرحاً شديداً**) أحقا يا عمر ؟ أحقا يا ابن الخطاب ؟

عمر : نعم يا خالد .

خالد : آه لو بعثتنى فى أرض الروم ! لأفتحن للمسلمين القسطنطينية .

عمر : كلا يا خالد قد سالمتنا الروم منذ وفاة هرقل فلا نريد أن تقوم بيننا وبينها حرب .

خالد : يا أمير المؤمنين قد فتح سعد المدائن وفتح عمرو الإسكندرية فدعنى أفتح القسطنطينية .

عمر : إنى باعثُك إلى فارس يا خالد فإن يزدجرد ما زال يساورِنُا ويؤلب علينا ويحرض ويجمع . ها هو ذا قد حشَدَ الحشود فى نَهَاوَنْد . مائة وخمسين ألف مَقاتِلٍ . فهل أنت فاعل ؟

خالد : إلى الميادين تبعثنى يا أمير المؤمنين وتسألنى هل أنا فاعل ؟ لقد أحيَيْتَنى اليوم والله ورجعت إلى شبابى !

(**يدخل أسلم**)

أسلم : عمير بن سعد يا أمير المؤمنين .

عمر : ادخل يا عمير .

(يدخل عمير بن سعد)

عمير : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام .

عمير : أتدرى لماذا جئت ؟ إنى أشكوك إلى الله الذى هو فوقك .

عمر : فيم يا عمير ؟

عمير : ألم يكْفِك ما قد كلفتنيه من المشقة والجَهْد إذ جئتك ماشيا من حمص حتى تختبرنى وتبعث الجَوَاسِيسَ من خلفى ؟

عمر : ما بعثت إلا رجلا صالحا لينزل ضيفا عندك فهل أجهَدَكَ ؟

عمير : لو كان ضيفاً حقاً لما شَقَّ علينا أن نطوى أنا والعيال فنخصّه هو بما عندنا من قُرصَةِ الشعير . ولكنه كان مبعوثاً منك ليتجسس علىّ فقد جمعت يا أمير المؤمنين بين إيذائى وإيذاء عيالى وبين اتهامى فى دينى وأمانتى .

عمر : هبْ لى ذلك يا عمير فوالله لقد كنت أحبك وأخشى عليك وعلى نفسى منك ، فالحمد لله إذ أظهر الله لى أنك صادق أمين وإن باطنك مثل ظاهرك فخبّرنى ما صنعت بالدنانير التى أرسلتها إليك ؟

عمير : ما سؤالك عنها ؟ صنعت بها ما صنعت .

عمر : أنشدك الله إلا ما أخبرتنى .

عمير : قدَّمْتُها لنفسى يا عمر .

عمر : فيمن يا عمير ؟

عمير : فى أبناء الشهداء والفقراء .

عمر : بوركت يا عمير بن سعد . والله لا أتركك حتى تعود إلى عملك بحمص وتأخذ معك أهلك .

عمير : يا أمير المؤمنين أعفنى !

عمر : كلا والله لا أعفيك أبداً . الويل لنا إذا استعفى الخيارُ وولى لنا الأشرار .

عمير : أعزيمة يا أمير المؤمنين أم خيار ؟

عمر : بل عزيمة !

عمير : قد أمرنا الله بطاعة أولى الأمر ولولا ذلك ما أطعتك .

عمر : يا يرفأ مُرْ لعمير بن سعد بوَسْقٍ من طعام .

عمير : أما الطعام فلا حاجة لى إليه قد تركت فى المنزل صاعين من شعير، ولكن أم سعد لا ثياب لها فلو أمرت لها بثوب .

عمر : بل ثوبين . مُرْ له يا يرفأ بثوبين لامرأته .

(يخرج عمير مع يرفأ)

خالد : ألم أقل لك يا أمير المؤمنين إن أهل حمص يُثْنُون عليه ؟

عمر : والله إنهم لعلى حق .

خالد : إنه من الطراز الذى يُعْجِبُك .

عمر : أجل لوددت والله لو أن لى ملء مسجد رسول الله رجالا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين !

(ستار)

المشهد السادس

بيت أم خالد بن الوليد بالمدينة .

يرى خالد مريضا على فراشه وعنده والدته لُبَابَة بنت الحارث وأخته فاطمة بنت الوليد وأم حكيم زوجة عمر وفاطمة بنت الخطاب .

أم حكيم : كيف تجدُكَ اليوم يا خالى ؟

خالد : الحمد لله يا أم حكيم .

فاطمة : لا بأس عليك يا أبا سليمان .

خالد : لا بأس إن شاء الله . إنما عَجَبى والله من هذه العلة كيف تأتينى بعدما بَشَّرَنى أمير المؤمنين بأن سيرسلنى إلى فارس لأفض جموعهم فى نهاوند !

أم حكيم : لقد قلت لى يومئذ يا خالى إنك استرددت شبابك .

خالد : أجل والله لقد شعرت يومئذ كأنما ارتددت إلى الماضى عشرين سنة . ولكن الأمر كله لله لا يملك أحدنا حولا ولا قوة .

أم خالد : هذا وَجَعٌ معروف عندنا فى البادية يعترى المرء عندما يفاجئه حزن شديد أو مَسَرَّةٌ طاغية .

خالد : (**مداعبا**) أتريدين يا أمَّه أن تلقى التبعة على أمير المؤمنين ؟

أم خالد : لا يا بنى ولكنى أرسلت فى طالب الطبب من البادية وغدا يجيء ويعالجك فيشفيك إن شاء الله .

خالد : الله هو الشافى يا أمَّه لا طبيب البادية ولا طبيب الحضر .

أم خالد : يا بنى كل داء له دواء .

خالد : بل كل شيء بإرادة الله وقدرته . لقد رأيتنى فى الحيرة وقد خرج عبد المسيح بن بقيلة يفاوضنى فرأيت فى يده شيئا قلت ما هذا؟ قال هذا سُمُّ ساعة فإن أنت أعطيتنى ما أريد وإلا شربته فلا أرجع إلى قومى بما لا يحبّون . فأخذت السُمَّ من يده وقلت باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، وابتلعْتُه فرجع ابن بقيلة إلى قومه وهو يقول : جئتكم من عند قوم لا يعمل فيهم السم !

أم حكيم : ولم تَشْعُر يا بنى من ذلك السم؟

خالد : اللهم لا إلا أن جبينى ارفض عرقا غزيرا واحمرَّ وجهى فكأنما خرجت من ديماس .

أم خالد : هذا أمير المؤمنين يا بنى جاء يعودك .

(يدخل عمر)

عمر : السلام عليكم .

خالد : وعليك السلام يا أمير المؤمنين **(يحاول أن ينهض من فراشه)**

عمر : مكانك يا أبا سليمان . لا تجهد نفسك . لا بأس عليك إن شاء الله .

خالد : مرحبا بك يا أمير المؤمنين . ومرحبا بالعِلّة إن كانت هى التى جاءت بك !

عمر : بل شفاك الله وعافاك يا أبا سليمان ولولا شئون المسلمين لوجدتنى أزوركم كل يوم .

خالد : (**مداعبا**) أجل الفضل لأم حكيم .

عمر : لقد كنا نزوركم يا خالد قبل أم حكيم .

خالد : صدقت يا عمر . أنت لم تتغير ولكننا نحن الذين تغيرنا .

عمر : ماذا تعنى يا خالد ؟

خالد : إن زواجك من أم حكيم قد أبعدنى من حيث قربك .

أخت خالد : إنه يعنينى أنا يا أمير المؤمنين .

خالد : أجل كانت فاطمة بنت الوليد معى عليك فأصبحت اليوم معك علىّ !

أم حكيم : ما هذا الذى تقول يا خال ؟ وهل بقى بينك وبين أمير المؤمنين من شىء ؟

خالد : كلا مابقى بينى وبين أمير المؤمنين إلا الخير، ولكن أمك صارت تؤثره علىّ من أجلك .

أخت خالد : أتدرى يا أمير المؤمنين لماذا يقول علىّ ذلك ؟ لأنه يُلِحّ علىّ أن أقيم معه بالشام وأنا قد كرهت الشام منذ ذَهَب الطاعون بالحارث زوجى وسبعين من أهل بيته لم يبق منهم غير أربعة . وكان ينبغى أن يكرهها هو أيضا إذ فقد فى ذلك الطاعون أربعين من ولده .

خالد : أيعودون إلى الحياة يا فاطمة إن كرهت الشام وأقمت بالمدينة ؟

أخت خالد : وهل يعودون إلى الحياة إن أقمت بالشام ؟

خالد : يا أخيّة إنى قد ألفت هواء حمص !

أم خالد : أنا أعرف لماذا لا يريد أن يقيم فى المدينة . لأن أم تميم لا تُطِيقُنى .

خالد : لا شأن لأم تميم بذلك يا أماه .

أم خالد : بلى هى السبب فى ذلك.هى السبب فى كل ما أصابك وأصابنا معك . لقد كانت شُؤماً عليك منذ بنيت بها على غير رضا المسلمين .

عمر : على رسلك يا أم خالد . ذلك أمر قد مضى وانقضى ودار به الزمان .

أم خالد : لكن عقابِيلَه يا أمير المؤمنين باقية لم تَزَلْ .

خالد : سامَحَكِ الله يا أماه أما إنها لتُثْنى عليك خيراً من هذا .

أم خالد : كلا لا أريد ثناءها.ماذا أصنع بثنائها ؟

خالد : إن كنت تزهدين فى ثنائها فأنت فى قربها أزهد .

أم خالد : لكنى لا أزهد فى قربك.ولولاها لما آثرت حِمص على المدينة وليس لك بحمص من شغل ولا عمل .

أخت خالد : والله يا خالة لقد تجنَّيْتِ عليها وعليه . إنى أعرف لماذا يؤثر أخى الشام ، ليس من أجل أم تميم أو غير أم تميم بل من أجل الصيد .

ام خالد : وما يمنعه من الصيد هنا ؟

أخت خالد	: أين الصيد هنا من غابات الشام وأحرَاجه وأدْغَالِه؟
خالد	: صدقت يا فاطمة إنى لا أستطيع أن أعيش على الرَّاحة والجُمَام.
عمر	: غداً تعود إلى ميادين القتال فى سبيل الله يا أبا سليمان.
خالد	: واَشوْقَاه يا أمير المؤمنين إلى ميادين القتال! إنى مسافر غداً إلى حمص لأقضى فيها جمعتين أو ثلاث جُمَع ثم أعود إليكم صحيحاً سليماً إن شاء الله.
أم خالد	: كلا. لا تأذن له فى المسير يا أمير المؤمنين حتى يبْرَأ أولا من عِلَّتِه.
خالد	: إنما سفرى هذا يا أماه من أجل أن أبْرَأ من علتى.
أم خالد	: فانتظر حتى يجىء الطبيب الذى أرسلت فى طلبه من البادية.
خالد	: وماذا عسى أن يصنع لى الطبيب؟ إن هواء الشام لأنفع لى من كل طبيب. هل لكُنّ أن تخلينَّنى مع أمير المؤمنين؟
النسوة	: حباً وكرامة (**يخرجن**)
خالد	: ادن منى قليلا يا أمير المؤمنين (**يدنو منه عمر**) لقد كتَمْتُهُنَّ ما بى لئلا يَجْزَعْن علىّ. إنى يا أمير المؤمنين مريض بمرض وما إخالنى أعيش حتى أقود جنود المسلمين إلى نهاوند.
عمر	: مهلا يا أبا سليمان لا ينبغى أن تتوهم ما ليس بحق.
خالد	: أنا أعرف نفسى يا عمر. ما مرَّ بى قط فى حياتى مثل هذا الوجع وإنه قاتلى لا محالة.

عمر : بل ستقوم من علتك هذه يا خالد .

خالد : هيهات ! إذا أنا مِتُّ يا عمر فكن أنت وصِيِّتى فليس لى غيرك ، واجعل دارى فى المدينة صدَقَةً (**يترقرق الدمع فى عينى عمر**) كلا لا تبكِ يا أبا حفْص.لا تدع النسوة يعرفن ما بى فلا أخلُصُ منهن .

عمر : أفليست المدينة خيرا لك يا أبا سليمان ؟

خالد : المدينة خير من كل بلاد الأرض ما خلَا مكّة يا أمير المؤمنين ، ولكنى أريد أن يكون قبرى فى أرض اشتركت فى فتحها مع المسلمين عسى أن تشْهَدَ لى يوم الدّين فيغفر لى ربى ويرحمنى فهو أرحم الراحمين .

(ستــار)

المشهد الاول

فى منزل جفينة وهو يشتمل على جناحين اتخذ أحدهما مبيتاً لأهله والآخر كُتّاباً يعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة ويعقد فيه الاجتماعات السرية .

* * *

(يرفع الستار فنرى جُفَينة واقفاً عند الباب يخاطب رجلًا نرى شخصهَ ولا نرى وجْهَه) .

جفينة : إلى أين؟ انتظر قليلا .

الرجل : أليس هذا مَوْعد قدومهما ؟ لا بد أن أنصرف .

جفينة : أوَمَا آن لك أن تثق بهما الآن !

الرجل : الاحتياط يا أخى أفضل .

جفينة : لقد أصبحنا وإياهم شيئا واحداً فى الخيرِ والشر .

الرجل : الاحتياط واجب بعدُ .

جفينة : هل تخاف أنت منى ؟

الرجل : منك لا .

جفينة : فقد أصبح كل واحد منهما مثلى .

الرجل : عندك يا أخى لا عندى . إنى أخاف من الهُرْمزان بعدُ لإسلامه ، وأخاف من فَيروز لرُعُونته .

جفينة : ثِقْ أن إسلام الهرمزان لا يعدو أن يكون مثل إسلامى وإسلامك .

الرجل : ورعونة فيروز ؟

جفينة : هو أرْعَنُ ولكن شديد الحيْطة .

الرجل : لا بأس ائذن لى .

جفينة : كنت أحبّ أن تَبْقَى لتسمع من الهرمزان ما دار فى مجلس الشّورى اليوم .

الرجل : اسمعْه أنت منه واحكِه لى بعدما ينصرفان من عندك . صه .. ذاك الهرمزان قد أقبل .

جفينة : لا تُرَع .. اخرج أنت من باب الجَناح الآخر .

(يخرج الرجل من الباب الثانى)

(يدخل الهرمزان كالمتسَلّل)

جفينة : أهلًا . أهلًا .

الهرمزان : عندك أحد ؟

جفينة : ليس فى البيت أحدٌ .

الهرمزان : وأهلك وعيالك ؟

جفينة : كالعادة .

الهرمزان : فى بيت سعد ؟

جفينة : فى بيت بَطَل القادسية يا هرمزان وفاتح المدائن !

الهرمزان : وأين فيروز ؟

جفينة : لم يحضر بعدُ .

الهرمزان : كلما ذكرت فيروز اقْشَعَرّ بدنى خشية أن يفطن سيده المغيرة لأمره معنا فالمغيرة رجل دَاهِيَةٌ.

جفينة : لا تخف ففيروز على جَسَارته شديد الحرص والحيْطة. والمغيرة يعزه ولا يسأله أين راح ولا ماذا فعل ولا سيّما بعدما زوّجه جاريته أمَّ لؤلؤة وأسكنَهما فى بيت آخر.

(يقرعُ الباب قرْعتَين متواليتين)

جفينة : ها هو ذا قد جاء.

(يدخل فيروز)

فيروز : جئت يا هرمزان؟ صليْتَ العِشاء مع عمر؟ حضرت مجلِسَه اليوم؟

الهرمزان : نعم.

فيروز : حدِّثنا بماذا دار؟

الهرمزان : هكذا يا فيروز دون تحية ولا سؤال؟

فيروز : فيما بعد. فيما بعد.

الهرمزان : استقر الرأى على جعْل النُّعْمان بن مُقرّن المُزَنى أميرا للجيش.

فيروز : وخالد بن الوليد؟

الهرمزان : كان آخر رسول جاء من عنده يقول إنه مريض دَنِفٌ.

جفينة : أحسن بُشرى سمِعْتُها فى حياتى!

الهرمزان : النعمان هذا من رجال خالد القُدامَى الذين خاضوا معه معارك الحيرة والسواد، ثم شهد معارك القادسية والمدائن. ثم قاتلنى فى الأهواز قتالًا مريراً وعمر يحبه لأنه شُجَاعٌ صالح.

جفينة : مَهْما يكنْ من أمره فإن خالداً شيء آخر . الحمد لله إذْ لم يكن خالد .

الهرمزان : لكنّ عمرَ عَدَل اليوم عن التوجُّه بنفسه إلى العراق .

فيروز وجفينة : عدل ؟

الهرمزان : نعم رَاجعه عليٌّ بن أبي طالب فاقتنع برأيه .

جفينة : واحسرتاه !

فيروز : كأنما أحس بما ندبّر له !

الهرمزان : أجل قال له عليّ : إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب فكان ذلك أشدَّ لِكَلَبِهم فتألّبوا عليك .

فيروز : ما الحيلة ؟ ماذا نصنع الآن ؟

الهرمزان : لا مناص من تغيير الخطة !

فيروز : هل آتيها هُنا بالمدينة ؟

الهرمزان : كلا . هنا ليس مثل هناك . هناك يقع اضطراب عظيم فى صفوف الجيش الذى يقاتل فى الميدان يساعد إخواننا على النصر . ويمضى وقت طويل قبل أن يَتِمّ اختيار مَنْ يخلفه ، وفى خلال ذلك قد تقع فِتْنة بينهم فيضرب بعضهم رقاب بعض . أما هنا فسيتم اختيار من يخلفه فى الحال فكأن شيئا لم يقع .

فيروز : كلا لا نريد ذلك . نريد أن يزلزل المسلمون زلزالا شديداً .

جفينة : فليقع الحادث إبَّانَ المعركة سَوَاء سار عمر إلى العراق أو أقام بالحجاز .

الهرمزان : هذا حسن.

فيروز : ولكن كيف يعلم مَنْ بالحجاز متى تقعُ المعركة فى نَهَاوَنْد ؟

جفينة : لقد سنَحَ لى رأى فى ذلك.

فيروز : ماذا سنح لك ؟

جفينة : لقد جعلنا موسم الحجّ موعداً بيننا وبين أصحابنا فى نهاوند فهو موعد لا يختلف، وفى وسعِنا أن نحسبه ونعيّنه من اليوم وعليهم أن يترقّبُوا هذا الموعد فلا يشتبكوا مع العرب قبله فى معركة فاصلة.

الهرمزان : بوركت يا جفينة. هذا والله هو الرأى. إنه كل عام يحج! واغتياله فى الحج أسهل منه فى غيره.

فيروز : لكن كيف أذهب أنا للحج ؟

الهرمزان : أنا أقوم بالمهمة يا فيروز ليس لها غيرى. لقد دعانى هو إلى ذلك!

فيروز : دعاك ؟

الهرمزان : دعانى أن أحجَّ هذا العام معه.

جفينة : إذن فقد وَجبَت عليك يا هرمزان.

فيروز : كنت أودُّ أن أقوم أنا بالمهمة.

جفينة : ذاك لو بَقِى على عزمه فى المسير إلى العراق أما الآن فليس لها غير الهرمزان.

الهرمزان : تُرَى كم بقى على الحج اليوم ؟

جفينة : نحن فى أول شعبان. يبقى على الحج أربعة أشهر كاملة.

الهرمزان : موعد كاف لنكتب به إلى إخواننا فى نهاوند .

جفينة : وأنا سأكتب به إلى ملك الروم عسى أن يستعد لِشَنٍّ حملة بحرية على أنطاكية أو إسكندرية .

فيروز : آه إن تم هذا ليتِمَّنَّ أمرٌ عظيم .

(ستـار)

فَتَحَ الفُتُوحُ

المشهد الثاني

فى طريق الحج بين مكة والمدينة الوقت ليل ينيره ضوء القمر الخافت.

يُرى الهرمزان جالسا على بساط له فرشه على الأرض وهو يقلب شيئا فى يده.

الهرمزان : (**يتمتم**) نهاوند ! مصير نهاوند معلق بهذه الحديدة ! يا إلهى ما أسهل القول وأصعب العمل. هذا الرجل أحسن إليك ما لم يُحسن إليك أحد قط .. لكنه أساء إلى أمتك ما لم يسىء إليها أحد قط (**يشعر بحس قادم**) أستغفر الله. أستغفر الله. أستغفر الله. (**يظهر عمر**)

عمر : أكل ذكرك استغفار يا هرمزان؟ اجعل فيه التسبيح والتحميد والتهليل.

الهرمزان : كيف يا أمير المؤمنين؟

عمر : قل سبحان الله. والحمد لله. ولا إلـه إلا الله. والله أكبر. ما هذا الذى وقَعَ من يدك؟

الهرمزان : (**فى شىء من الارتباك**) هذه سكين يا أمير المؤمنين.

عمر : سكين؟ ماذا تصنع بها فى الحج؟

الهرمزان : آكل بها اللحم يا أمير المؤمنين. إنّا معشر الأعاجم لا نأكله نهشاً مثلكم.

عمر : (**يقلبها فى يده**) إن شكلها لغريب . نصابها فى وسطها ولها حدان .

الهرمزان : أجل يا أمير المؤمنين إنّنا نستعملها أيضا فى الصيد .

عمر : فى الصيد ؟ كيف ؟

الهرمزان : نرميها على الفريسة فتنشب فى حلقه !

عمر : ويحك يا هرمزان إياك والصيد فإنك مُحرم (**يعيدها إليه**)

الهرمزان : اجلس يا أمير المؤمنين (**يصلح له البساط**)

عمر : (**يجلس على طرف البساط كالمُسْتَوفِز**) أتدرى يا هرمزان ماذا كان يدور فى بالى حين جئتُك ؟

الهرمزان : خير يا أمير المؤمنين .

عمر : قالت لى نفسى لعل الهرمزان يذكر الآن نهاوند ويُشْفِق على قومه من سيوف المسلمين ويتمنى لو يكون النصر لهم على المسلمين .

الهرمزان : ما الذى أخطر هذا ببالك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لا أدرى ولكن ألقى فى روعى ذلك فلما سمعتك تستغفر الله اطمأنت نفسى فالحمد لله على ما هَدَى وأنعم . والله يا هرمزان إنى لأحبك وإنى لأرجو أن يغفر الله لى بإسلامك ما لم أرجوه بأى عمل آخر .

الهرمزان : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : وأرجو أن يأتيك وشيكاً أهلك وعيالك فيعيشوا معك فى المدينة فيطمئن بهم بالك ويستقر حالك .

الهرمزان : ما إخالهم آتين يا أمير المؤمنين وإلا لأرسلوا لى جوابا من طريق عاملك على تُستر فقد مضى على كتابى إليهم وقت طويل .

عمر : إن لم يرد الله بأهلك خيراً التمسنا لك أهلا خيراً منها من نساء المدينة تلم شعثك ، وتسر عينك وقلبك وتأتيك إن شاء الله بذرية طيبة .

الهرمزان : جُزيت خيراً يا أمير المؤمنين .

عمر : ويحك إن بِساطَك هذا ليريد أن يَقْعُدَ بى عن التهجد (**ينهض بقوة**) .

الهرمزان : هذا البساط الذى اشتريته من عبدك الذى أعتقته . ألا تذكره يا أمير المؤمنين ؟

عمر : بلى .. من أبى أمية . لا تَقْتَصر على الاستغفار يا هرمزان .. بل سبِّحْ وحمد وهلل وكَبِّرْ .

الهرمزان : سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر .

عمر : أحسنت . أحسن الله إليك (**يخرج**) .

الهرمزان : (**يسمع تكبيرة عمر للصلاة**) إنه يصلى ولا أجد عنده .

صوت : (**من خلفه**) ونهاوند تنتظرك !

الهرمزان : (**يلتفت**) مَنْ ؟ جفينة . ماذا جاء بك ؟ أتريد أن تُثِير ارتيابه بنا ؟

جفينة : (**يظهر**) إنه قد ارتاب بأمرك . ألم تسمع ماذا قال ؟

الهرمزان : ويلك أكنت تَتَسمَّعُ حديثنا ؟

جفينة : وسمعته كله .

الهرمزان : ما كان ينبغى لك أن تفعل .

جفينة : إنى أريد أن أشدَّ أزرك وأثبّتَ قلبك فإنى أعلم إن الإقدام على ما أنت مقدم عليه ليس بهيّن .

الهرمزان : إذن فانصرف عنى الآن . ودعنى وحدى

جفينة : أتخشى أن يَرانى عندك ؟

الهرمزان : نعم .

جفينة : كلا لا تخف فإنه يعلم أننا نحن العلوجَ يألَفُ بعضنا بعضا .

الهرمزان : العلوج ؟

جفينة : هكذا يدعوننا .

الهرمزان : قبل إسلامنا لا بعده .

جفينة : وهل أسلمنا نحن حقاً يا هرمزان ؟

الهرمزان : أتراه ارتاب بى حقا ؟

جفينة : أتشك فى ذلك بعد وقد رأى الخِنْجَرَ فى يدك ؟

الهرمزان : لكنه قلَّب الخنجر فى يده ثم أعاده إلىّ ولم يقُل عنه شيئا إلا أنه نهانى عن الصيد وأنا مُحرم .

جفينة : ألم يذكر نهاوند وتمنّيك أن ينتصر قومك على المسلمين ؟

الهرمزان : بلى قال إن ذلك هَجَس بباله ولكنه لما سمعنى أذكر الله فَرِحَ واطمأن .

جفينة : أوَقد صدّقت ما زعم لك ؟ لقد خدعك .

الهرمزان : كلا يا جفينة ما خدعنى . إنى أعرف وجوه المخادعين .

جفينة : ليس هو كالمخادعين الذين تَعنيهم . ولكنه استدرَجَك واستدل على خبيئة نفسك .

الهرمزان : ويتركني بعد ذلك ؟

جفينة : يتركك لأنه يطمع بعد أن يحسن إسلامك .

الهرمزان : ويولّيني ظهره ويصلّي وهو يعلم أني أريد أن أقتله ؟

جفينة : إنه يعتقد أن الله يحميه منك فأره الآن أن الله لا يحميه !

الهرمزان : تحبُّ يا جفينة أن تقوم أنت بها ؟

جفينة : ليس على ذلك اتفقنا .

الهرمزان : ولم نتّفق كذلك على أن تَتّصِلَ بي أو تكلمني أثناء الحج .

جفينة : ما كنت لأفعل لولا ما رأيت من تسويفك وتردُّدِك . وقد أتيحت لك فرص كثيرة فأضعتها .

الهرمزان : ما زلت أنتظر فرصة أحسن وأوفق .

جفينة : لن تجد خيراً من هذه الساعة . فالليل يُخفيك والقمر الخافت يهديك ولا يَدُلُّ عليك وهذا أقرب مكان إلى الساحل حيث تجد السفينة التي ستنقلك إلى ساحل مكران لتعود إلى بلدك .

الهرمزان : قد لَقِسَت نفسي الليلة فلا أستطيع أن أصنع شيئا ولكني سأبادره مساء غد قبل أن يكلمني فيفثأ حقدي .

جفينة : لقد صدق صاحبنا اليهودي فيما قال عنك .

الهرمزان : ماذا قال عني ؟

جفينة : قال إنه يخشى عليك ألا تقْدِرَ على تنفيذ المهمة وإنه لذلك يفضِّلُ فيروز عليك .

الهرمزان : (ثائراً) مالي وليهودِيِّك هذا الأفاق ؟ لا شأن لي به ولا شأن لي بك أنت أيضا . أنت جاسوس رومي وهو يهودي أفّاق .

ولكنى أعمل لبلدى وقومى . بلدى فارس وقومى الفرس فاتركونى وحدى ولا تدخلوا فيما لا يعنيكم من أمرى .

جفينة : (**يحاول تهدئته**) ما هذا يا هرمزان ؟ أوَقد نسيت الميثاق الذى بيننا ؟

الهرمزان : وأنت ويهودِيُّك أنسيتما أننى من ملوك الباب ؟

جفينة : كلا ما نسينا ذلك . ولا نسينا كذلك أن فيروز هو ابن بوران بنت كسرى وأبوه فارس فرسان إيران وبطل أبطالها رستم !!

الهرمزان : فماذا تريد منى الآن ؟

جفينة : ألَّا تنسى الميثاق الذى بيننا مَهما يضق صدرك وإلا ضاع جهدنا وبطل عملنا كله .

الهرمزان : (**كالمتعب**) أنت الذى أحرجت صدرى .

جفينة : إنما أردت والله أن أشرح صدرك . أو لم تسمع بما جاء فى بريد نهاوند اليوم ؟

الهرمزان : لا .

جفينة : عجبا .. لِمَ كَتَم عنك صاحبك ذلك ؟

الهرمزان : لعله لم يرد أن يكتمنى ولكنى أنا تباعدت عنه طوال هذا اليوم فماذا جاء فى البريد !

جفينة : جاء فيه أن الفرس قد اعتصموا بحصونهم المنيعة فى نهاوند وأنهم لا يريدون أن يخرجوا للقاء العرب فى السّهْل وقد مرّ على ذلك قرابة شهر .

الهرمزان : ممّن سمعتَ هذا !

جفينة : ممّن إلّا من صاحبى بطل القادسية وفاتح المدائن. أفلا ترى أن الذى حَبَسهم فى حصونهم هو ترقُّبُ ذلك النبأ العظيم ليضربوا ضربتهم القاضية؟

الهرمزان : أتدرى فى كم جاء البريد من هناك؟

جفينة : نعم قيل لى فى عشرين يوماً. ولكن ثق أن النبأ الجليل ستحمله الريح إليهم فى أسرع من ذلك؟

الهرمزان : (**يخرج خنجره فى يده**) مازال قائما فى صلاته!

جفينة : أحسن وقت! كأنما يدعوك إلى ذلك!

الهرمزان : ابتعد عنى. لا يريد أن يرقبنى أحد فإنّ ذلك يَشُلّ فؤادى ويدى.

جفينة : لن أراك ولن ترانى بعد اليوم. امض موفّقا إلى قصدك (**يخرج جفينة**).

الهرمزان : (**يدلف متسللا نحو الجهة التى غاب فيها عمر وهو يتمتم**) نهاوند.. نهاوند.

(**ستار**)

المشهد الثالث

بهو كبير فى حصن من حصون نهاوند.
يرى الفيرزان ومعه سياوخش أمير الرّى.

الفيرزان : ما هذا يا سياوخش؟ لا حديث لك إلا عن شاهنشاه .

سياوخش : ماذا أصنع؟ تركتم العبء علىّ وحدى ووقفتم تنظرون. لقد أوشك هذا الشاهنشاه أن يأتى على كل ما أملك .

الفيرزان : ثق أن الأمة ستعوضك عن كل ما دفعت .

سياوخش : الأمة؟ من ذا تقصد بالأمة ؟

الفيرزان : أقصد الملوك والأمراء والأساورة والمرازبة فى كل صقع من أصقاع فارس .

سياوخش : متى؟

الفيرزان : قريباً حين تنتهى من أمر هؤلاء العرب .

سياوخش : قريبا؟ أترى ذلك أنت قريبا يا فيرزان؟ لقد بدأنا نحاربهم ونناضلهم منذ عشر من السنين فكانوا يغلبوننا دائما ولم ننتصر عليهم إلا فى معركة واحدة هى معركة الجِسْر فكيف تزعم أننا سننتهى من أمرهم قريبا؟

الفيرزان : الأمر اليوم مختلف يا أمير الرىّ. هذه أمة فارس كلها قد جعلت قيادتها فى يد رجل واحد، وزوّدتنى بمائة وخمسين ألف رجل من صَفْوة الفرسان وخِيرَة المقاتلين فى فارس،

واشترك كل أمير وكل أسوار وكل مرزبان بنصيب فى تموين الجيش وتزويده بالذخيرة والعتاد .

سياوخش : لكن أحداً منهم لا يريد أن يشترك معى فى نفقات شاهنشاه وحاشيته .

الفيرزان : فيما بعد يا أمير الرى . فيما بعد . ثم هذه أرض جبلية وَعْرة لا خبرة للعرب بها من قبل ولا لخيولهم فسترهقهم عُسراً وتصيب خيولهم بالوجَى .

سياوخش : لكنا رأيناهم قد صعدوا إلينا من كل جانب كأنهم ولدُوا فى هذه الأرض .

الفيرزان : ذلك أنهم كانوا يسيرون على مَهَل لا يُطاردون أحداً ولا يطاردهم أحد . أما إذا حُمَّ اللقاء واشتد البأس وجالت الخيل بين كرٍّ وفرّ ، فستراهم يتردّون ويتطوّحون بين هذه المَخَارم والنّفانف ، ثم هناك الحادث الجلل الذى نترقبه فى كل لحظة .

سياوخش : أما هذا فنعم . إنه أملنا الوحيد فى الانتصار عليهم لو تحقق وصدق ، ولكنا انتظرناه طويلا ولم يظهر له أثر .

الفيرزان : إن موعده لم يمض بعد .

سياوخش : أليس هذا الشهر شهر حجّهم ونحن فى آخره ؟

الفيرزان : لا تنس المسافة بيننا وبين بلاد العرب .

سياوخش : (**فى نشوة غامرة**) إذن .. إذن .

الفيرزان : إذن ماذا ؟

سياوخش : إن صدَقَ الهرمزان فيما كتب لنا فإن عمر قد مات ودفُن منذ عشرة أيام !

الفيرزان : بل منذ عشرين يوماً !

سياوخش : آه لو صحّ هذا الحُلم !

(يدخل أحد الجنود مسرعا يلهث من الجرى)

الجندى : العرب يا مولاى !

الفيرزان : ما بالهم ؟

الجندى : أخَذوا يتقهقرون من مواقعهم وينسحبون .

الفيرزان : بجيوشهم كلها ؟

الجندى : نعم بجيوشهم كلها .

سياوخش : وقعت الواقعة ! **(يثب إلى الفيرزان فيعتنقه فرحاً)**

الفيرزان : الآن نخرج لهم فنُفنيهم .

(يتوافد الأمراء والمرازبة على الفيرزان يهنئونه ويعتنقونه)

(يدخل يزدجرد فيركع له الجميع)

يزدجرد : ابْشِروا يا أمة فارس . قد هلك عمر فلا عمر بعد اليوم . حيُّوا الهرمزان ومجّدوه .

اصوات : بورك الهرمزان ! بورك الهرمزان !

الفيرزان : (**يصيحَ بهم**) حسْبكم ! حسبكم ! ليعُد كل أمير إلى صفّه وكل قائد إلى فرقته فإننا خارجون إلى الميدان الان !

(يتفرقون ويخرجون)

الفيرزان : وأنت يا شاهنشاه آن لك أن تعود إلى مكانك بالرى حتى تكون بمأمن من أخطار الحرب .

يزدجرد : لم لا أكون على رأس الجيش معك ؟ إنى أريد أن أشترك فى مجد هذا اليوم وفخرِهِ .

الفيرزان : كلا يا شاهنشاه إننا نخشى عليك منهم .

يزدجرد : اليوم وقد جَزعت نفُوسهم وتضعضع أمرهم ؟

الفيرزان : اليوم أكثر من أى يوم آخر . ليحرصُن على قتالك كما قتلنا ملكَهم .

سياوخش : أجل يا شاهنشاه يجب أن ترجعَ إلى الرى .

الفيرزان : فى الحال يا مولاى شاهنشاه إذا تكرمّت .

يزدجرد : (**ينظر إليه فى ارتياب وتردد**) أمرك أيها القائد الأكبر .

الفيرزان : (**يركع**) فى خدمتك يا مولاى .

(**يخرج يزدجرد**)

(**يُسمع فى خلال ذلك حركة الجنود وضوضاؤهم وصهيل الخيل ونحو ذلك**) .

سياوخش : (**يقترب من الفيرزان**) لِمَ لمْ تأذن له بالبقاء ؟ لعل سَهْماً يصيبه فيرِيحنا منه .

الفيرزان : كلا يا أمير الرى لا أدعه يستأثر بمجد المعركة وفخرها من دونى .

سياوخش : من دونك أنت وحدك ؟

الفيرزان : (**مستدركا**) دُوننا نحن الاثنين .

سياوخش : إياك أن تُخل بالاتفاق .

الفيرزان : مستحيل !

سياوخش : أنا لى كِرمان وأنت لك أذربيَجان .

الفيرزان : نعم نعم ولكن..

سياوخش : ولكن ماذا؟

الفيرزان : إنى أتساءل عن مصير الهرمزان.

سياوخش : لا ريب أنهم قتلوه.

الفيرزان : ما يدريك؟

سياوخش : أتظن أنه يمكن أن ينجو منهم؟

الفيرزان : لا أدرى ولكن إن نجا فسيلقانا منه بلاء وعناء.

سياوخش : أجل سينازعُنا هذا الأمر وسينضم الناس جميعا إليه.

(ستــار)

المشهد الرابع

معسكر المسلمين فى منبسط من الأرض .
أمير الجيش النعمان بن مقرِّن المزنى أمام خبائه وعنده القعقاع بن عمرو .

القعقاع : أليس هذا فرس أبى سليمان ؟ الذى أرسله من حِمص ؟
النعمان : بلى .. آلى علىّ لأركبنه يوم المعركة .
القعقاع : (**يقبّل الفرس**) والله إنى لأجد فيه رِيح صاحبه !
النعمان : خبرنى يا قعقاع ألا تراه يشبه الأشقر فرسه القديم الذى كان يركبه إذ كنا معه فى معارك الحيرة وعَين تمر ؟
القعقاع : هذا حفيد ذلك الأشقر القديم .
النعمان : ألّا يكون ابنه ؟
القعقاع : لا يا نعمان إنى رأيت ابن الأشقر تحت أبى سليمان آخر مرة ركبت فيها معه،يوم قَدِمت الشام نجدة لأبى عبيدة إذ حصَرَتْه الروم بحمص ، كانت غُرته أكبر من هذه فهذا ابن ذاك وحفيد الأشقر القديم الذى تعرفه .
النعمان : آه لو كان معنا خالد الآن !
القعقاع : إذن لجعل هذه الجبال والمخارم والأودية العميقة كلها تحارب معنا العذو !

النعمان : ويح أبى سليمان ! لمَّا أذنِ له أمير المؤمنين بالجهاد أقْعَدَتْه العلّة عن ذلك .

القعقاع : مشيئة الله يا نعمان . والله لقد صَحِبْتُ خالدا ما صحبته وما رأيته يوما اشتكى من علّة قط .

النعمان : هذا المغيرة قد أقبل !

القعقاع : سيعيد عليك كلامه فى المناجزَة .

(يدخل المغيرة بن شُعبة وحُذيفة بن اليمان) .

المغيرة : ويحكم أتريدون أن تستطردوا أكثر مما فعلتم ؟ لقد انسحبتم أكثر من ثلاثة فراسخ والعدو فى إثركم .

النعمان : ذلك يا أبا عبد الله ما رأينا من أمرهم حتى لقد ألقِى فى روعنا أن لعل كَمِينا لهم يأتينا من الجهة التى استطردنا إليها فنقع بين جيشين .

المغيرة : ألست قد أرسلت عمرو بن معد يكرب وعمرو بن أبى سُلمى يرتادان ويستطلعان يوماً وليلة فرجعا ولم يريا شيئا ؟

النعمان : لكن طليحة بن خُويلد لم يرجع بعد وهو عندى طليعة الطلائع .

القعقاع : أجل لا بّد أن ننتظر طُلَيْحة .

المغيرة : إلى متى ننتظره ؟

القعقاع : إلى أن يجىء .

المغيرة : وإذا لم يجىء ؟

القعقاع : إنك لا تعرف طُليحة يا أبا عبد الله .

حذيفة : ها هو ذا طليحة قد أقبل يا قوم !

القعقاع : ويحه ! إنه فى زىّ العجم !

(يدخل طليحة فى زى جندى فارسى)

طليحة : السلام عليك يا أمير الجيش .

النعمان : وعليك السلام ورحمة الله ، ماذا وراءك يا طليحة ؟

طليحة : خير .

النعمان : أين كنت فقد عدت بعد صاحبَيك ؟

طليحة : إنى لم أسر لأستطلع جيشا خلفنا كما بعثتنى أيها الأمير ، ولكنى اخترقت الوادى ودُرْتُ من خلف الجبل حتى صعدته من الناحية الأخرى ، فوثَبْتُ على جندى فارسى فقتلته وارتديت ثيابه هذه ، ثم دخلت فى معسكرهم وقضيت الليل كلّه فيه .

النعمان : ويحك ما أردت إلى ذلك ؟

طليحة : أولستم تريدون أن تعرفوا السرَّ فى اندفاعهم خلفكم إلى مسافة أبعد مما كان ينبغى لهم ؟

النعمان : فهل عرفته ؟

طليحة : نعم ، وعرفت كذلك سِرَّ اعتصامهم بالحصون وامتناعهم من الخروج إلينا حتى اليوم .

النعمان : أفْصِحْ !

طليحة : كانوا يتوقعون أن يُغتال عمر بن الخطاب أثناء الحج فأخذوا يتربصون بنا ذلك ، فلما رأونا ننسحب استطرادا ظنوا أن نعْيه قد بلغنا فأصابنا الوَهَلُ والفَشَلُ .

النعمان : إذن فقد أراد الله بنا خيرا إذ شاعَت فيهم هذه الأكذوبة .

المغيرة : فماذا تنتظرون الآن بعد؟ لقد عرفنا جلية الأمر وليس وراءنا جيش للعدو ولا كَمِين فلنناجزهم القتال.

النعمان : رويدك أبا عبد الله، إنا لنرجو فى المُكْث مثل الذى ترجو فى الحَثّ.

المغيرة : إنهم يرموننا بالنبل، وقد أفشوا فينا الجراحات.

النعمان : لا بأس! الزموا الأرض أيها المسلمون واستتروا بالحُجُف من الرمى حتى تزول الشمس.

المغيرة : ما لنا وللشمس؟ لم أر كاليوم فَشَلًا. إن عدونا يُتركون يتأهّبون لا يعجَلون.

النعمان : إنه والله ما منعنى من أن أناجزهم إلا شىء شهدْتُه من رسول الله ﷺ. إنه كان إذا غَزا فلم يقاتل أول النهار لم يَعْجَل حتى تحضر الصلاة وتهب الأرواح.

المغيرة : ما كان رسول الله ﷺ يقاتل مائة وخمسين ألفا من المشركين.

النعمان : وما كان ﷺ يقاتل بثلاثين ألفا من المسلمين!

المغيرة : أما والله لو أن الأمر لى لقد أعجَلْتُم.

النعمان : فالله عز وجل يُشهدك أمثالها يا ابن شعبة، فلا يحزنك ولا يَعيبك موقفك. (**يعتلى شَرَفاً فيخطب**) أيها الناس إن أمير المؤمنين جعل لى عليكم الطاعة، وجعل لكم علىّ النظر فيما فيه صلاحكم وفلاحكم.. فإذا أصبت فعلى الناس حُذَيفة بن اليمان. أيها الناس إنى داع فأمِنّوا على دعائى يستجِب الله لى ولكم. اللهم أعزّ دينك وانصر عبادك.

المسلمون : آمين .

النعمان : واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزَازِ دينك ونصر عبادك !

المسلمون : آمين .

(ستـــار)

المشهد الخامس

حجرة فى دار خالد بن الوليد بحمص.

يرى خالد على سرير مرضه وقد نهكته العلة ، وعنده زوجه أم تميم.

خالد : ليتنى أستطيع أن أشهَدَ صلاة الجمعة اليوم !

أم تميم : قد عذرك الله من ذلك يا أبا سليمان.

خالد : إنى إخال يا أم تميم أن هذه آخر جمعة أشهدها.

أم تميم : معاذ الله. بل يُحْيِيك الله إلى أمثالها مئين ومئين.

خالد : تُرى ما فعلت نهاوند؟ ليت الريح تحملنى إلى نهاوند !

أم تميم : إن فاتك شهودها فلسوف تشهد من أيام الله أعظم منها وأهول ، فتُبلى بلاءك وترفع لواءك وتردد الآفاق أنبَاءك !

خالد : ليس بعد نهاوند من يوم عظيم !

أم تميم : ألم تحدّثنى يوم قدمت من المدينة أن وراء نهاوند بلاد الترك ثم بلاد الصين ؟

خالد : لكن أمير المؤمنين لا يريد غَزْوَها. آه لو كان أبو الروم هو أمير المؤمنين !

أم تميم : ما تقول؟ أرمانوس تَعْنى ؟

خالد : نعم. لو كان هو أمير المؤمنين لقال لى : انطلقْ يا أبا سليمان

فافتح الدنيا كلّها للإسلام، ولا نطلق أبو سليمان ففتح الدنيا كلها للإسلام!

أم تميم : (**تضحك**) لو سمعك أحدٌ تقول هذا لظنه هذيان شارب .

خالد : فِيمَ يا أم تميم؟ أتستكثرين على أبى الروم أن يَلِىَ خلافة المسلمين؟ والله إنّه لأهل لها .

أم تميم : إن المسلمين لم يرضَوْك أنت لها ، أفيرضَوْنه هو؟

خالد : إنه خير منى يا أم تميم . إنه حكيم ويعرف القرآن خيرا منى .

أم تميم : ويحك يا خالد! أليس قد رضيت عن أمير المؤمنين ورضى عنك؟

خالد : بلى يا أم تميم . لقد أذن لى أن أسير إلى نهاوند . واشَوْقَاه إلى نهاوند!

أم تميم : هوّن عليك يا أبا سليمان وأبشر ، فلن يحبسك أمير المؤمنين عن جهاد بعدها أبدا .

خالد : بعدها؟

أم تميم : بعد نهاوند .

خالد : وهل أعيش بعد نهاوند؟

أم تميم : يا أبا سليمان إن الموتَ والحياة بِيَدِ الله سبحانه .

خالد : صدقت يا أم تميم .

أم تميم : غداً إن شاء الله حين تخِفّ قليلًا وتجدك بارئاً نحْمِلُك إلى الجبال ، فإن هواء الجبال ينفعك .

خالد : ليت الأشقر يحملنى إلى جبال نهاوند!

أم تميم : الأشقر قد سبقك إليها يا أبا سليمان .

خالد : يا له من فَرَسٍ فاز بما لم يفز به صاحبه !

(**يدخل غلام خالد**) .

الغلام : أبو الدرداء يا مولاى يستأذن عليك .

خالد : ائذن له .

(**يدخل أبو الدرداء**)

أبو الدرداء : السلام عليك يا أبا سليمان .

خالد : وعليك السلام يا صاحب رسول الله ورحمة الله .

أبو الدرداء : كيف تجدُك اليوم ؟

خالد : أجدُنى بارئا يا أبا الدرداء (**يختلج صوته من الإعياء**) قضيتم صلاة الجمعة ؟

أبو الدرداء : نعم يا أبا سليمان .

خالد : (**بصوت منقطع**) هذه أحب ساعة كانت إلى النبى ﷺ فى القتال أن يَلْقَى فيها العدو . أم تميم ! ابغينى القَلَنْسُوة ! (**تحضر له أم تميم القلنسوة . فلا يكاد يتبينها خالد فتضعها على رأسه**) أيها المسلمون ! الصبر الصبر ! هذه أخت اليرموك ! اللّهْبَ اللّهْبَ ! شدُّوا عليهم تِلقَاءَ اللّهْب ! شدُّوا عليهم صوْبَه يتهاوَوْا فيه ! مرحى ! مرحى ! (**تند منه صيحة**) وى ! زَلِقَ بى فرسى فى الدم ! فزْتُ ورَبِّ الكعبة ! (**تلحقه غشية**)

أم تميم : لا حول ولا قوة إلا بالله . هكذا هو يا صاحب رسول الله ، صار كثيرا ما يُخَيَّل إليه أنه يشهد القتال فى نهاوند .

أبو الدرداء : إنه ليذكر اللّهب كأنه يتخيل لهبا هناك .

أم تميم : أجل إنه ليعرف جبالَ نهاوند وأوديتَها ومخارِمَها ، كأنما قد يراها رأى العين .

أبو الدرداء : لا بأس عليه يا أم تميم إن شاء الله .

أم تميم : إنه ليحز فى نفسه ألا يرزق هو الشهادة .

أبو الدرداء : الحمد لله . ها هو ذا يُفيق من غَشْيته .

خالد : نفِّذوا وَصَاةَ أمير المؤمنين . أعطوا الراية بعدى لحُذَيْفَة بن اليَمَان . هل أعطيتم الراية لحذيفة بن اليمان ؟ انظروا ! هل الراية مع حذيفة بن اليمان ؟ (**يتطلع فى وجه أبى الدرداء ووجه أم تميم فكأنه يدرك الحقيقة**) وابؤساه ! لست أنا الذى زَلِقَ به الفرس . لست أنا الذى فاز بالشهادة . ذاك النعمان بن مُقَرِّن ! طُوبى لك يا نعمان . طوبى لك يا نعمان !

أبو الدرداء : وطوبى لك يا أبا سليمان ما أبْلَيْتَ فى سبيل الله من بَلاء .

خالد : هيهات ! قد عَفَتْ على ذلك أربع سنوات طِوال .

أبو الدرداء : الحمد لله الذى لا ينسى إذا نسى الناس !

(ستـار)

المشهد السادس

فى الفِناء أمام خيمة النعمان بن مقرن فى نهاوند بعد انتهاء المعركة .

* * *

(يُرى النعمان وقيذاً يجود بنفسه وعنده نُعيم بن مقرّن ومَعْقِل بن يَسَار وهما يواسيانه)

نعيم : أبشر يا أخى فقد استجاب الله دعوتك فرزقك بالشهادة .

النعمان : (**بصوت متقطع**) كلا يا نعيم لن يطمئن قلبى أن الله قد استجاب ما أردته لنفسى ، حتى أرى الله قد حقق ما أردته للمسلمين .

معقل : ما زال المسلمون ظاهرين على عدوهم منذ زلق فرسك فى ذلك المنحدر الزَّلِج .

النعمان : لن تطمئن نفسى حتى أشهد الدَبْرة والنصر للمسلمين .

المسلمون : (**تتجاوب أصواتهم من كل مكان**) الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

معقل : ها هم أولاء يكبرون يا نعمان .

النعمان : الحمد لله ! من يعلم لى عِلْمَهم قبل أن أموت ؟

نعيم : ذاك حذيفة بن اليمان قد أقبل يا نعمان.

(يسمع وقع حوافر خيل مقبلة)

النعمان : حذيفة بن اليمان ! إذن فقد تم النصر حقاً للمسلمين !

(ينقطع وقع حوافر الخيل ثم يظهر حذيفة بن اليمان فى عصبة من رجاله)

حذيفة : السلام عليك يا أمير الجيش . أبشر بالفتح والنصر .

النعمان : الحمد لله . بل أنت أمير الجيش يا حذيفة .

حذيفة : ما بَقِيتَ يا نعمان فأنت الأمير ، وإنما نُصِرنا بفضلك وبَلَائِك وحسن تَدْبيرك .

النعمان : الحمد لله إذ سمعت البشرى قبل أن أموت . ماذا فعل عدو الله يا حذيفة ؟

حذيفة : الفيرزان ؟ فرّ ناجيا صوْب هَمَذَان .

النعمان : وتركتموه يُفلِت ؟

حذيفة : أتبعناه القعقاع فهو يَطّرد فى إثره .

النعمان : فهو إذن مأخوذ إن شاء الله ، ليس من القعقاع مَهْرَب . وماذا فعل سائر أبطال المسلمين ؟

حذيفة : أصيب منهم كثير ، ولكنى مررت بثلاثة منهم الساعة وهم يجُودُون بأنفسهم .

النعمان : من هم ؟

حذيفة : طليحة بن خويلد وعمرو بن معدى كرب وأبو محجن .

النعمان : من يحملنى إليهم ؟ فإنى أشتهى أن أراهم .

حذيفة : بل نحملهم إليك يا نعمان (**لرجاله**) انطلقوا فائْتُونا بهم .

الرجال : سمعا وطاعة أيها الأمير (**يخرجون مسرعين**)

(يدخل المغيرة بن شعبة)

النعمان : مرحبا بك يا أبا عبد الله .

المغيرة : إنى أعتذر إليك يا ابن مُقَرّن عما بدَرَ منى فى حقك .

النعمان : لا تثريب عليك يا ابن شعبة ، فإنما الخير أردت .

المغيرة : لقد جعل الله رأيك هو الصواب ، فالإِعْتَام الذى كنا نخشاه على أنفسنا انقلب لنا عليهم ، إذ هالك معظم من هالك منهم فى اللِّهْب تردوا فيه فى حَلَك الظلام .

النعمان : ذلك نصر الله يؤتيه من يشاء .

المغيرة : والله لقد ذكّرتْنى وقعة اليوم بوقعة اليرموك إذ استمر القتال إلى الليل ، ثم استمر طول الليل . وكان اللِّهْب هنا كالواقُوصة هناك ، بَيْدَ أن ليس عندنا خالد بن الوليد !

النعمان : إن لم يكن خالد معنا بجسمه فقد كان معنا بروحه ونفسِه . والله لقد خُيِّلَ إلىّ أنى سمعت صوته ساعة حَمِىَ الوَطِيس من أول الليل وهو يقول : اللِّهْب اللِّهْب ! ثم لما زلق بى الفرس كأنما رَنّ فى أذنى صوته : فزتَ ورب الكعبة ! (**تتسارع أنفاسه**) أين طليحة وصاحباه ؟ لولا حملتمونى إليهم !

حذيفة : إنى قد أرسلت فى طلبهم فوشيكا إلينا يُحملون .

النعمان : (**بصوت ضعيف منقطع**) فزت ورب الكعبة .

(**يعود الرجال حاملين الأبطال الثلاثة فى نقّالات من الخشب**)

عمرو : السلام عليك يا نعمان بن مُقرن .

النعمان : (**لا يجيب**) ...

عمرو : ويحكم ما باله لا يرد التحية؟

نعيم : قد مات يا أبا ثور .

عمرو : ألم تقولوا إنه هو الذى أرسل فى طلبنا؟

نعيم : بلى لقد اشتهى أن يراكم، ولكنه لقى الله قبل أن يلقاكم .

طليحة : فلقاء الله خير له من لقائنا .

أبو محجن : هم السابقون ونحن اللاحقون .

حذيفة : هذا المكان خير لكم من هناك .

طليحة : نعم إذا بقيت عندنا يا صاحب رسول الله حتى نَقْضِى نَحْبَنا .

أبو محجن : أجل إنا نستأنس بك يا صاحب رسول الله .

عمرو : أين يُذْهَب بكم يا قوم؟ ألا تعلمون أن المرء يموت وحده ويبعث وحده وليس بنافعه غير عمله؟

حذيفة : لقد صدق أبو ثور .

عمرو : لو شئت لزدت : وقلما صدَق !

حذيفة : وإنى مع ذلك باق معكم أسقيكم وأواسيكم، وأرجو أن تنالنى بركة الشهادة .

طليحة : أحقا يا صاحب رسول الله نموت نحن شهداء؟

حذيفة : من قاتل فى سبيل الله فأصيب فهو شهيد .

أبو محجن : وندخل الجنة يا صاحب رسول الله؟

حذيفة : إن شاء الله يا أبا محجن، فذلك جزاء الشهيد .

أبو محجن : إذن والله لا نأسى على شىء أبدا .

طليحة : أما أنا فآسى أن يختَرِمَنى الموت قبل أن يتاح لى وقت أطول

في الجهاد فى سبيل الله ، تكفيراً عن ذنبى الكبير إذ ادَّعيت النبوة .

حذيفة : كلا لا تأس يا ابن خويلد ، فإن الشهادة تجُبّ ما قبلها .

طليحة : هل لك أن تتلو لنا شيئا من القرآن يا حذيفة ؟

أبو محجن : أجل يا صاحب رسول الله ، اتل لنا الآية التى فيها وصف الجنة .

حذيفة : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتُلون ويقتَلون وعداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . ﴾

أبو محجن : حنانَيك يا ابن اليَمان . اتل لنا الآية التى فيها أنهار من لبن وأنهار من عسل .

حذيفة : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . مَثَل الجنة التى وُعِدَ المتقون فيها أنهار من ماء غيرِ آسِنٍ ، وأنهار من لَبَن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خَمْرٍ لذَّةٍ للشاربين .... ﴾

أبو محجن : (**بصوت لا يكاد يسمع**) حسبك جزاك الله خيراً . قف عند هذه الآية !

عمرو : ويلك يا أبا محجن . لا تنساها وأنت فى السِّيَاقِ . أتريد أن تشربَها بعد ؟

أبو محجن : (**لا يجيب**) ..

عمرو : إنه لا يجيبنى .. ماذا دَهَاه ؟

طليحة : ويحك يا أبا ثور . لقد سبقنا أبو محجن !

عمرو : إلى أنهار من خمر لذة للشاربين .

حذيفة : بل إلى الجنة التى وعد المتقون .

(ستــار)

المشهد السابع

بيت عمر بالمدينة

يرى عمر داخلًا ومعه ابن عوف وسعد بن أبي وقاص والهرمزان فيجلسون

عمر : (**لغلامه أسلم**) ألم يسأل عنى أحد يا أسلم؟

أسلم : بلى يا أمير المؤمنين .. سأل عنك رجلٌ لم يشأ أن يبوح لى باسمه .

عمر : سألته عن اسمه فأبى؟

أسلم : نعم .

عمر : إياك أن يكون .....

أسلم : لا يا أمير المؤمنين ليس هو السائب بن الأقرع . إنى أعرف السائب .

عمر : هذا هو ثالث يومٍ نخرج فيه للقاء السائب فلا يحضُر . ليت شِعرى ماذا أخّرَه حتى اليوم؟

ابن عوف : رويدك يا أمير المؤمنين ، فربما يَهِلّ علينا غداً فى الصباح .

عمر : ربما يهل علينا غداً فى الصباح ! إنك لتقول لى هذه الكلمة كل يوم .

ابن عوف : إنى لا أريدك تقْلق .

عمر : كيف لا أقلق يا ابن عوف ؟ وقد قلت للسائب يوم شيّعتُه إليهم : إن فتَحَ الله عليكم فاقْسِمْ ما أفَاءَ الله عليهم بينهم ، وإن نُكِبَ القوم فلا تراني ولا أرَاكَ ؟

الهرمزان : أتخشى بعد يا أمير المؤمنين أن يكون المسلمون قد نُكِبوا في نهاوند ؟

عمر : الله وحده يعلم يا هرمزان .

الهرمزان : وطَريف بن سَهْم الذى جاءك منذ أيام يُبشرك النصر ؟

عمر : دعنى منه فإنه أجمل ولم يُفَصّل . لقد أرسلوه إلينا قبل أن تنتهى المعركة . ويلك ما لى أراك تتنفس الصُّعَداءَ كأنما قد سرّك أن يُنكَبَ المسلمون ؟!

الهرمزان : يا أمير المؤمنين كيف تُحْضِرنى مجالسك ، وتُسِيء بى الظن ؟

عمر : (**يضرب بيده على صدر الهرمزان بقوة**) يا غُدَرَ الأهْوَاز هلّا قلت : كيف تُسىء بى الظن وتُحضِرُنى مجالسك ؟

الهرمزان : إنى لست أرى بينهما أىّ اختلاف .

عمر : بلى إن بينهما بونا كبيرا يا غُدَر .

الهرمزان : فليكن ما قلته يا أمير المؤمنين : كيف تسىء بى الظن وتُحضِرنى مجالسك ؟

عمر : لأنى أطمع بعد يا هرمزان أن يهديك الله إلى رشدك ، ويجنبك وساوس الشيطان .

أسلم : (**يدخل**) يا أمير المؤمنين ! الرجلُ الذى سأل عنك قد عاد .

عمر : قلْ له يسألك أمير المؤمنين ما اسمك ؟

(**يخرج أسلم ثم يعود**)

أسلم : أبى يا أمير المؤمنين أن يبوح باسمه ، ولكنه زعم أنه خائف وألا ملجأ له من الله إلا إليك .

عمر : دعه يدخل .

(يدخل شريك بن سُمّى العطيفى)

شريك : **(بصوت يخالطه البكاء)** السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . مَنْ تكون ؟

شريك : عبد من عباد الله يا أمير المؤمنين .

عمر : ما بكاؤك ؟ هَلْ ظلمَك أحدٌ أو أساءَ إليك أحد ؟

شريك : لا يا أمير المؤمنين .. ما ظلمنى أحد وإنما ظلمْتُ نفسى .

عمر : من أى الأجناد أنت ؟

شريك : من جند مصرَ .

عمر : فلعلك شِريك بن سُمى .

شريك : نعم يا أمير المؤمنين ، أنا شريك بن سُمى .

عمر : أنت الذى زعمت أنك لا تأخذ من العطاء ما يكفيك .

شريك : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : فأبَحتَ لنفسك أن تزرع فى أرض مصر ؟

شريك : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : أوَلم تعلم أنى نهيت عن ذلك ؟

شريك : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكنى ظننت أنك إنما حَرَّمْت علينا أن نأخذ من أهل مصر أرضهم فنزرعها .

عمر : غصباً ؟

شريك : نعم .

عمر : قبحك الله وقبح ما فهمت . أفكان الغضب يحتاج فى تحريمه إلى نَهْى منى أو أمر ؟ فكيف أخذت أنت الأرض ؟

شريك : استأجرْتُها من أحد أغنياء القبط .

عمر : ويلك ! أما كان رجلٌ من أهل مصرَ أحقَّ باستئجار تلك الأرض وازدِرَاعها منك ؟ ويلكم لو أُذِنْتُ لكم فى ذلك فماذا يبقى لأهل مصر ؟ ومن ذا يقوم بفريضة الجهاد فى سبيل الله والمرابَطَة فى الثُّغور ؟

شريك : اعف عنى يا أمير المؤمنين ، فإنى أخطأت .

عمر : والله لأجعلَنّك نكالا لمن خلفك ، فلا يقول قائل لشىء نهيت عنه : لكنى ظننت أنك أردْتَ كذا يا أمير المؤمنين .

شريك : يا أمير المؤمنين أوَلَا تقبل منى ما قَبِل ربُّ العباد من عباده !

عمر : إن الله وحده هو الذى يملك أن يتوب على مَنْ يشاء من عباده .

شريك : فإنى تائب إلى الله يا أمير المؤمنين .

عمر : الآن وقد أُخِذ بناصِيَتِك !

شريك : يا أمير المؤمنين ، إن أحدا لم يَسُقنى إليك فقد جئت تائبا من تلقاء نفسى .

عمر : لكنى أمرت عَمْراً أن يسوقَك إلىّ أفهَربْتْ منه ؟

شريك : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنى ناشَدْتُه أن يأذَنَ لى بالخروج من غير كتاب ولا رسول حتى أقدِمَ عليك ، وأضع يدى فى يديك .

عمر : ما أرى إلا أنك صادق وقد عفَوْتُ عنك فلا تعُدْ إلى مثلها .

شريك : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين .

عمر : ماذا فعل صاحبُ الفرَسِ الأشقر !

شريك : من تَعْنى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ذاك الفارس الذى أرسلته أنت ليُنذِرَ عمراً إذْ أحاطَ بكم الروم فى الكوم؟

شريك : مالكُ بن نَاعِمة الصدفى !. ما كنت أظن يا أمير المؤمنين أنك تذكر ذلك بعد.

عمر : بلى يا شَريكُ بن سمى ، وأذكر البلاء الذى أبلَيْتَه أنت ذلك اليوم.

(**يدخل أسلم فى فرح**)

أسلم : السائب بن الأَقْرَع يا أمير المؤمنين.

عمر : (**يثب من مكانه نحو الباب**) ادخل يا ابن الأقرع.

(**يدخل السائب**)

السائب : السلام عليك يا أمير المؤمنين.

عمر : وعليك السلام ورحمة الله. ما وراءك؟

سائب : البُشْرَى يا أمير المؤمنين والفتح.

عمر : قد عرفنا ذلك من طَرِيف بن سهم ، فمَن الذى بَعَثَك؟

السائب : حذيفة بن اليَمَان يا أمير المؤمنين ، وهو الذى قسَّم الفَيْءَ وهذا كتابه إليك.

(**يناوله رسالة**)

عمر : (**يعترى وجهه الحزن**) والنعمان ماذا فعل؟

السائب : احتَسِبْهُ عند الله يا أمير المؤمنين. زَلِقَ فرسه فى دماء القوم فصُرِع فاستشهد.

عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون. ومن استشهد أيضاً من المسلمين؟

السائب : كثير يا أمير المؤمنين ، وقد كتب لك حذيفة أسماءَهم فى كتابه .

عمر : (**يتصفح الرسالة فيعلو وجهه الحزن ، ثم يناولها لابن عوف وسعد**) إنا لله وإنا إليه راجعون .

السائب : وآخرون من أفناء الناس لا يعرفهم أمير المؤمنين .

عمر : (**دامع العين**) وما ضرَّهم ألا يعرفِهم عمر ؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة . وما يصنعون بمعرفة عمر ؟

السائب : وقد جئتك بالخُمس يا أمير المؤمنين .

عمر : فى هذين السَّفَطَيْن اللذين معك ؟

السائب : لا يا أمير المؤمنين . إنه فى أحمال ، وقد أوصلْتُها إلى بيت المال وسلّمتها إلى عبد الله بن الأرقم .

عمر : أحسنت يا ابن الأقرع ، فما هذان السَّفَطَان ؟

السائب : إنهما من كنوز كسرى يا أمير المؤمنين ، وقد طابت نفوس المسلمين بهما لك وأجمع رأيهم على رفعهما إليك .

عمر : من غير الخُمْس ؟

السائب : أجل من غَيْرِ الخمس .

(**يفتح عمر السَّفَطين فإذا جواهر تبهَرُ الجميع**)

عمر : (**للهرمزان**) كم تساوى هذه الجواهر يا هرمزان ؟

الهرمزان : هذه لا تقدر بثمن يا أمير المؤمنين .

عمر : لو عُرضِت عليك وأردْت شراءَها فكم تدفع فيها ؟

الهرمزان : لو كنت قادراً على شرائها لدفعت فيها عشرةَ آلافِ ألف !

عمر : عشرة آلاف ألف !

الهرمزان : أو أكثر يا أمير المؤمنين .

عمر : وتقول يا سائب إن المسلمين طابَتْ لى بها نفوسهم ؟

السائب : أجل يا أمير المؤمنين ، وأجمع رأيهم على رفعها إليك لتجعلها حيث تحب .

عمر : ويحك يا ابن مليكة . والله ما درَوا هذا ولا أنت معهم . فالنجاءَ النجاءَ عودك على بدئك حتى تأتى حذيفة فيقسِّمَها على مَن أفاءَهما الله عليهم .

السائب : أردها على المسلمين ؟

عمر : نعم .

الهرمزان : يا أمير المؤمنين هذه ذَخِيرةُ كسرى ، وقد دفعها المسلمون إليك فلا ينبغى أن تردَّها إليهم فيضَيِّعوها .

عمر : ويلك يا هرمزان وماذا أصنع أنا بها ؟

الهرمزان : بحسبك يا أمير المؤمنين أن تحفَظَها عندك فى بيت المال ، فإنها لخليقة أن تُصَانَ وتُحفظ .

عمر : ويلك ! أتريد أن تجعلنى مثل كسرى فأتخذها ذَخيرة لى كما كانت ذخيرة له ؟ يا ابن الأقرع إذا كان الغدُ فاحملها عودك على بدئك إلى حذيفة .

السائب : سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين .

(يسمع نواح نساء من بعيد)

عمر : ما هذا النواح ؟ يا أسلم انظر ما هذا النواح ؟

أسلم : **(يدخل)** إخَاله يا أمير المؤمنين من ديار بنى مخزوم .

عمر : من ديار بنى مخزوم؟

(يدخل أبو عمرو بن حفص)

أبو عمرو : عزاءَك يا أمير المؤمنين .

عمر : فيمَن يا أبا عمرو ؟

أبو عمرو : فى خالد بن الوليد يا أمير المؤمنين . لقد جاءنا نعْيُه الساعة من حمص .

عمر : **(فى حزن)** لا حول ولا قوة إلا بالله . إنا لله وإنا إليه راجعون .

أبو عمرو : لا أعرفنَّك بعد الموت تَنْدُبُنِى

وفى حياتى ما زوّدتنى زَادِى

عمر : يغفر الله لك يا أبا عمرو . والله لقد رَضِىَ عنى خالد ورَضِيت عنه ، وجعلنى وَصِيّاً له بعد موته **(يبكى)** رحمة الله على خالد . إن كان ليحب أن يُذِلَّ الشرك وأهله ، وإن كان الشَّامِتُ به لمتعرضاً لغضب الله ومَقْتِه .

أبو عمرو : ألَا ترسل يا أمير المؤمنين إلى نسائنا فتزجُرَهن عن البكاء؟

عمر : بل دعْهن يا أبا عمرو . ما على نساء آل الوليد أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع ولا لَقْلَقَةٌ . على مِثْل أبى سليمان تبكى البَواكى !

أبو عمرو : إذن فلو سمعت أم خالد يا أمير المؤمنين وقد عصرَهَا الحزْنُ وأمضها الثُّكْلُ وهى تندبُه وتبكيه ، وتقول :

أنت خير من ألف ألف من القوم إذا ما كَبَتْ وجُوه الرجال .

أشجاع ؟ فأنت أشجع من ليث عرين جَهْم أبي أشبال .

أجوادٌ ؟ فأنت أجودُ من سَيْلٍ أتيٍّ يَسيل بين الجبال .

عمر : (**يجهش بالبكاء**) لقد صدقَت والله أم خالد . وإن هذا فى أبى سليمان لقليل .

السائب : يا أمير المؤمنين لقد جئت معى بالأشقر فرسِ خالدٍ .

عمر : الذى كان يركبُه النعمان ؟

السائب : نعم أَوْصَى النعمان قبل أن يَقضِيَ نَحْبَه ، بأن يُرَدَّ إليك لتردَّه أنت إلى خالد .

عمر : لا خير فى فرس يَزلِق بالنعمان بن مقرن .

السائب : كلا يا أمير المؤمنين ، لقد كان الفرس نَجيباً أىّ نجيب . ولولاه لضاع النعمان ولم يُعْثَرْ لأشلائه على أثر .

عمر : كيف ؟

السائب : ما كان من فرس إلا زلق فى ذلك الدم على ذلك المُنْحَدَر الزَّلِج . كذلك صُرِعَ طَلَيحة وأبو ثور وأبو محجن وغيرهم من الفُرْسان . ولكن الأشقر لما زلق بالنعمان ألظّ به وذَبَّ عنه وتطَامَن له حتى تعلقَ به النعمان وهو وقيذٌ ، فنجَا به الأشقر إلى المسلمين .

عمر : نجيب والله مثل صاحبه ! أحسنت اذْ جئتَ به . إن خالداً قد حَبس أفراسَه وأدْرَاعَه وكُرَاعَه فى سبيل الله . أين وَضعْت الفرس ؟

لسائب : فى إصطَبْل الصدقة يا أمير المؤمنين .

عمر : (**ينهض من مجلسه**) هلّم يا ابنَ الأقرع أرنى إياه . وهلُمُّوا معى يا قوم إن شئتم . إنى أُشتَهِى أن أمسح على عُرْفِه من أجل النعمان ومن أجل أبى سليمان !!

(**ستــار**)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ إخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ إمبراطورية فى المزاد .

٢١ ـ الدنيا فوضى .

٢٢ ـ أُوزوريس .

٢٣ ـ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .

٢٤ ـ دار ابن لقمان .

٢٥ ـ قطط وفيران .

٢٦ ـ هاروت وماروت .

٢٧ ـ جلفدان هانم .

٢٨ ـ الفلاح الفصيح .

٢٩ ـ حبل الغسيل .

٣٠ ـ الشيماء (شادية الإسلام) .

٣١ ـ هكذا لقى الله عمر .

٣٢ ـ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .

٣٣ ـ إلٰه إسرائيل .

٣٤ ـ الزعيم الأوحد .

٣٥ ـ الدودة والثعبان .

٣٦ ـ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا)

الملحمة الإسلامية الكبرى

عمـــر

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

القوي الأمين

ملحمة عمر

القوي الأمين

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

فى دار عمرو بن العاص بالفسطاط

يرى عمرو جالساً وعنده البطريق بنيامين ومحمد بن مسلمة وأبو رافع .

بنيامين : رويدك يا عمرو لعلك لم تفهم ما قصده أمير المؤمنين .

عمرو : بلى قد فهمته يا بنيامين . إن أمير المؤمنين لا يريد منا أن نحفر الخلجان ولا نصلح الجسور ولا نسد الترع كل عام.

بنيامين : إذن تخرب مصر وما أظن أمير المؤمنين يريد خرابها .

عمرو : لكن عمله يؤدى إلى ذلك .

ابن مسلمة : اتق الله يا ابن العاص ولا تقوّل أمير المؤمنين ما لم يقله . إنه لأحرص على خيرها ورخائها منك .

عمرو : فكيف يطالبنى بخراج أكبر ؟

ابن مسلمة : لأنه يرى أنها تحتمل أكثر من ذلك .

بنيامين : كلا لا تحتمل أكثر من اثنى عشر ألف ألِف .

ابن مسلمة : لكن امير المؤمنين يعلم أن خراجها فى عهد الروم كان عشرين ألف ألِف وفى عهد الفراعنة تسعين ألف ألف .

بنيامين : عجباً .. من أين بلغ أمير المؤمنين ذلك ؟

أبو رافع : من وفد مصر الذين ذهبوا إليه فقد كان يسألهم عن كل شيء .

بنيامين : سامحهم الله . ما كان لهم أن يخبروه بشيء دون أن يشرحوا له جلية الأمر فيه . إن ظلم الولاة والحكام على مر القرون هو الذى أنقص خراجها ، فالروم كانوا يجبون منها عشرين ألف ألف دون أن يصرفوا على إصلاحها شيئاً ، فما زالت الأرض تضعف ويضعف فلاحوها حتى صارت إلى حالها اليوم . فإن شئتم أن تضعفوها أكثر من ذلك فزيدوا فى خراجها فوق ما تطيق فلا تمضى سنوات قلائل حتى يصير خراجها أقل من اثنى عشر ألف ألف .

ابن مسلمة : وتشهد أيها البطريق الصالح أن كل ما استقطعه عمرو من الخراج كان يصرف على ما يصلح البلاد من حفر الخلجان وكرى الترع وإصلاح الطرق والجسور ؟

بنيامين : نعم أشهد بذلك .

ابن مسلمة : إذن فسأبين ذلك لأمير المؤمنين فيرضى عنك يا عمرو إن شاء الله .

بنيامين : لعل مهمتى انتهت الآن فهل لى أن أنصرف ؟

ابن مسلمة : إذا شئت أيها البطريق . جزيت خيراً على ما بينت لنا وأوضحت .

بنيامين : بلغ أمير المؤمنين أنى أحمد له ثقته بى وأنى فى خدمته دائماً فى كل ما يكفل الخير لمصر ولأهل مصر . (**يرى أبا رافع يتهيأ للخروج معه**) إلى أين يا أبا رافع ؟

أبو رافع : سأوصلك إلى حيث كنت .

بنيامين : لا حاجة بى إلى ذلك .

أبو رافع : كلا لا بد من ذلك .

(يخرج بنيامين ويخرج معه أبو رافع)

عمرو : إنى راحل معك إلى المدينة لأشافه أمير المؤمنين بما عندى حتى لا يعود إلى شكوكه وظنونه .

ابن مسلمة : لكن وجهتى إلى الشام لا إلى المدينة .

عمرو : ماذا أنت صانع فى الشام ؟

ابن مسلمة : لأحاسب عامل أمير المؤمنين على حمص .

عمرو : من يكون ؟

ابن مسلمة : سعيد بن عامر بن حِذْيَم .

عمرو : هذا رجل صالح .

ابن مسلمة : لكي تعلم أن أمير المؤمنين لا يفرق بين أحد من عماله .

عمرو : فسأنتظر حتى تعود من حمص فألحقك فى بعض الطريق لنصل معاً إلى المدينة .

ابن مسلمة : كلا يا أبا عبد الله إنى سأتوجه من حمص إلى الأهواز وبلاد فارس .

عمرو : لا حول ولا قوة إلا بالله . لتحاسب من هناك ؟

ابن مسلمة : لأحاسب بضعة عشر والياً من ولاة الأمصار .

عمرو : بضعة عشر والياً دفعة واحدة ؟

ابن مسلمة : نعم .

عمرو : ويحهم . ماذا راب أمير المؤمنين منهم ؟

ابن مسلمة : شكاهم أحد الشعراء فى قصيدة أرسلها إلى أمير المؤمنين .

عمرو : ماذا يقول فى قصيدته ؟ أسمعنى شيئاً منها .

ابن مسلمة : يقول فيها بعد أن عدَّد أسماءهم :

إذا التاجر الهندى جاء بفأرة
من المسك راحت فى مفارقهم تجرى

نؤوب إذا آبوا ونغزو إذا غزوا
وإن لهم وفرا ولسنا ذوى وفر

فقاسمهم نفسى فداؤك إنهم
سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر

عمرو : قاتله الله من شاعر . قد عرف ما يصبو إليه أمير المؤمنين فأغراه به . ليس أيسر عند عمر من أن يقاسم عماله أموالهم . والله إنه فى أمرهم لغير مجمل . كيف يصدق أقوال الشعراء فى ولاته وعماله ؟ لعل ذلك الشاعر أشجعهم فلم يعطوه ما أحب ، فكتب إلى عمر بما كتب . والله إن عماله لفى محنة . إن أجازوا الشعراء عوقبوا وإن منعوهم حوسبوا كذلك .

ابن مسلمة : رويدك يا ابن العاص إن عمر لا يعاقب أحداً بغير بيّنة ولذلك وجهنى من المدينة لأنظر فى أمرهم .

عمرو : ولكن الحكم لا يستقيم بهذا النهج .

ابن مسلمة : عندك يا ابن العاص . أما عند أمير المؤمنين فإن الحكم لا يستقيم إلا بهذا النهج .

عمرو : فليفعل ما بداله . هل بقى عندك لى شىء يا محمد بن مسلمة ؟

ابن مسلمة : نعم بقى أن أقاسمك مالك بأمر أمير المؤمنين .

عمرو : (**يتغير وجهه**) بأى حق ؟

ابن مسلمة : بحق أنه قد فشت لك فاشية من مال لم يكن لك حين وليت مصر .

عمرو : لقد كان كتب لى فى ذلك فكتبت إليه أن أرضنا أرض مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا فيزيد مالنا ويربو .

ابن مسلمة : هذا جواب أمير المؤمنين على ذلك الكتاب (**يناوله رسالة**) .

عمرو : (**يتصفحها فيربدّ وجهه**) اسمع يا ابن مسلمة ماذا يقول : (**انى قد خبرت من عمال السوء ما كفى . وكتابك إلى كتاب من أقلقه الأخذ بالحق وقد سؤت بك ظنًّا ووجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فأطلعه طلعه وأخرج إليه ما يطالبك وأعفه من الغلظة عليك فإنه قد برح الخفاء**) يرضيك هذا يا محمد بن مسلمة ؟

ابن مسلمة : لا تلمنى فما أنا إلا رسول يا عمرو .

عمرو : قد ساء بى ظنًّا فعلام لم يعزلنى ؟

ابن مسلمة : لو قد ثبت عنده أنك خنت أمانتك لعزلك فى الحال ولما اكتفى بمقاسمة مالك فهون عليك أبا عبد الله فهكذا يصنع عمر مع جميع عماله .

عمرو : إن زمانا عاملنا فيه ابن حنتمة هذه المعاملة لزمان سوء . لقد كان العاص يلبس الخزَّ بكفاف الديباج !

ابن مسلمة : يا عمرو . لولا زمان ابن حنتمة هذا الذى تكرهه لكنت الآن معتقلا عنزا بفناء بيتك يسرك عزرها ويسوءك بكؤها . ويلك يا ابن العاص أبالعاص وخزه وديباجه تفخر على أمير المؤمنين ؟ والله لو سمع أمير المؤمنين قالتك هذه ليطولن عليها ندمك .

عمرو : أنشدك الله يا ابن مسلمة ألا تخبره بقولى فإن المجالس بالأمانة .

ابن مسلمة : وتعفينى من الغلظة عليك فى مقاسمة مالك ؟

عمرو : نعم .

ابن مسلمة : إذن فلك على عهداً لله الا أذكر شيئاً مما جرى بيننا وعمر حى .

عمرو : جزاك الله خيراً يا أخا الأنصار . والله لقد عرف عمر كيف يختار .

(ستار)

المشهد الثانى

فى رحبة من رحاب المدينة فى أطرافها بيت من الشعر قد نصب ، يظهر فيه على ضوء النار الموقدة خارج الخباء أعرابى وامرأته . هى تتوجع وهو يواسيها .

الأعرابى : ألا تصبرين قليلًا يا جليلة ؟

المرأة : ماذا أصنع يا عامر وهذا الوجع يكاد يقتلنى ؟

الأعرابى : دعينى إذن أنطلق إلى بعض البيوت فى المدينة لعل امرأةً صالحة تتطوع لمعاونتك .

المرأة : كلا لا تتركنى .. لا تتركنى يا عامر . آه ... آه .

(يظهر عمر من يمين المسرح حتى يقترب من باب الخباء) .

عمر : يا أهل الخباء .. يا أهل الخباء ..

الأعرابى : **(يطل من باب الخباء)** مَنْ ؟

عمر : السلام عليكم يا أخا العرب .

الأعرابى : وعليكم السلام .

عمر : هل من حاجة فنقضيها لكم ؟

الأعرابى : حاجتى ليست عندك .

عمر : إنى أسمع أنين امرأة داخل الخباء .

الأعرابى : ليس من شأنك . انطلق يرحمك الله لحاجتك .

عمر : إنا نريد أن نساعدك .

الأعرابى : سبحان الله . أمر لا تستطيع أن تساعدنا فيه .

عمر : امرأة فى الطلق ؟

الأعرابى : نعم .

عمر : وما عندها أحد ؟

الأعرابى : ما عندها أحد غيرى .

عمر : الحمد لله هذه امرأتى قد جئت بها ومعها مايصلح امرأتك من الخرق والدهن .

الأعرابى : فأين هى ؟

عمر : هلمى يا أم كلثوم . (**تظهر أم كلثوم**) ادخلى إليها . (**تدخل أم كلثوم الخباء وترخى الستار على بابه**) .

الأعرابى : الحمد لله . لقد كنتما نجدة لنا من الله . الآن اطمأن قلبى .

عمر : أليس عندكم أثفية ؟

الأعرابى : ماذا تصنع بها ؟

عمر : امسك هذه البرمة (**يناوله البرمة التى فى يده ثم يلتقط ثلاثة أحجار كبار فينصبها أثفية على النار ثم يأخذ قربة صغيرة معلقة فى حقوه فيفتح وكاءها**) هات البرمة يا أخا العرب .

الأعرابى : حتى الماء جئت به معك !

عمر : هل عندكم ماء ؟

الأعرابى : نعم .

عمر : لا ضير يا أخا العرب (**يفرغ قليلًا من الماء فى البرمة**)
ضعها الآن على الأثفية (**يضعها الأعرابى على الأثفية**
هلم الآن فلنجلس (**يجلسان حول البرمه وعمر يحرك ما فى البرمة بعود فى يده**) . من أين جئت يا أخا العرب ؟

الأعرابى : من ديار عبس .

عمر : ما اسمك ؟

الأعرابى : عامر بن قيس العبسى . وأنت من أهل المدينة ؟

عمر : نعم .

الأعرابى : من صحابة رسول الله ؟

عمر : أرجو أن أكون كذلك . وما الذى جاء بك يا عامر ؟

الأعرابى : الحاجة .

عمر : أليس لك عطاء ؟

الأعرابى : بلى ولكن نفق لى ناضحان ولى أبوان كبيران أنفق عليهما فأتيت لأرجو أمير المؤمنين أن يقدم لى عطائى .

عمر : وأتيت بامرأتك تجرجرها وهى توشك أن تضع ؟

الأعرابى : ما كنا ندرى أنها توشك أن تضع وكنت أريد أن أزور بها أخوالها فى بنى سليم . ادع الله لنا يا صاحب رسول الله أن تجىء بغلام .

عمر : أو بجارية .

الأعرابى : لا بل بغلام .

عمر : الجارية أحنى على أبيها من الغلام .

الأعرابى : كلا لا أريدها . أريد غلاماً مكان ابنى علقمة الذى قتلته عام أول .

عمر : (فى دهش) تقول يا هذا قتلته ؟

الأعرابى : كنت السبب فى موته إذ أمرت أمه ففطمته قبل موعده .

عمر : وما حملك على ذلك ؟

الأعرابى : الطمع .

عمر : أفصح .

الأعرابى : لا يفرض أمير المؤمنين لوليد قبل فطامه .

عمر : فأمير المؤمنين هو الذى قتله !

الأعرابى : كلا لو لم أطمع فيما ليس لى بحق لعاش الغلام ولفرض له أمير المؤمنين .

عمر : هل تعرف أحداً صنع صنيعك ؟

الأعرابى : نعم . ابن عمى صنع مثل ذلك قبلى فجرى لابنه ما جرى لابنى وكان ينبغى أن أتعظ به ولكنى لم أفعل .

عمر : يا بؤساً لأمير المؤمنين ! كم قتل من أولاد المسلمين !

الأعرابى : (**معرضاً عن كلام عمر**) والله لئن رزقنى الله بغلام هذه المرة لأتركنه حتى يعاف هو ثدى أمه من تلقاء نفسه .

عمر : والله يا أخا عبس إنك لذو سريرة طيبة .

الأعرابى : (**يشم رائحة الطعام من البرمة**) ووالله يا صاحب رسول الله إنك لتحسن الطبخ والطهى .

عمر : (**يضحك قليلا**) وأنت ألا تحسن الطبخ ؟

الأعرابى : أنا لا أعرف غير الشىّ .

عمر : لو كانت عندى سخلة لذبحتها وشويتها لكم .

الأعرابى : جزاك الله صالحة . لا نريد أكثر مما جئتنا به . والله إنك لأكرم الناس .

عمر : غداً تنسانى حين تلقى أمير المؤمنين وتنال من بره .

الأعرابى : كلا والله لا أنساك أبداً ما حييت . وما إخال أمير المؤمنين سيكون أكرم منك ولا أبر . ربما يعطينى أكثر مما أعطيتنى ولكنك أنجدتنى وقت الشدة وأنجدت امرأتى بامرأتك فهل يفعل أمير المؤمنين مثل ذلك ؟

عمر : (**ينظر إلى البرمة**) يخيل إلى يا عامر أن البرمة استوت .

(**تسمع صيحة الوليد من داخل الخباء**) .

الأعرابى : (**يرفع يديه إلى السماء**) يا ربّ غلاماً كعلقمة !

أم كلثوم : (**صوتها**) يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام .

عمر : أبشر يا عامر فقد استجاب الله دعوتك .

الأعرابى : (**كأنما هابه فجعل يتنحى عنه**) ما كنت أعلم يا هذا أنك أمير المؤمنين .

عمر : مكانك كما أنت !

الأعرابى : قطع الله لسانى إذ نلت منك !

عمر : لا عليك يا عامر لأنا والله بما سمعت منك إذ كنت لا تعرفنى أفرح منى بما سمعت منك بعد إذ عرفتنى . خذ هذه البرمة فأدخلها إلى الخباء . أمسكها بالخرقة ولا تحرق يدك (**يأخذ الأعرابى البرمة ويدخل بها إلى الخباء**) .

عمر : يا أم كلثوم أشبعى أم الغلام فإذا فعلت فأخرجى البرمة لأبى الغلام .

(يعود الأعرابى وهو يحمل وليداً ملفوفاً فى الخرق) .

الأعرابى : تعال يا غليم سلم على أمير المؤمنين .

عمر : ماذا صنعت ويحك ؟ هلا أبقيته داخل الخباء من البرد ؟

الأعرابى : يا أمير المؤمنين هذا وليد بدوى لا يضره حر ولا برد ولا يقتله إلا الجوع .

عمر : (**يأخذ الطفل فيقبله**) أما إنه لطفيل جميل خذه فأرجعه إلى أمه .

الأعرابى : (**يعود فيأخذ الطفل**) والله ليفخرن غداً حين يلعب مع الأصيبية أن أمير المؤمنين حمله وهو وليد وقبله (**يخرج بالطفل ثم يعود بالبرمة فيضعها بين يدى عمر**) .

عمر : أم كلثوم هل فرغت ؟

أم كلثوم : (**صوتها**) نعم .

عمر : هيا اخرجى لننصرف .

(تظهر أم كلثوم من الخباء)

الأعرابى : شكراً لله لك يا زوج أمير المؤمنين .

عمر : ادخل فكل عند أهلك فإنك قد سهرت من الليل .

الأعرابى : والبرمة يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أبقها عندك حتى إذا كان الغد فائتنا بها نأمر لك بما يصلحك إن شاء الله ونفرض لابنك فى الذرية .

الأعرابى : تفرض لابنى هذا ؟

عمر : نعم ولغيره من أولاد المسلمين .

الأعرابى : قبل الفطام ؟

عمر : من ساعة ما ولد .

الأعرابى : جليلة ! أسمعت يا جليلة ؟ (**يتوارى فى الخباء**)

(**ينصرف عمر وأم كلثوم**).

(**يظهر الأعرابى حاملًا وليده**)

الأعرابى : (**ينادى**) يا أمير المؤمنين .. يا أمير المؤمنين .

عمر : (**صوته**) ما خطبك يا عامر ؟

الأعرابى : (**يلوح بابنه فى يده**) انظر يا أمير المؤمنين . والله لأسمينه عمر !

(**ستـــار**).

المشهد الثالث

فى المسجد النبوى الشريف .

عمر فى مجلسه بين أصحابه فيهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص .

عمر : لعلك تذكر يا أبا اسحاق يوم قال رسول الله ﷺ لصاحبنا أبى ذرٍّ : (إنك امرْؤ فيك جاهلية) .

سعد : نعم يا أمير المؤمنين أذكر ذلك .

عمر : هل تذكر ماذا فعل أبو ذر ؟

سعد : أحسبه عير غلاماً له بأمه .

عمر : وكانت أمه أعجمية .

سعد : أظن .

عمر : يقيناً كانت أعجمية .

سعد : يا أمير المؤمنين هل شكانى إليك أحد ؟

عمر : لا والله ما شكاك إلى أحد ولكن ذلك الغلام شكا أبا ذر إلى النبى ﷺ فقال له النبى ما قال .

(ينظر الآخرون إلى سعد متعجبين من الحديث بينه وبين عمر)

(يدخل عبد الله وعبيد الله ابنا عمر)

عبد الله : السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى من معك .

عمر : وعليكما السلام ورحمة الله . مرحباً بالقادمين من العراق (**يعانقهما ويضمهما إلى صدره**) كيف أميركم أبو موسى ؟

عبد الله : بخير يا أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام .

عمر : اجلسا يا ولدى (**يجلس فيجلسان**) وعامة المسلمين كيف هم ؟

عبد الله : هم يا أمير المؤمنين كما تحب من الدعة والعافية .

عمر : كيف أسعارهم ؟

عبيد الله : أرخص أسعار يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف اللحم فيهم فإن اللحم شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها .

عبيد الله : البقرة بخمسين درهماً والشاة بثمانية دراهم .

عمر : الحمد لله إنهم إذن لفى نعمة ورخاء . وأين المال الذى بعث به أبو موسى ؟

عبيد الله : معنا يا أمير المؤمنين .

عمر : أين وضعتماه ؟

عبد الله : لو أمهلتنا بضعة أيام فنؤديه لك .

عمر : ويلك فيم الإمهال ؟

عبيد الله : ريثما نبيع البضاعة التى جئنا بها من العراق .

عمر : (**مغضباً**) أوقد فعلها أبو موسى ؟ والله لأجعلنه نكالًا لمن بعده .

ابن عوف : أى شىء أغضبك يا أمير المؤمنين ؟

عثمان : وأى شىء فعل أبو موسى ؟

عمر : إن هذين التاجرين ليعلمان ما فعل . ألا تتكلمان ؟

عبد الله : سنخبرك يا أمير المؤمنين ماذا فعل . لما أردنا الترحل من البصرة ، قال لنا أبو موسى لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت .

عمر : بخ .. بخ .. ابنا أمير المؤمنين . فماذا قلتما له ؟

عبد الله : والله ما قلنا له شيئاً ولكنه عاد فقال : بلى ها هنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين فسأسلفكماه فتبتاعان به من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح .

عمر : ففرحتما وقبلتما وانتهزتما هذه الفرصة للربح .

عبد الله : لم نر بذلك بأساً يا أمير المؤمنين .

عمر : لا بأس عندكما أن تتجرا فى أموال المسلمين .

عبيد الله : أمانة حملنا إياها وسنؤديها إليك فأى جناح علينا ؟

عمر : أراك يا عبيد الله ألحن بالحجة من أخيك . خبرنى يا غُدَر أكل الجيش أسلف أبو موسى كما أسلفكما ؟

عبيد الله : لا .

عمر : فقد اختصكما لأنكما ابنا أمير المؤمنين ؟

عبيد الله : بل لأنه استأمننا ووثق بنا يا أمير المؤمنين .

عمر : أليس فى جيش المسلمين من يوثق بأمانته سواكما ؟

عبد الله : يا أمير المؤمنين قد بينا لك وجه الأمر فاقض ما أنت قاض .

عمر : أديا المال وربحه معه .

عبد الله : كما تحب يا أمير المؤمنين .

عبيد الله : كلا ما ينبغى لك أمير المؤمنين . لو هلك المال فى الطريق أو نقص لضمناه .

عمر : أديا المال وربحه معه .

عبد الله : سنفعل يا أمير المؤمنين .

عبيد الله : كلا ما ينبغى له أن يظلمنا لأننا ولداه .

عمر : أديا المال وربحه !

عثمان : رويدك يا أمير المؤمنين لقد صدق عبيد الله . ليس لك أن تظلمهما من أجل أنهما ولداك .

عمر : كما حاباهما أبو موسى من أجل ذلك .

ابن عوف : يا أمير المؤمنين إنهما بعد رجلان من المسلمين لهما ما لهم وعليهما ما عليهم .

عمر : فأبو موسى لم يعاملهما كذلك بل آثرهما على سائر المسلمين .

عثمان : آخذ أبا موسى إن شئت ولكن لا تظلمهما .

عمر : سبحان الله . كيف أواخذ أبا موسى وأقبل رشوته ؟

ابن عوف : سبحان الله يا أمير المؤمنين . ألا يجمل بك أن تحسن الظن بهما وبه ؟ لم لا تقول إنه إنما فعل ذلك حرصاً على المال ألا يضيع فى الطريق فجعله فى ضمانهما ؟

سعد : لو جعلته قُراضاً يا أمير المؤمنين فيكون لهما نصف الربح .

عثمان : لقد صدق سعد يا أمير المؤمنين .

ابن عوف : أجل هذا والله هو الرأى ؟

عمر : (**يلتفت إلى على**) ما تقول يا أبا الحسن ؟

على : أجل يا أمير المؤمنين اجعله قراضاً لتعدل بينهما وبين بيت المال .

عمر : قد جعلته قراضاً فأدّيا لبيت المال رأس المال ونصف ربحه .

عبيدالله : سنفعل يا أمير المؤمنين . أتأذن لنا لنذهب إلى متاعنا فى السوق ؟

عمر : إذا شئتما أيها المجاهدان التاجران ! (**يخرج عبد الله وعبيد الله**) (**يهم سعد بالقيام فيستوقفه عمر**) إلى أين يا أبا إسحاق ؟ انتظر قليلًا .

سعد : إذا شئت يا أمير المؤمنين عدت إليك بعد قليل .

عمر : لا يا أبا اسحاق . إنى قد بعثت فى طلب ابن الإسلام ، ويوشك أن يحضر ابن الإسلام .

الجميع : (**متعجبين**) ابن الإسلام ؟!

عمر : أتعجبون من ابن الإسلام ؟ كلنا ابن الإسلام إن شاء الله .

على : هذا حق يا أمير المؤمنين ولكنك عنيت شخصاً بذاته فمن يكون ؟

(**يظهر سلمان الفارسى**)

عمر : ها هو ذا ابن الإسلام قد أقبل !

الجميع : سلمان !

(**يتغير وجه سعد بن أبى وقاص ويتلون**)

سلمان : السلام عليكم .

عمر : وعليك السلام . مرحباً بك يا سلمان . مرحباً بالرجل الفارسى الذى لا ينتمى إلى بنى زهرة ولا إلى بنى عبد مناف ، ولكن الله شرفه بما هو خير من ذلك .

سلمان : (**يجهل ما يقصده عمر**) ألهذا بعثت إلى يا أمير المؤمنين ؟ لتثنى على فى وجهى فتفتننى ؟

عمر : ما ترى يا أبا الفرس فى سعد بن مالك ؟

سلمان : يا أمير المؤمنين ماذا عسانى أن أقول فى خال رسول الله ﷺ ؟

عمر : دع عنك هذه الخئولة وقل لى ما ترى فيه ؟

سلمان : ماذا أقول فى رجل جمع له النبى ﷺ يوم أُحُدٍ أَبَوَيْه ، ونصر الله المسلمين فى القادسية والمدائن على يديه ؟

عمر : دعنى من سجعك هذا . ماذا ترى فى سعد ؟

سعد : هل شكوتنى يا أبا عبد الله إلى أمير المؤمنين ؟

سلمان : لا والله يا أبا إسحاق ما فعلت .

عمر : يا سعد ألم تصدق قولى ؟ إنه ما شكاك ولكن بلغنى نبؤك معه . انتسب يا سعد !

سعد : اعفنى يا أمير المؤمنين ، فقد أدركت زلتى وندمت .

عمر : انتسب يا أبا إسحاق .

سعد : أنشدك الله إلا ما أعفيتنى .

عمر : لا والله لا أدعك حتى تنتسب .

سعد : لا تقسم يا أمير المؤمنين .

عمر : قد أقسمت .

سعد : (بعد صمت يسير) سعد بن مالك بن وهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة . هل أزيد يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لا .. بحسبنا هذا . فبأى هؤلاء يا سعد ، سعد بنى وهيب تفخر على آباء سلمان ؟ أليسوا جميعاً فى الشرك سواء ؟ لقد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم فى الجاهلية ، وأنا عمر ابن الإسلام أخو سلمان ابن الإسلام ، وأخو صهيب ابن الإسلام ، وأخو بلال ابن الإسلام .

سعد : يا أمير المؤمنين حسبك .

عمر : انتظر ! أوَ ما علمت يا سعد أن رجلًا انتمى إلى تسعة آباء كلهم شريف فى الجاهلية ، فكان هو عاشرهم فى النار ؟ ويحك ألا تذكر كيف اختصم المهاجرون والأنصار فى سلمان يوم الخندق ، فقال رسول الله ﷺ : (سلمان منا أهل البيت) ؟

سعد : (يبكى) حسبك يا أمير المؤمنين . والله لقد ندمت على ما كان منى . ووالله ما قصدت أن أعيره ولكن وقع بينى وبينه شىء فانطلق لسانى بغير قصد .

سلمان : أجل يا أمير المؤمنين لقد صدق أبو إسحاق إنه ما قصد سوءاً معاذ الله .

عمر : يا أبا إسحاق إنك من صحابة رسول الله الذين توفى وهو عنهم راض ، وكل شىء تقوله أو تعمله يصير سنة فى المسلمين ، فاتق الله يا سعد أن يقول العرب غداً لإخوانهم

المسلمين من غير العرب : لستم مثلنا أنتم كذا وكذا ونحن كذا وكذا . وقد قال رسول الله ﷺ : (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب) .

سعد : (**يقوم لسلمان فيعانقه وهو يبكى**) سامحنى يا أخى فيما بدر منى .

سلمان : (**يعانقه وهو يبكى أيضاً**) بل سامحنى أنت فيما هجت من غضبك .

سعد : بأبى أنت وأمى يا سلمان .

سلمان : نفسى فداؤك يا خال رسول الله .

سعد : أنا ابن الإسلام يا سلمان ، وأنت ابن الإسلام .

(**ستار**)

المشهد الرابع

فى منزل الهرمزان بالمدينة

الجارية : **(تنظر من الكوة)** مولاتى .. مولاتى ..

أم القماذَبان : نعم .

الجارية : مولاى الهرمزان قد أقبل هو وضيفه .

أم القماذبان : **(تنظر من الكوة)** يا ويلنا وما شرعنا فى إعداد الطعام بعد . افتحى لهما الباب ثم تعالى ساعدينى فى المطبخ .

(تخرج)

(يقرع الباب فتفتح الجارية ويدخل الهرمزان وسلمان وتخرج الجارية)

الهرمزان : كيف ترى منزلنا يا سلمان ؟

سلمان : منزل فارسى فى مدينة رسول الله !

الهرمزان : الفضل فى ذلك لأم القماذبان .

سلمان : أرجو أن يكون أعجبها العيش هنا فى المدينة .

الهرمزان : أعجبها جداً ، لكأنما ولدت فى أرض العرب .

سلمان : وابنك القماذبان ؟

الهرمزان : لا تسلنى عنه . لقد اندمج فى فتيان المدينة كأنه واحد منهم .

سلمان : هذا من فضل الله عليك يا هرمزان .

الهرمزان : الحمد لله ! لست أملك يا سلمان أن أقول غير ذلك .

سلمان : هداك الله يا هرمزان ، وملأ قلبك باليقين .

الهرمزان : الله قادر على كل شيء إن شاء هدانى إلى السبيل وإن شاء أضلنى عنه .

سلمان : ما هكذا يلتمس المؤمن الهداية من ربه .

الهرمزان : فكيف يقول ؟

سلمان : اللهم اهدنى واشرح صدرى للإيمان واجعلنى من المتقين .

الهرمزان : اللهم اهدنى واشرح صدرى للإيمان واجعلنى من المتقين . (**ينظر ملياً إليه**) لا تسؤ بى ظنا يا سلمان فإنى والله لمؤمن صادق الإيمان بالله ورسوله وكتابه ، ولكنى لم أستطع أن أتخلص من عصبيتى لفارس ومجد فارس .

سلمان : حتى الآن ؟

الهرمزان : حتى الآن . وأحسب يا سلمان أن لو كان للعرب مثل هذا المجد ، وكان لنا مثل هذا الدين فنصرنا الله عليهم وأورثنا بلادهم ، لما استطاع المسلمون منهم أن يتخلصوا من كراهيتنا ولا من عصبيتهم لبلاد العرب ومجد العرب .

سلمان : ويحك يا هرمزان ! لو كان هذا الدين فى فارس لقالت الروم مثل ما قلت الساعة . ولو كان فى الروم لقالت فارس فيهم مثل ما قلت الساعة فى العرب . ولا بد أن يظهر هذا الدين فى قوم من الأقوام ، وقد اختار الله رسوله محمداً من العرب لحكمة يعلمها عز وجل وقضى الأمر .

الهرمزان : هذا حق يا سلمان ، ولكن فارس كانت أعظم حضارة وأقوى جنداً وأكثر قبيلًا .

سلمان : الله أعلم حيث يجعل رسالته . أتظن أن الفرس كانوا

يؤمنون بمحمد لو ظهر بينهم كما آمن به العرب ؟ أو تظن أنه يظهر فيهم أمثال أبى بكر وعمر وعلى ؟

الهرمزان : لم لا ؟

سلمان : لو رأى الله ذلك خيراً لكان أنفذه .

الهرمزان : ليت ذلك قد كان . إذن لتخلصت من هذا الزلزال العنيف الذى يضطرب فى صدرى فيكاد يدمرنى تدميراً .

سلمان : عجباً لك يا هرمزان ! لقد بلغنى أنك تميل إلى التنسك والتعبد ، فكيف يتفق ذلك مع هذا الذى ذكرت ؟

الهرمزان : إنى أجد فى النسك والعبادة راحة وملاذاً من خواطرى ووساوسى السود . أو لا تتمنى يا سلمان أن لو كان هذا الدين فى فارس ؟

سلمان : هذه نزعة من نزعات الشيطان . والذى نفس سلمان بيده لو كان محمد من فارس ، لما زادنى ذلك إيمانـــاً به . يا هرمزان لا تنظر إلى العرب وانظر إلى الإسلام الذى يجعل الناس سواء لا فضل لعربى على عجمي ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى . فإذا نظرت إليه وآمنت به على ذلك استوى عندكِ العرب وغير العرب ، واستوى عندك أن يكونَ مبعث محمد فى مكة أو فى بلخ . إنه دين بنى الإنسان عامة ، ورسوله رسول بنى الإنسان عامة . لقد صحبت محمداً وتلقيت عنه الدين على هذا الوجه ، بعدما ظللت زمناً أنشد الدين الصحيح واتقلب بين الأديان فى طلبه .

الهرمزان : ولكن العرب يفخرون علينا ويشمخون ، ويدعوننا العلوج ويتخذون منا العبيد والإماء .

سلمان : ليس ذلك لأنهم عرب ، بل لأنهم مسلمون جاهدوا فى سبيل الله فنصرهم الله على خصومهم فكان لهم سبى كما كان لغيرهم سبى . تلك سنة الغالب والمغلوب يا هرمزان . ولكن شتان بين الرقيق عند المسلمين وعند غيرهم ، فهم عند المسلمين إخوان . وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبى ذر إذ شكاه عبد له أنه عيره بأمه : (يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية . هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم .. فإن كلفتموهم فأعينوهم) .

الهرمزان : هذا بعد لا ينفى أن العرب اتخذوا منا العبيد والإماء .

سلمان : سبحان الله ! ألا ترانى وأنا من الفرس قد اتخذت لنفسى عبيداً وإماءً من الفرس والروم وغيرهم ؟ وهذا بلال الحبشى قد اتخذ عبيداً وإماء ، وهذا صهيب الرومى قد اتخذ العبيد والإماء ، وأنت ألم تتخذ لك عبداً أو أمة ؟.

الهرمزان : بلى قد اتخذتهم .

سلمان : من الفرس أم من الروم ؟

الهرمزان : من الروم ومن الفرس .

سلمان : ما إخالك تعاملهم فى بيتك أحسن مما يعاملهم غيرك من المسلمين .

الهرمزان : ماذا دعاك إلى هذا الظن ؟

سلمان : إنى أعرف عنجهية الفرس وخنزوانية أمرائهم .

الهرمزان : يا سلمان ، وهل بقيت أميراً اليوم ؟

سلمان : أصبحت حراً يا هرمزان ، لا سلطان عليك ليزدجرد ولا لرستم ولا لأحد غيرهم إلا لله عز وجل .

الهرمزان : وسلطان عمر ؟

سلمان : ويحك يا هرمزان ! إنك جالست عمر أفلا ترى أن سلطانه على نفسه أكبر من سلطانه على غيره ؟ أنشدك بالله يا هرمزان بالله الذى آمنت به .. أى الرجلين تجده أقرب إلى قلبك وأكثر تواضعاً لك : شاهنشاه يزدجرد أم أمير المؤمنين عمر ؟

الهرمزان : (**يترقرق الدمع فى عينيه**) بل أمير المؤمنين عمر !

سلمان : الحمد لله إذ اعترفت بالحق .

الهرمزان : يا سلمان إنى لأسمع حديثك فأستيقن وأتوب إلى ربى ، حتى إذا خلوت إلى نفسى عاودنى الداء القديم فماذا أصنع ؟

سلمان : تذكر كلما وسوس لك الشيطان أن المعركة ليست بين عرب وفرس ، ولكنها بين حق وباطل ، وبين عدل وظلم ، وبين جماهير مستضعفة وحكام كفرة فجرة . وقد شاء الله أن يديل من الباطل للحق ، ومن الظلم

للعدل ، ومن الحكام الظلمة للجماهير المستضعفة . ألا ترى أمير المؤمنين كيف اتخذك صديقاً وجليساً منذ أسلمت ، وفرض لك العطاء وعرف لك فضلك وشرفك حتى كان يستصحبك معه فى الحج . والله لو أنها كانت كسروية أو قيصرية لما قنعوا بغير قتلك أو إذلالك واستعبادك ، وما نفعك أن تدخل فى دينهم ولكنها نبوّة يا هرمزان وخلافة نبوّة .

الهرمزان : (**ينظر إلى الباب**) صه . هذا القماذبان ابنى ! خض بنا فى حديث غيره .

(**يدخل القماذَبان**)

القماذبان : السلام عليكم .

سلمان : وعليكم السلام ورحمة الله .

الهرمزان : هذا عمك سلمان الفارسى يا قماذَبان .

القماذبان : مرحباً بك يا عم.

سلمان : كيف أنت يا ابنى ؟ لقد بلغنى أنك شاب صالح .

القماذبان : الفضل لأبى يا عم ، فهو الذى أوصانى بصحبة الصالحين فأكرمونى وقربونى إليهم من أجله .

الهرمزان : ألا تدخل يا بنى إلى والدتك لتسلم على عمك سلمان ؟

(**يخرج القماذبان ثم تدخل أمه**)

أم القماذبان : (**تصافح سلمان**) مرحباً بك يا سيدى عندنا فى البيت .

سلمان : كيف أنت يا أم القماذبان ؟ بلغنى أنك أحببت هواء المدينة .

أم القماذبان : هواءها وماءها ونساءهـا وكل شيء فيها . إنى سعيـدة بالإسلام يا سلمان ، وأشعر كأنى خلقت خلقاً جديداً إذ أسلمت .

الهرمزان : وإنها لتتردد على مجلس عائشة أم المؤمنين لتسمع منها أخبار النبى وسننه .

أم القماذبان : أجل وما يحز فى نفسى إلا أنى لا أستطيـع أن أفهـم كل ما أسمع ، ولا أستطيع أن أعرب عن كثير مما أريد السؤال عنه .

الهرمزان : (**يطأطئ رأسه خجلًا من سلمان**) ترى ماذا أعددتَ لنا اليوم يا أم القماذبان ؟

سلمان : لا لا تصنعوا لى شيئاً . إننى اليوم صائم .

الهرمزان : صائم ؟ لكنك لم تذكر لى ذلك يا سلمان حين دعوتك .

سلمان : الطعام لا عبرة به يا هرمزان . العبرة بالمجلس والحديث .

الهرمزان : هلا أخبرتنى فجئت عندى يوماً آخر ، حتى تأكل معنا ويحصل الأنس والانبساط .

سلمان : هل ساءك صيامى اليوم يا أبا القماذبان ؟

الهرمزان : ساءنى وكدر صفوى وملأنى هما وغما .

أم القماذبان : وساءنى أنا يا سلمان أكثر منه .

سلمان : لم يا أم القماذبان ؟

أم القماذبان : لأنى كنت أريد أن تطعم من صنع يدى .

سلمان : ليت شعرى ماذا أعددت لنا ؟

أم القماذبان : أعددت لك طعاماً فارسياً يعجبك .

سلمان : طعام فارسى فى بيت مسلم فى بلد عربى ! هذا أقصى ما تتمناه النفس !

الهرمزان : وأنت صائم ؟

سلمان : والله لأفطرن عليه اليوم .

الهرمزان : عند المغرب ؟

سلمان : بل الآن .

الهرمزان : وتقطع صومك ؟

سلمان : نعم . إنه صوم تطوع ، ولى أن أقطعه فى أى حين .

الهرمزان : عجيب .

أم القماذبان : لا أكاد أصدق .

سلمان : لقد ذكرتمانى قصة وقعت لى مع أبى الدرداء وأم الدرداء ، فى عهد رسول الله ﷺ .

أم القماذبان : بربك حدثنا عنها يا صاحب رسول الله ، فإنى أحب أن أسمع أخبار رسول الله ﷺ .

سلمان : لما قدم النبى المدينة مهاجرا من مكة آخى بين أصحابه المهاجرين والأنصار ، فآخى بينى وبين أبى الدرداء . فجاءت امرأته ذات يوم إلى نُفيرة امرأتى فشكت إليها أن زوجها يقوم الليل كله ولا ينام ، ويصوم كل يوم ولا يفطر ، فذهبت أنا ونفيرة لننزل عندهم بضعة أيام . وحضر الغداء فقدمه لى وقال إنه صائم ، فامتنعت من الأكل حتى يأكل هو معى ، وما زلت به حتى جعلته

يفطر . فلما كان الليل قام يصلى فصحت به : ويحك أتزعجنا من نومنا بصلاتك ؟

الهرمزان : وجعلته يترك صلاته ؟

سلمان : ويأوى إلى فراشه .

(يضحك الهرمزان وامرأته)

سلمان : وأدرك السر فى نزولنا عنده فغضب ، فلما كان الغد شكانى إلى النبى ﷺ وقص عليه ما حدث . فقال النبى : (صدق سلمان .. إن لربك عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذى حقٍّ حقه) .

(ستار)

المشهد الخامس

فى حمص . فى بيت عاملها سعيد بن عامر الجمحى .
يُرى سعيد بن عامر وعنده محمد ين مسلمة .

سعيد : أوَقَد كتبوا إلى أمير المؤمنين يشكون منى ؟

ابن مسلمة : نعم ، وقد بعثنى لأنظر فى أمرهم وأمرك .

سعيد : سامحهم الله ! والله ما أسأت إلى أحد منهم ، وإنى بهم لرفيق وعلى خيرهم لحريص .

ابن مسلمة : خفض عليك يا ابن عامر ، فإن أهل حمص لمولعون بشكاية العمال ، وأمير المؤمنين يعلم ذلك ويرجو أن لا يفيِّل الله فِراسته فيك .

سعيد : فافعل ما أمرك أمير المؤمنين فإنى ممتثل . وأرى أن تجمع بينى وبينهم فتسألهم أمامى وتسألنى أمامهم ، حتى يتبين لك وجه الحق إن شاء الله .

ابن مسلمة : كلا يا ابن عامر ، إنى قد استوضحتهم شكواهم وتحريت عنك .

سعيد : يغفر الله لك يا ابن مسلمة ! أمنهم تحريتَ عنى ؟ من هؤلاء الذين شكونى إلى أمير المؤمنين ؟

ابن مسلمة : لا تخف ! فإنى أعرفهم من لحن القول فأميز حقهم من باطلهم . وإنى سائلك الآن بأمر أمير المؤمنين فأجبنى .

سعيد : سل ما بدالك .

ابن مسلمة : يقولون إنك لا تخرج إليهم حتى يتعالى النهار ، فما تقول ؟

سعيد : وماذا يضيرهم ذلك ؟ إنى لا أغمط لهم حقاً ، ولا أقصر لهم فى واجب .

ابن مسلمة : أحقاً لا تخرج إليهم حتى يتعالى النهار ؟

سعيد : لو عرفوا عذرى لما شكونى .

ابن مسلمة : فعلام لم تبين لهم عذرك ؟

سعيد : والله إن كنت لأكره ذكره خشية أن يكون رياء وسمعة .

ابن مسلمة : فاذكره لى لأذكره لأمير المؤمنين .

سعيد : إن امرأتى مريضة ضعيفة لا تقوى على العمل وليس لها خادم ، فأنا أساعدها فأعجن لها العجين ، ثم أجلس حتى يختمر فأخبزه لها ، ثم أتوضأ وأخرج إليهم .

ابن مسلمة : هذه والله محمدة لك وليست بمذمة فما تقول فى الثانية ؟

سعيد : وما الثانية ؟

ابن مسلمة : يقولون إنك لا تجيب أحداً بليل .

سعيد : لا حول ولا قوة إلا بالله ! وماذا يريدون منى بالليل وليس بهم إلى من حاجة ولا لى فى مجالسهم من أرب ؟ والله يا ابن مسلمة لو احتاج لمعونتى أحد منهم حقاً لقمت له من فراشى وسعيت إليه ..

ابن مسلمة : على ذلك ليس لك أن تحتجب عنهم بليل أو نهار إلا بعذر ، فما عذرك ؟

سعيد : وددت والله لو بقى سراً بينى وبين ربى .

ابن مسلمة : بل لا بد من ذكره .

سعيد : إنى جعلت النهار لهم ، وجعلت الليل لله عز وجل .

ابن مسلمة : هذا حسن ، فما تقول فى الثالثة ؟

سعيد : ليت شعرى ماذا تكون الثالثة ؟

ابن مسلمة : يقولون إن لك يوماً فى الشهر لا تخرج إليهم فيه ؟

سعيد : غفر الله لهم ! ليس لى خادم يغسل ثيابى كما قلت لك ، ولا لى ثياب أبدِّلها . فلا غرو أن أجلس ذلك اليوم من الشهر فأغسلها وأنتظر حتى تجف ، ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار .

ابن مسلمة : هذا حسن فما تقول فى الرابعة ؟

سعيد : أهناك رابعة ؟

ابن مسلمة : يقولون إنك تغنِط الغَنطة بين الأيام ، فيغمى عليك وتغيب عن حسك ؟

سعيد : حتى هذه يأخذونها علىّ ؟ هذه علة بليت بها ، فهلا دعوا لى أن يشفينى الله منها ؟

ابن مسلمة : منذ متى بليت بها ؟

سعيد : منذ هدانى الله للإسلام .

ابن مسلمة : زدنى بياناً .

سعيد : هل سمعت بما فعلت قريش فى خبيب الأنصارى ، إذ أخرجوه إلى التنعيم فصلبوه على جذع وأخذوا يضعون من لحمه ويقولون : أتحب محمداً مكانك ؟ فيقول لهم : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمداً يشاك بشوكة .

ابن مسلمة : أجل سمعت بذلك فى حينه .

سعيد : فقد كنت من شهود مصرعه وأنا يومئذ مشرك لا أؤمن

بالله العظيم . فوالله ما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحال ، إلا ظننت أن الله لا يغفر لى ذلك الذنب أبداً فتصيبنى تلك الغَنطة .

ابن مسلمة : الحمد لله الذى لم يفيِّل فِراسة أمير المؤمنين فيك .

سعيد : الحمد لله ! هل بقى لك عندى حاجة ؟

ابن مسلمة : نعم حاجة واحدة .

سعيد : أمرك أمير المؤمنين أن تقاسمنى مالى ؟

ابن مسلمة : لا يا أخى بنى جمح ، بل أمرنى أن أعطيك هذا الكيس .

سعيد : وأى شىء فيه ؟

ابن مسلمة : أربعمائة دينار تستعين بها على أمرك .

سعيد : كلا لا أقبلها . ماذا أصنع بها ولست فى حاجة ولا فى فاقة .

ابن مسلمة : انى قد تحريت عنك يا ابن عامر .

سعيد : فقد كذبك الذى حدثك .

ابن مسلمة : أنت الذى حدثتنى بذلك الساعة ، فهل كنت كاذباً ؟

سعيد : سامحهم الله ، هم الذين دفعونى إلى ذلك .

ابن مسلمة : لا ينبغى أن تردها فتغضب أمير المؤمنين . (**يضع الكيس على الأرض وينهض لينصرف**) ائذن لى الآن لأنصرف .

سعيد : مصاحباً يا محمد بن مسلمة . (**يخرج محمد بن مسلمة ويبقى سعيد بن عامر واقفاً فى حيرة واغتمام**) .

امرأته : (**صوتها**) يا أبا عامر .

سعيد : نعم .

المرأة : هل خرج الضيف من عندك ؟
سعيد : نعم .
المرأة : (**تدخل**)أبا عامر .
سعيد : (**فى حيرته واغتمامه**) نعم .
المرأة : نفسى فداك ما خطبك ؟ هل أبلغك هذا الرسول أن أمير المؤمنين غاضب عليك ؟
سعيد : بل أعظم من ذلك يا أم عامر .
المرأة : أبلغك عن ثغور المسلمين شيء ؟
سعيد : أعظم من ذلك .
المرأة : وما هو نفسى فداك ؟
سعيد : (**يشير إلى الكيس فى الأرض**) ابتليت يا أم‌عامر بالدنيا .
المرأة : (**تأخذ الكيس وتحركه**) هذه دراهم .
سعيد : بل دنانير يا أم عامر .. دنانير .
المرأة : أمير المؤمنين بعث بها إليك ؟
سعيد : نعم . لقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أبتل بها ، وصحبت أبا بكر فلم أبتل بها ، وابتليت بها فى صحبة عمر .. ألا فشرُّ أيّامى أيّامُ عمر !
المرأة : أهذه الدنانير تخيفك ؟
سعيد : لا ولكنى أخافك أنت .
المرأة : تخاف أن أكرهك فيها على ما لا تحب ؟
سعيد : قد فهمتها يا أم عامر .

المرأة : فأنت آمن من ذلك .

سعيد : هذه أربعمائة دينار أرسلها أمير المؤمنين إلى وعزم أن أنفقها على وعليك ، وإن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً .. ووالله ما أحب أن لى حمر النعم وأنى أحبس عن الفوج الأول !

المرأة : ستكون فى الفوج الأول إن شاء الله ، فدونكها فاصنع ما شئت .

سعيد : عن طيب نفس منك ؟

المرأة : نعم .

سعيد : لأفرقنها على الناس .

المرأة : على أهل حمص الذين شكوك إلى أمير المؤمنين ؟

سعيد : نعم ، فلولا شكواهم هذه ما أرسل لى أمير المؤمنين هذه المنحة .

المرأة : ما أطهر نفسك وأعظم قلبك . افعل ما بدالك .

سعيد : أيتها الزوج الصالحة ، والله ما أبالى من الدنيا شيئاً ما بقيت لى أم عامر .

(ستار)

المشهد السادس

عمر فى المسجد وعنده بعض أصحابه فيهم عثمان وابن عوف .

عمر : هل أرسلتم فى طلب حسان بن ثابت ؟

عثمان : نعم يا أمير المؤمنين .

ابن عوف : ليت شعرى يا أمير المؤمنين ، ماذا يقول حسان لو سمع هذا البيت : من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

عمر : ما أحسن هذا الكلام .

ابن عوف : أتدرى يا أمير المؤمنين من الذى قاله ؟

عمر : (**يتفرس فى وجه ابن عوف**) عدو الله الحطيئة ؟

ابن عوف : نعم .

عمر : ويحك يا عبد الرحمن ، أتريد أن تنافح عنه ؟ أو قد هبته أنت أيضا وخشيت من شر لسانه ؟

ابن عوف : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكنه استشفع بى إليك . فبالله عليك إلا ما رفقت به .

عمر : وحق الزّبرقان يا عبد الرحمن ؟

ابن عوف : ما كان للزبرقان أن يتشدد فى هذا الأمر اليسير .

عمر : دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك انت الطاعم الكاسى
أتعد هذا الهجو يسيراً يا عبد الرحمن ؟

ابن عوف : ليس فيه إفحاش يا أمير المؤمنين .

عمر : ذلك أحرى أن يكون أقذع وأوجع .

ابن عوف : يا أمير المؤمنين هكذا الشعراء منذ كانوا ، يمدحون ويهجون على العطاء والمنع .

عمر : والله ما ينبغى ذلك فى الإسلام . لقد كان ذلك جارياً فى الجاهلية إذ كانت القبائل تتفاخر وتتنافر وتتقاتل ، فكانت تحتاج إلى الشعراء تشتريهم بالمال ليناصروها على خصومها وأعدائها . أما اليوم وقد أكرمنا الله بالإسلام وجمعنا على كلمة واحدة ، فلا مكان لهذا اللغو . ويل لهم تلك معارك المسلمين مع الفرس والروم .. وأيامهم فى القادسية واليرموك ونهاوند ، أفلا يجدون فيها سبيلاً للقول إلا أن يمدحوا الناس متسولين أو يهجوهم متقولين ؟ لا والله لا أرانى أمنع الناس من التسول وأعاقبهم عليه ، وأدع هؤلاء الشعراء يتسولون ما شاءوا بشعرهم . والله ما أنصفت إذن وما أنا من العادلين (**يدخلون بالحطيئة فيجلسونه بين يدى عمر**) .

عمر : ألا تسلم يا لكع ؟

الحطيئة : خشيت يا أمير المؤمنين أن أسلم فلا ترد على .

عمر : أتخشانى يا عدو الله ولا تخشى الله وأنت تلغ فى أعراض المسلمين ؟

الحطيئة : والله ما نلت من عرض أحد يا أمير المؤمنين إلا وقد استحق ذلك منى .

عمر : وأبو موسى الأشعرى أمير البصرة ؟

الحطيئة : هذا مدحته يا أمير المؤمنين وما هجوته .

عمر : هددته فاتقى شر لسانك بألف درهم .

الحطيئة : أهو الذى شكانى إليك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم .

الحطيئة : إنما خشى منك أن تفعل به ما فعلت بخالد ابن الوليد ، فانتحل هذا العذر . لحاه الله من بخيل . أمدحه بالجليل فيعطينى القليل ، ثم يشكونى إليك !

عثمان : هذا الزبرقان يا أمير المؤمنين قد أقبل .

الزبرقان : (**يظهر**) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله (**يشير إلى مكان بين يديه**) اجلس يا زبرقان .

(**يجلس الزبرقان بإزاء الحطيئة**) .

عثمان : وهذا حسان يا أمير المؤمنين .

(**يدخل حسان يقوده غلامه**)

عمر : تقدم يا غلام .. أجلس أبا عبد الرحمن هنا بقربى .

(**يتقدم به الغلام حتى يجلسه بجنب عمر**)

عمر : هلم يا زبرقان هات ما عندك .

الزبرقان : هذا الحطيئة يا أمير المؤمنين قد هجانى فى شعره فأقذع .

عمر : أهجوته يا حطيئة ؟

الحطيئة : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : علام هجوته ؟

الحطيئة : لأنه استحق ذلك منى .

عمر : بم استحق ذلك ؟

الحطيئة : ببخله وسقوط همّته .

عمر : ببخله على من ؟ عليك أنت ؟

الحطيئة : علىّ وعلى غيرى .

عمر : من الشعراء ؟

الحطيئة : نعم .

عمر : ويلكم ! أوَقد اتخذتم الشعر سبيلًا للتسوُّل والتكفُّف ؟

الحطيئة : إن المتسول يا أمير المؤمنين لا يخشاه أحد .

عمر : إن الكلاب المسعورة ليخشاها الناس ، فيلقون إليها بالعظام ليصرفوها عنهم .

الحطيئة : فهو يا أمير المؤمنين لم يشأ أن يرمى لى ولا بعظمة واحدة ، ومع ذلك لم أقل فيه إلا دون ما يستحق .

عمر : ماذا قال فيك يا زبرقان ؟

الزبرقان : دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

عمر : إنى ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة .

الزبرقان : يا أمير المؤمنين ، أولا تبلغ مروءتى إلّا أن آكل وألبس ؟ والله يا أمير المؤمنين ما هجيت ببيت قط أشد على منه .

عمر : هذا حسان بن ثابت قد أحضرناه ، فهل ترضاه حكماً فى هذا الأمر ؟

الزبرقان : نعم يا أمير المؤمنين .

الحطيئة : وأنا أرضاه حكماً كذلك يا أمير المؤمنين .

عمر : ماذا ترى يا أبا عبد الرحمن ؟ أتراه هجاه بهذا البيت ؟

حسان : أقول رأيى يا أمير المؤمنين بلسانى كله ؟

عمر : نعم بلسانك كله .

حسان : إنه ما هجاه فحسب يا أمير المؤمنين ، بل سلح عليه .

الحطيئة : (**يهتف فرحاً**) بوركت يا ابن الفريعة . لقد شهدت لى والله أبد الدهر .

عمر : بل شهد عليك يا لُكَع .

الحطيئة : إنى بشهادته على فى هذا البيت ، لأفرح منى بشهادته لى لو فعل .

عمر : والله لأُعلّمَنّ هذا السفيه اللسان ، كيف يحترم أعراض الناس . خذوه فاحبسوه ولا تخرجوه من الحبس إلّا إلى الرمس .

الحطيئة : يا أمير المؤمنين أقلنى .

عمر : لا أقالنى الله إن أقلتك .

الحطيئة : ارحمنى يا أمير المؤمنين .

عمر : وهل تركت للرحمة سبيلًا يا عدو الله وعدو الناس .

الحطيئة : (ينشد فى رقة)

تحنـــن على هداك المليـــــك

فإن لكــل مقــام مقـــالا

فإنك خير من الزبرقـــــان

أشدُّ نكـــالا وأرجـــى نوالا

عمر : ويلك أتظن باطلك هذا يخدعنى ؟

الحطيئة : يا عبد الرحمن بن عوف اشفع لى عند أمير المؤمنين .

عمر : خذوه إلى الحبس .

(يسوقون الحطيئة وهو يصيح ويستغيث)

(ستار)

المشهد السابع

بيت عمر بالمدينة .

(يدخل عمر من خارج المنزل)

عمر : ألم تأت الشفّاء بعد يا عاتكة ؟

عاتكة : لا لم تأت بعد . لعلك تنتظر منها أن تأتيك بأخبار جدد ؟

عمر : نعم .

عاتكة : أصبحت يا أمير المؤمنين ولا هم لك إلا ما تتسقطه لك الشفاء من أسرار النساء .

عمر : ويحك إنى لأرجو أن ينفض الله لى أسرار هذا الأمر وتفاصيله ، حتى يوفّقنى لعلاجه على هدى وبصيرة . أوَقد نسيت يا عاتكة أننى أخذت على نفسى للمسلمين من فوق منبر رسول الله ﷺ ، أنهم إذا غابوا فى البعوث فأنا أبو العيال ؟

عاتكة : ولا كل هذا يا أمير المؤمنين . ما أنت وما يهتفن به فى مخادعهن ؟

عمر : ذلك أصدق شيء يخبر عنهم . والله ما فرحت بشعر سمعته من أحد قط ، فرحى بما سمعته من تلك المرأة المغيبة وهى تقول من حيث لا تتوقع أن يسمعها أحد .

تطاول هذا الليل واخضل جانبُه

وأرقنى ألّا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا رب غيره

لحُرِّك من هذا السرير جوانبــــه

عاتكة : أعجبك هذا الشعر يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أعجبنى أو لم يعجبنى ، فقد نبَّهنى إلى أمر كنت غافلا عنه . لأجعلنّ للبعوث أمداً لا يتجاوزونه ، فلا يغيب الرجل عن امرأته أكثر مما تحتمل .

عاتكة : وتلك التى سمعتها تقول :

هل من سبيـــــــل إلى خمر فأشربها

أو من سبيـل إلى نصر بن حجـــاج

ماذا أنت صانع بها ؟

عمر : قد أمرت الشفّاء فتحرت عنها فوجدت أنها امرأة ذات عفاف ودين ، وأن الشعر ليس لها وإنما تمثلت به .

عاتكة : فلمن هو إذن ؟

عمر : لنصر بن حجاج . وعصابته من الفتيان الرقعاء ، فهم ينظمون هذه الأشعار لتترنم بها العواتق فى خدورهن !

عاتكة : وتركتهم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : كلا لقد تحريت عنهم وأرسلت فى طلبهم . والله لأجعلنهم نكالا لغيرهم .

أسلم : (**يظهر على الباب**) يزيد بن أخت النمر يا أمير المؤمنين .

عمر : دعه يدخل .

(تنسحب عاتكة)

(يدخل يزيد ومعه نصر بن حجاج وأبو ذئب السُلَميّان

وقد تكحل كل واحد منهما وزجج حواجبه ورجل جمته على هيئة خاصة ، ولاث عليها عمامته بحيث تظهر الشطر الأكبر من الجمة)

يزيد : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام يا يزيد ورحمة الله . (**يلتفت إلى نصر**) أنت يا هذا نصر بن حجاج ؟

نصر : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : (**لأبى ذئب**) وأنت ذئبهن ؟

أبو ذئب : أنا أبو ذئب يا أمير المؤمنين .

عمر : ترى أيكما أعدى الآخر ؟

نصر : بأى شيء يا أمير المؤمنين ؟

عمر : بهذا التأنث والتخنُّث .

نصر : أتجدنا كذلك يا أمير المؤمنين ؟ إنما أردنا أن نتجمل ونبدو فى أحسن صورة .

عمر : ويلكما ! ما هكذا يصنع الرجال .. إنما يصنع هذا النساء .

أبو ذئب : أصلحك الله يا أمير المؤمنين ، هذا مختلف عما تصنعه النساء .

عمر : وهذه الجمة الناتئة إلى العلى كأنها قرن الشيطان !

نصر : هذه نحن ابتدعناها يا أمير المؤمنين ولا تعرفها النساء .

عمر : بخ ! بخ ! فقد فقتما النساء !

أبو ذئب : إنهن يا أمير المؤمنين لا يلثن العمائم هكذا على جممهنَّ .

عمر : ليّث يا أبا ذئب ! غدا يتشبهن بك وبابن عمك ! خبراني هل خرجتما للجهاد قط ؟

نصر : لا يا أمير المؤمنين .

عمر : إنكما لشابان جلدان فما أخركما عن الجهاد ؟

نصر : أنت منعتنا يا أمير المؤمنين .

عمر : متى جئتمانى فمنعتكما ؟

نصر : إنك أصدرت أمرا يا أمير المؤمنين أن من له أب كبير أو أم عجوز ، فليس له أن يتركهما ويخرج إلى الجهاد . وأنا لى أم عجوز .

أبو ذئب : وأنا لى أبوان كبيران .

عمر : (**يرفع يديه إلى السماء**) اللهم اغفر لعمر ما يعلم وما لا يعلم . خبرنى يا نصر ما عملك ؟

نصر : لا عمل لى يا أمير المؤمنين .

عمر : وأنت يا أبا ذئب ؟

أبو ذئب : وأنا كذلك لا عمل لى يا أمير المؤمنين .

عمر : فمن أين إذن تعيشان ؟

نصر : إن أبى ترك لنا ميراثاً حسناً يا أمير المؤمنين .

أبو ذئب : وأبواى موسران وأنا فى كنفهما أعيش .

أسلم : جرير بن عبد الله البجلى يا أمير المؤمنين .

عمر : دعه يدخل .

(**يدخل جرير بن عبد الله البجلى**)

جرير : أرسلت فى طلبى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم ، ليراك هذان الفتيان من بنى سليم اللذان يتزينان كما تتزين النساء . انظرا إلى يوسف هذه الأمة ! ويلكما هكذا يكون جمال الرجال !

نصر : لكل منا أسلوبه فى التجمل والتزين يا أمير المؤمنين .

عمر : اخلع عمامتك يا نصر . (**يخلع نصر عمامته برفق**) أعطنيها (**يقلبها عمر متعجبا**) تُرى كم تقضى من الوقت فى لوث هذه العمامة ؟ (**يعجها**)

نصر : (**يصيح**) دعها يا أمير المؤمنين . لا تحلها ! دعها بربك !

عمر : ألا تستطيع أن تعقدها مرة أخرى .

نصر : بعد لأى وجهد يا أمير المؤمنين .

عمر : تعال ادن منى يا أبا ذئب (**يدنو منه أبو ذئب فى حذر ، فينزع عنه عمامته بشدة**) .

أبو ذئب : (**يصيح كالمستغيث**) الجمة يا أمير المؤمنين .

عمر : ما بالها ؟

أبو ذئب : أفسدتها إذ نزعت عنها العمامة بشدة !

عمر : فلأجزّنّها لك يا لكع . يا يزيد جزَّ ناصيته وناصية نصر ابن حجاج .

نصر : حنانيك يا أمير المؤمنين لا تفعل .

أبو ذئب : ليس لك يا أمير المؤمنين أن تفعل ذلك .

نصر : الله أنبتها وليس لك أن تجزَّها .

عمر : الله أنبتها ولأجزّنّها ولا كرامة !

يزيد : (**يدنو من نصر بالمقص فى يده فيتباعد عنه نصر**) ويلك أتعصى أمير المؤمنين ؟

نصر : ليس على أن أطيعه فيما لا يعنيه من أمرى .

عمر : كيف لا يعنينى أمرك يا عدو الله ، وأنت تستغوى النساء بما تصقل من هيئتك وترخى من إزارك وترسل من أشعارك ؟

نصر : معاذ الله يا أمير المؤمنين .

عمر : ويلك أتظننى غافلا عنك وعن أشباهك ؟

هل من سبيـل إلى خمر فأشربها ؟

أو من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟

ألست أنت الذى تصنع هذا الشعر لتتمثل به العواتق فى خدورهن ؟ أمسكه يا جرير ليجز يزيد ناصيته (**يمسكه جرير فلا يستطيع حراكا ، فيجز يزيد ناصيته**) .

نصر : يا أمير المؤمنين ، لو كانت لك جُمّة مثلها لضننت بها على الجزّ ، ولكنها غيرة الأصلع من الأفرع !

عمر : عليك الآن بأبى ذئب فجزَّ ناصيته . (**يمسكه جرير فيجز يزيد ناصية أبى ذئب**) .

أبو ذئب : لقد ظلمتنا يا عمر ولم تكن من العادلين .

عمر : أجل لقد ظلمتكما إذ أعفيتكما من الجهاد فصرتما إلى ما صرتما إليه . يا جرير بن عبد الله إنى قد عهدت بهما إليك لتربّيهما وتدفعهما فى ميادين القتال حتى يكونا رجلين !

جرير : إنى مرتحل غدا يا أمير المؤمنين .

عمر : فخذهما معك !

أبو ذئب : وأبواى يا أمير المؤمنين من ذا يقوم بشأنهما ؟

عمر : أنا أقوم بشأنهما ولأكونن أبرَّ بهما منك !

نصر : وأمي يا أمير المؤمنين ألا ترِقُّ لحالها ؟

عمر : إنما أرق لحالها حين أقصى عنها بلاءك وشرك . انصرفا الآن . خذهما يا جرير إليك واتفق معهما على موعد الرحيل من الغد .

(يخرج جرير ونصر بن حجاج وأبو ذئب) (تدخل عاتكة)

عاتكة : الشفّاء يا أمير المؤمنين قد حضرت منذ قليل .

عمر : أين هى ؟ دعيها تدخل .

عاتكة : ادخلى يا أم عبد الله .

(تدخل الشفاء)

الشفاء : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . ويحك يا شفاء ماذا أخرك ؟

الشفاء : ستعذرنى يا أمير المؤمنين إذا سمعتَ حديثى .

عمر : حدثينى يا ابنة العم .

الشفاء : ذهبت إلى أم نصر بن حجاج وأم أبى ذئب كما أمرتنى فوجدتهما غير راضيتين عن ولديهما ولكنهما زعمتا أن الذى افسد ابنيهما هو جَعدة السُّلَمى .

عمر : ومن جعدة السلمى ؟

Twitter: @ketab_n

الشفاء : أدركت من حديثهما عنه يا أمير المؤمنين ، أنه هو الأبيض الشيظمي الذى كنت تبحث عنه .

عمر : صاحب بقيلة الأشجعيّ ؟

الشفاء : نعم ، فرأيت يا أمير المؤمنين أن أتصل بامرأته لعلى أعرف المزيد منها عنه .

عمر : واتصلت بامرأته ؟

الشفاء : نعم ، فذلك هو الذى أخرنى .

عمر : إذا كنت فى حاجـــــة مرسلا
فأرسل حكيمـــــاً ولا توصه
أحسنت يا أم عبد الله ، فماذا عرفت منها عن زوجها ؟

الشفاء : إنى أحضرتها معى يا أمير المؤمنين لتسألها بنفسك .

عمر : فأين هى ؟

الشفاء : (**تدنو من الباب الداخلى**) ادخلى يا سلمى عند أمير المؤمنين . (**تدخل سلمى**) حدثى أمير المؤمنين يا سلمى عن زوجك .

سلمى : يا أمير المؤمنين كان يكون زوجى من أفضل الرجال ، لولا تلك الخصلة فيه .

عمر : وما هى يا سلمى ؟

سلمى : إنه غزل صاحب نساء يحدثهن ويضحكهن ويمازحهن ، فكن يستلطفن مجلسه ويجتمعن حوله .

عمر : أكان يعقلهن بالحبال ؟

سلمى : كيف عرفت يا أمير المؤمنين ؟

عمر : من قول بقيلة الأشجعى فى أبيات له وجهها إلىّ :

قلائصنـــا هداك الله أنَّـــا
شُغِلْنا عنكـم زمـن الحصار

يُعقِّلهـن أبـيض شيظمـى
وبئس معقِّـل الذود الخيـار

سلمى : أجل يا أمير المؤمنين ، إنه ليعقل المرأة منهن ثم يأمرها أن تثب ، ويزعم لها أن المرأة الحَصان تثب فى العِقال ، فإذا وثبت سقطت فتنكشف فيتضاحكن من ذلك .

عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله ! يا ويل عمر ! أيحدث كل هذا فى ظهر المدينة وعمر على الناس ؟

سلمى : لا أحب أن أظلمه يا أمير المؤمنين . إنه يفعل ذلك لغير ريبة إلا المداعبة والممازحة ، ولـولا الـغيرة ما شكوتـه إليك .

عمر : قبحه الله من رجل سوء . إخوانه يجاهدون فى سبيل الله وهو قاعد يمازح نساءهم . لا والله لا يكون هذا أبداً .

سلمى : ماذا أنت فاعل به يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لأنفينه إلى بلد بعيد ، لا يعرف أحداً فيه ولا يعرفه أحد .

سلمى : وإذا صلح هناك واستقام ، أتعيـده يا أمير المؤمـنين إلى المدينة ؟

عمر : نعم .

سلمى : إذن فانفنى معه يا أمير المؤمنين .

عمر : وما ذنبك أنت ؟

سلمى : إنى أحبه يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن يصلحه الله بهذا النفى .

عمر : بوركت من امرأة صالحة . اذهبى معه إن شئت ، فإذا رأيته قد تاب واستقام فاكتبى إلى لآذن له بالرجوع إذا أحب .

سلمى : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين ، وأخرى أريدها منك .

عمر : اقترحى .

سلمى : ألا يعلم جعدة أنى شكوته إليك .

عمر : كلا ما شكوته أنت . بقيلة الأشجعى هو الذى شكاه .

(**تستأذن سلمى وتنصرف**)

الشفاء : (**تنهض**) هل من مهمة أخرى يا أمير المؤمنين اليوم ؟

عمر : نعم استقرئى لى من النساء كم تصبر المرأة عن زوجها ، حتى أكتب إلى الآفاق ألا يغيب الرجل عن امرأته فى البعوث أطول من ذلك .

الشفاء : أمهلنى إذن يا أمير المؤمنين يوماً أو يومين ، حتى أسأل لك عدداً كبيراً منهن .

عمر : قد فعلت يا أم عبد الله .

(**تخرج الشفاء**)

عاتكة : (**تدنو من عمر وتتنفس الصعداء**) الحمد لله يا أمير المؤمنين .

عمر : على ماذا ؟

عاتكة : على أن فرغت من هذه الأمور .

عمر : هيهات يا عاتكة . رب أمور أخرى أنا غافل عنها سيحاسبنى الله عليها يوم القيامة .

عاتكة : ويلى عليك يا عمر ! أبعد الروم وفارس وهرقل ويزدجرد ، تشغل نفسك بجعدة وامرأة جعدة وأبى ذئب وأم أبى ذئب ؟.

(ستار)

المشهد الثامن

فى بيت أم كلثــوم زوج عمــر

عمر : (ينادى) يا أسلم .. يا أسلم .

أسلم : (صوته) لبيك يا أمير المؤمنين .(يدخل)

عمر : ألم أنه عن التسول ؟

أسلم : بلى يا أمير المؤمنين ، وأعلنا ذلك فى الناس غير مرة .

عمر : فما بال شيخ لحته الساعة واقفاً يسأل بباب آل عبد الرحمن ابن عوف ؟ انطلق فائتنى به .

أسلم : سمعاً يا أمير المؤمنين .(يخرج)

أم كلثوم : (تدخل) هل أحضر لك طعامك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : انتظرى يا أم كلثوم حتى نرى ما يكون من أمر هذا الشيخ المتسول .

أم كلثوم : يا أمير المؤمنين ، لا ينبغى أن تحمل نفسك من هموم الناس فوق ما تطيق .

عمر : وماذا فعلت للناس بعد ؟ إن فى نفسى لأموراً كثيرة أستطيع أن أنفع بها الناس لو وجدت السبيل والأعوان .

أم كلثوم : هذا التسول مثلًا لا تستطيع أن تمنع الناس جميعاً منه . وما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ولا أبو بكر .

عمر : من أين لك هذا يا أم كلثوم ؟ أو قد سألت أباك عنه ؟

أم كلثوم : نعم .

عمر : أما لو شاء لروى لك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم .

أم كلثوم : ولكنه لم يعاقبهم على المسألة يا أمير المؤمنين كما فعلت .

عمر : صدقت يا ابنة على . ذلك لأنه لم يكن للمسلمين فى عهد النبى ولا فى عهد أبى بكر ديوان . أما وقد فرض لكل مسلم عطاؤه اليوم فلا عذر لتسول .

(يدخل أسلم يقود شيخاً يلوح كأنه ضرير)

أسلم : يا أمير المؤمنين إنه شيخ ضرير .

عمر : اصدقنى يا شيخ ، أضرير أنت حقاً أم تتضار ؟

الشيخ : بل أتضار يا أمير المؤمنين لأستعطف قلوب الناس . لا ينبغى الكذب أمام أمير المؤمنين .

عمر : أو لم تعلم أنى قد نهيت عن التكفف وتوعدت عليه ؟

الشيخ : أفأموت يا أمير المؤمنين جوعاً ؟

عمر : تموت جوعاً ؟ معاذ الله فكم عطاؤك ؟

الشيخ : ليس لى عطاء يا أمير المؤمنين . أنا من أهل الكتاب .

عمر : من أى أهل الكتاب ؟

الشيخ : يهودى يا أمير المؤمنين .

عمر : فما ألجاك إلى ما أرى ؟

الشيخ : أسأل الجزية يا أمير المؤمنين والحاجة والسن .

عمر : الحمد لله الذى هدانى إليك . والله إنى لمسئول عنك وعن أضرابك . انطلق يا أسلم إلى بيت المال فادع لى عبد الله بن أرقم (**يلتفت إلى اليهودى**) إنك لمبصر ، فهل لك أن تنتظر عند باب الدار ريثما يحضر خازن بيت المال ، فآمر لك بما يصلحك حتى لا تحتاج إلى أحد ؟

الشيخ : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين . جزاك الله خير الجزاء .(**يخرج**)

عمر : هل عندك شىء يا أم كلثوم لهذا الشيخ المسكين ؟

أم كلثوم : ما عندى غير غدائك . هذا الخبز من الشعير وهذا التمر .

عمر : هاتيه .

أم كلثوم : ألست تريد أن تأمر له بشىء من بيت المال ؟

عمر : ما شأنك ببيت المال ؟ ذاك مال الله لا فضل لنا فيه ، ولكن هذا الذى نرجو أن نثاب عليه .

أم كلثوم : (**تخرج ثم تعود بالطعام معها**) يا أمير المؤمنين إنه يزعم أنه جائع ، فهلا دعوته ليأكل معك ؟

عمر : صدقت والله إن ذلك لأفضل (**يقترب من الباب**) يا شيخ ! يا شيخ اليهود !

الشيخ : (**صوته من الخارج**) لبيك يا أمير المؤمنين .

عمر : ادخل عندى .(**يدخل الشيخ**) هلم اجلس وواكلنى .

الشيخ : يا أمير المؤمنين !

عمر : ألست بجائع ؟

الشيخ : بلى يا أمير المؤمنين .

عمر : فاجلس وكل معى من هذا الطعام .

(يجلس الشيخ فيأكل مع عمر)

أسلم : (**يدخل**) هذا عبد الله بن أرقم يا أمير المؤمنين .

عمر : ادخل يا ابن أرقم .

ابن أرقم : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . ألا تعلم يا ابن أرقم أن فى رعيتنا من أهل الكتاب فقراء ومساكين يحتاجون إلى المعونة ؟.

ابن أرقم : لا أعلم يا أمير المؤمنين أن فيهم من يحتاج إلى المعونة .

عمر : فهذا الشيخ واحد منهم . قد إضطرته الجزية والحاجة والسن إلى أن يتكفف الناس . فانظر هذا وضرباءه فضع عنهم الجزية وافرض لهم ما يصلحهم ، فوالله ما أنصفناهم أن أكلنا شبيبتهم ثم نخذلهم عند الكبر .

ابن أرقم : نعطيهم من الصدقة يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم . إنما الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء هم المسلمون ، وهذا وأضرابه من المساكين من أهل الكتاب (**يلتفت إلى الشيخ وقد فرغ من أكله**) قم فاذهب معه يا شيخ ليكتب اسمك ويعرف مقرك .

ابن أرقم : هلم معى يا شيخ .

الشيخ : (**خارجاً وراء ابن الأرقم**) جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين . أبقاك الله يا أمير المؤمنين .

(ستار)

المشهد التاسع

في منزل عبد الله بن سلام بالمدينة وعنده كعب الأحبار يزوره .

ابن سلام : مرحباً بك يا كعب في بيتي .

كعب : اشتقت إليك يا ابن سلام ، فقلت أزورك وإن كنت لا تزورني .

ابن سلام : أنت صاحب الفضل دائماً يا كعب .

كعب : ينبغي أن نتزاور منذ اليوم ، فإن الزيارة مفتاح المودة . هل بلغك يا أخي ما فعل أمير المؤمنين اليوم ؟

ابن سلام : ماذا فعل أمير المؤمنين أصلحه الله ؟

كعب : أحسن إلينا معشر اليهود .

ابن سلام : نحن لسنا يهوداً يا كعب . نحن مسلمون .

كعب : معذرة ! أحسن إلى بني جنسنا من اليهود ، فجعل للمحتاجين منهم ما يصلحهم من بيت المال . ألم يبلغك ذلك يا ابن سلام ؟

ابن سلام : بلى .. بلغني أنه فرض لأهل الكتاب عامة ، ولم يختص اليهود وحدهم .

كعب : هذا حق ، بيد أني ذكرت لك اليهود خاصة لأن أمرهم يعنينا أكثر من سواهم .

ابن سلام : يا كعب بن ماتع ، إن الإسلام نهى عن العصبية ، وجعل الناس جميعاً سواسية . لقد سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (كلكم لآدم وآدم من تراب) .

كعب : ولكن الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز : ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين .﴾

ابن سلام : (**فى شىء من الحدة**) يا كعب أعيذك بالله أن تكون ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض . ألم تقرأ ما نعى الله فى كتابه العزيز على بنى إسرائيل من كفر وفسوق وعصيان ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٭ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ٭ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾ . أزيدك يا كعب ؟ (**ينظر إليه فى عتب**) .

كعب : (**يتقى نظرات محدثة**) زدنى يا ابن سلام .

ابن سلام : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلًا منهم ﴾

كعب : اللهم اجعلنا من القليل .

ابن سلام : ويحك ما دعاؤك هذا يا كعب ؟

كعب : فهلا أمنت على دعائى ؟ الا ترجو يا أخى أن تكون من القليل ؟

ابن سلام : إنى قد أسلمت يا كعب ، فلست من قليلهم ولا من كثيرهم فى شيء .

كعب : وأنا أيضاً قد أسلمت .

ابن سلام : أوصيك يا كعب أن تكثر من تلاوة القرآن وتدبر آياته ، فيذهب عنك ما تجد فى نفسك من وَسواس .

كعب : ماعندى أى وَسواس يا ابن سلام .

ابن سلام : لا جناح عليك . إنى كنت مثلك اذ كنت قريب عهد بالإسلام ، فما أزال ذلك عنى غير القرآن وصحبة محمد صلى الله عليه وسلم .

كعب : طوبى لك يا ابن سلام إذ صحبت محمداً صلى الله عليه وسلم . ياليتنى ...

ابن سلام : لا تبتئس ! فقد سمعته صلى الله عليه وسلم يقول (رب مبلَّغ أوعى من سامع) .

كعب : جزاك الله خيراً . أنت أفقه منى فى الإسلام .. فهل لى أن أسألك ؟

ابن سلام : عن أى شيء تسأل ؟

كعب : إذا كان عمر يفرض لهؤلاء اليهود ...

ابن سلام : لأهل الكتاب يا كعب .

كعب : لأهل الكتاب هؤلاء من بيت مال المسلمين ، فعلام أجلى يهود نجران ونصارى نجران ثم أجلى يهود خيبر ؟

ابن سلام : أما يهود خيبر فقد نقضوا العهد إذ اعتدوا على عبد الله بن عمر وهو نائم عندهم ، كما اعتدوا على أحد الأنصار من

قبله . وأما أهل نجران فقد أجلاهم عن جزيرة العرب وعوضهم عن أرضهم فيها ما شاءوا من أرض فى العراق أو الشام .

كعب : إنى أعلم أنه عوضهم، ولكن لماذا أجلاهم من جزيرة العرب؟

ابن سلام : على الخبير سقطت يا كعب ، فعندى من ذلك علم . لقد سألت عن ذلك وفقهته . أجلاهم عمر عملًا بقول النبى صلى الله عليه وسلم :

كعب : **(لا يقين فى جزيرة العرب دينان) ؟**

ابن سلام : إنك لتعرف الحديث .

كعب : ولكن رسول الله لم يجلهم ولا أجلاهم أبو بكر بعده . أفكان الأمر لعمر خاصة ؟

ابن سلام : يا كعب فرق بين قوم من أهل الكتاب يقيمون مع المسلمين فى ديارهم فرادى كما يقيم المسلمون ، وبين قوم منهم لهم مدن وحصون وخيل وسلاح كما كان أهل نجران إذ تكاثروا فى عهد عمر واتخذوا السلاح والخيل ، فهؤلاء هم الذين عناهم النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه .

كعب : فهل كان عمر يخشى منهم على المسلمين ؟

ابن سلام : نعم ، ولا سيما إذ كان المسلمون يجاهدون الفرس والروم .

كعب : جزاك الله خيراً يا ابن سلام . والله إنك لبحر فى الإسلام .

(ستار)

المشهد العاشر

في المسجد النبوى الشريف وقد امتلأ بالناس
يرى عمر جالساً فى ميمنة المسجد وعنده سعد بن أبى
وقاص وعثمان وابن عوف وعمرو ابن العاص ومحمد بن
مسلمة وقد وقف أمام عمر الزَّبرقان بن بدر .

الزبرقان : يا أمير المؤمنين كفى ما حبسته . ناشدتك الله إلا ما أطلقت سراحه ؟

عمر : عجباً لك . كنت أنت الذى حبسته فما عدا مما بدا ؟

الزبرقان : قد عفوت عنه يا أمير المؤمنين .

عمر : قد سقط إذن حقك وبقى حق الله وحق المسلمين . إنه كان يهجوك ويهجو غيرك .

الزبرقان : لكنه تاب يا أمير المؤمنين وأناب .

عمر : هل أعلن لك ذلك ؟

الزبرقان : نعم .

عمر : وصدقته ؟

الزبرقان : ما أراه يا أمير المؤمنين إلا صادقاً .

عمر : يا أبا طلحة ، انطلق ومعك الزبرقان فائتيانى بالحطيئة

أبو طلحة : سمعاً يا أمير المؤمنين . (**يخرج ومعه الزبرقان**) .

عمر : أين غرماؤك الاثنا عشر يا محمد بن مسلمة ؟ ماذا أخرهم ؟ ألم تؤذنهم بالحضور ؟

ابن مسلمة : بلى يا أمير المؤمنين ، وإنهم آتون وشيكاً .

عثمان : هلا استدعيتهم واحداً بعد واحد يا أمير المؤمنين ؟

عمر : فيم يا عثمان ؟

عثمان : حتى لا تجتمع كلمتهم عليك .

ابن عوف : أجل يا أمير المؤمنين ، إنك أحرى أن تفلُجَهم منفردين منهم مجتمعين .

عمر : كلا لا أريد أن أفلُجَهم بالباطل . فليقولوا كل ما فى صدورهم ، فإن كان الحق فى جانبهم فإنى أول من يخضع له .

سعد : إذن فاحفظ لهم مقامهم يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف يا أبا إسحاق ؟

سعد : جنبهم الوقوف أمام الأشهاد . كلمهم وحدهم .

عمر : هيهات ! لا مناص من حسابهم علنا فى الناس . فإنى كنت قد أرسلت إليهم محمد بن مسلمة ليقاسمهم أموالهم كلا فى بلده ، فأبوا إلا الحضور إلى المدينة ليجادلونى عن أنفسهم . فلا والله لا أحاسبهم إلا على ملإ من الناس .

عثمان : ها هم أولاء قد أقبلوا يا أمير المؤمنين .

(يدخل الولاة الاثنا عشر يتقدمهم ابن عتيك)

ابن عتيك : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . اجلسوا يا ولاتى وعمالى !! **(يجلسون حيث أشار عمر قدامه)**

ابن عوف : وهذا الحطيئة أيضاً قد أقبلوا به .

(**يدخل أبو طلحة والزبرقان وهما يسوقان الحطيئة**)

الحطيئة : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام (**للزبرقان وأبي طلحة**) خليا عنه . أحقاً يا أبا مليكة قد تبت عن هجو المسلمين ؟

الحطيئة : يا أمير المؤمنين كيف أتوب وأنا فى السجن ؟

عمر : إنى سأطلق سراحك إن عاهدتنى ألا تهجو الناس بعد اليوم .

الحطيئة : يا أمير المؤمنين هذا مأكلة عيالى وغلة تدب على لسانى ، وهو مكسبى ومنه معاشى .

عمر : سمعت يا زبرقان ؟ سمعت ماذا يقول ؟

الزبرقان : ما خطبك يا أبا مليكة ؟ ألا تقبل عفو أمير المؤمنين ؟

الحطيئة : ويحك ! كيف أقبل أن يموت عيالى جوعاً ؟

عمر : قبحك الله . والله لأقطعن لسانك اليوم . يا يرفأ على بكرسى وطست وسكين (**ينطلق يرفأ**)

الزبرقان : يا أمير المؤمنين أتنوى حقاً أن تقطع لسانه ؟

عمر : نعم .

الزبرقان : نشدتك الله ألا تفعل ، فإن كنت لا بد فاعلًا ففى مرة أخرى حين يهجو غيرى من المسلمين .

عمر : كلا لا أدعه يهجو غيرك من المسلمين أبداً .

الزبرقان : حنانيك يا أمير المؤمنين . إنك إن قطعته اليوم كان ذلك أسير فى الناس للشعر الذى هجانى به .

عمر : ينبغى لك يا زبرقان أن تغار على أعراض المسلمين كما تغار على عرضك .

(يعود يرفأ بالكرسى والطست والسكين)

عمر : اجلس ياعدو الله وعدو الناس .

الحطيئة : (**خائفاً وجلًا**) سأجلس على الأرض يا أمير المؤمنين .

عمر : كلا بل اجلس على الكرسى لأتمكن من لسانك .

الحطيئة : **(يجلس على الكرسى ويدنو منه عمر والسكين فى يده)** يا أمير المؤمنين أقلنى .

عمر : أخرج لسانك .

الحطيئة : (**يمد يده**) يا أمير المؤمنين . اقطع يدى ولا تقطع لسانى .

عمر : بلسانك تسرق الأعراض لا بيدك .

ابن عوف : قل لأمير المؤمنين إنك تبت عن هجاء الناس .

الحطيئة : ويعفو أمير المؤمنين عنى ؟

ابن عوف : ويلك قل له إنك تبت !

الحطيئة : أتوب يا أمير إن عفوت عنى .

عمر : إنى قد أقسمت لأقطعن لسانك .

الحطيئة : أمير المؤمنين لا يريد توبتى .

عمر : كذبت يا لكع . ماذا ترى لو قطعنا لسانك بالمال ؟

الحطيئة : (**فرحاً**) بوركت يا أمير المؤمنين . هكذا تقطع ألسنة الشعراء .

عمر : لكنك لن تأخذ المال بالمجان . سأشترى منك أعراض المسلمين .

الحطيئة : بكم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : بثلاثة آلاف درهم ؟

الحطيئة : أعراض المسلمين جميعاً بهذا الثمن البخس .. لا والله لا أقبل .

عمر : (**غاضباً**)قبحك الله . لقد شغلتنى عن أمرى . شغلك الله . خذوه . أعيدوه إلى الحبس حتى يموت .

الحطيئة : (**يسوقونه بقوة وهو يصيح**) أقلنى يا أمير المؤمنين . ارحمنى يا أمير المؤمنين .

(**يخرجون به ومعهم الزبرقان**)

ابن عتيك : يا أمير المؤمنين هل فرغت لنا الآن ؟

عمر : نعم هاتوا الآن ما عندكم . هات يا حجاج ابن عتيك ؟

ابن عتيك : أين غريمنا يزيد بن الصعَق ، فإنا لا نراه فى المجلس ؟

عمر : وماذا تريدون من ابن الصعَق ؟

ابن عتيك : نريد أن نناقشه أمامك .

عمر : كلا لا شأن لكم به ، ونحن إنما اجتمعنا لمناقشتكم لا لمناقشته .

ابن عتيك : هو الذى هجانا وشوه سيرتنا عندك .

عمر : كلا إنه ما هجاكم ولا شوه سيرتكم ، وإنما نبهنى وذكرنى .

ابن عتيك : تذكر هداك الله يا أمير المؤمنين أنك عاقبت الحطيئة على أقل من ذلك .

عمر : شتان ما هذا وذاك . إن ابن الصعَق لا يتكسب بشعره ولا يمدح ولا يهجو على العطاء والمنع .

ابن عتيك : هو شر من ذلك يا أمير المؤمنين . يحسدنا على الولاية . ولو وليته عملًا لسكت .

عمر : أجبه يا محمد بن مسلمة .

ابن مسلمة : ما كنت لتقول هذا يا ابن عتيك لو علمت أن أمير المؤمنين قد ناقش يزيد بن الصعَق فيما ورد فى قصيدته ، وقد عرض عليه عملًا ليبلوه فوجده زاهداً فى العمل .

عمر : خشية أن يستدرجه الشيطان إلى ما لا حق له فيه .

ابن عتيك : إنما خدعك يا أمير المؤمنين بذلك . علم أنك تبلوه فأظهر لك الزهد ، ولو علم أنك تقصد توليته حقاً لسارع إلى القبول .

عمر : كلا يا أخا ثقيف ، لست بِخِبٍّ والخِبُّ لا يخدعنى .

ابن غلاب : كان عليك يا أمير المؤمنين أن تطالبه ببينة على ما قال .

عمر : وأنى له ذلك وهو ليس لكم بشريك ؟

ولا تدعـوَنّى للشهـادة أننـى
أغيب ولكنى أرى عجَبَ الدهر
نئـوب إذا آبـوا ونغـزو إذا غزوا
وإن لهم وفراً ولسنا ذوى وفر
إذا التاجـر الهنـدى جاء بفـأرة
من المسك راحت فى مفارقهم تجرى

ابن عتيك : يا أمير المؤمنين هذا طعن صريح فى أمانتنا ، وأقل ما نطالبك به أنه تنصفنا منه كما أنصفت الزِّبرقان من الحطيئة .

عمر : كلا ليس الزبرقان بوال لنا أو عامل . إن هو إلا رجل من المسلمين تعرض له شاعر بالسوء فأنصفته منه . أما أنتم فعمالى وولاتى ، وللرعية قبلكم حقوق ولكل واحد منهم أن يشكوكم إلى إذا رابه منكم شيء .

ابن غلاب : لكن ابن الصعق يا أمير المؤمنين لا يمكن أن يكون رعية لكل واحد منا ، وكان أخلق به أن يشكو العامل الذى يقيم فى ناحيته ويعد هو من رعيته . فأما الآخرون فلا شأن له بهم ولا شأن لهم به ، فما تعرّضُه لهم ؟

عمر : بخ ! بخ ! والله إن هذا لصوت الشيطان قد انطلق من فمك . يا هذا إن الدين النصيحة لكل مسلم ، ولقد نعى الله تبارك وتعالى على بنى إسرائيل أنهم ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ فلئن كان من حق ابن الصعق أن يشكو عاملى القريب إليه ، إن من حق الله عليه أن يشكو غيره من عمالى ، فذلك أنفى للريبة فى أمره وأحرى ألا يظن به التحامل عليهم . فولا حبه للخير وحرصه على صلاح أمر المسلمين ما كلف نفسه مراقبتكم والكتابة إلى فى شأنكم .

نافع : يا أمير المؤمنين إنك أقمت على وعلى إخوتى حد القذف لما شهدنا على المغيرة بن شعبة ، فتعتع رابعنا فى شهادته . وهذا ابن الصعق يقذف بضعة عشر رجلًا من ولاتك وعمالك بغير بينة ولا دليل ، فتصدق باطله فينا ولا تعاقبه .

عمر : ويلك أين هذا من ذاك ؟ رميتم رجلًا من أصحاب رسول الله بالفاحشة ولم تكمل شهادتكم ، فاستحققتم العقوبة كما أمر الله فى كتابه . فأما ابن الصعق فقد زعم أن قد فشت لكم فاشية من مال لم يكن لكم قبل توليتكم ، فوجهنا إليكم محمد بن مسلمة للتحرى فوجد الأمر كما وصف ابن الصعق.

ابو بكرة : كلا يا أمير المؤمنين ، إن من آيات كذبه أنه ذكرنى فى قصيدته وأنا لست عاملًا لك ولم أل لك شيئاً .

عمر : هيه يا أبا بَكَرَة ! اسمعوا يا معشر المسلمين ماذا يقول أبو بكرة ! كيف يذكره يزيد بن الصعق فى عمال عمر وليس هو من عمال عمر ؟ وكيف يريد أن يقاسمه ماله وليس هو من عماله ؟ ويلك يا أبا بكرة ، أليس أخوك على بيت المال وعشور الأبلة ، فهو يعطيك المال فتتجر به.

بشر : تذكر يا أمير المؤمنين هداك الله أننى كتبت إليك حين أخذ العجم يهدون إلى ما يهدون أستفتيك فى ذلك ، فمنعتنى من قبوله فامتنعت .

عمر : هيه يا ابن المحتفز ، إياى تريد أن تخدع ؟ لعلك ظننت إذ استفتيتنى فمنعتك أن قد صرفت عينى عنك ، فأخذت تجمع هداياهم وأنت آمن ؟

بشر : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما أخذت من هداياهم شيئاً .

عمر : فمن أين إذن فشت لك هذه الفاشية من المال ؟

بشر : يا أمير المؤمنين إنها أرض مَتجر ، ينمو فيها المال نموًا وأنت قاعد .

عمر : وأنت قاعد تُسخِّر منصِبك ومكانك ووقتك وعقلك فى تنمية مالك !

بشر : يا أمير المؤمنين إنى لم أقصّر فى أى حق للناس قِبَلى .

عمر : لو كنت صادقاً فيما تقول ما فشا مالك .

عمرو : أولا يسرك يا أمير المؤمنين أن يكون ولاتك فى حال حسنة ؟

عمر : هيه يا ابن العاص ، تريد دائما أن تجعل الولاة على منوالك ؟ ويلك إنى لا أوليهم لتحسن أحوالهم بل لتحسن أحوال الناس بهم .

عمرو : يوشك يا أمير المؤمنين إن بقيت تغرى الناس بولاتك ، أن تسقط هيبتهم فى صدور الناس فلا يسمع لقولهم أحد .

عمر : إنى أريد الناس أن يحبوهم لا أن يخافوهم ، وما أرسلتهم ليضربوا أبشار الناس أو يجلدوا ظهورهم بل ليخدموهم ويعلموهم ويرشدوهم .

النعمان : يا أمير المؤمنين ، لا ينبغى أن تأخذنا بقصيدة يرسلها إليك شاعر عابث .

عمر : سبحان الله يا نعمان بن عدى ! لقد أنطقك الله بوصفك !

النعمان : ماذا تعنى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : إن الشاعر العابث حقاً هو الذى يقول وهو وال على كوردجلة :

فمن مبلغ الحسناء أنّ حليلَها
بميسان يُسقى من زجاج وحنتم ؟
لعل أمير المؤمنين يسوءه
تنادمنا فى الجوسق المتهدِّم !

النعمان : أوَقد بلغك هذا الشعر يا أمير المؤمنين ؟

عمر : بلغني يا نعمان وساءنى كذلك .

النعمان : والله يا أمير المؤمنين ما كان شيء من ذلك . إن هو إلا شيء دب على لسانى فقلته .

عمر : قد علمت أنك صادق فيما تقول ، ولكن والله لا تلى لى عملا بعد اليوم .

النعمان : فيم يا أمير المؤمنين ، وقد أيقنت أنى برىء ؟

عمر : أنت الشاعر العابث يا نعمان ، وما ينبغى لعابث أن تكون له ولاية على المسلمين .

النعمان : وتريد بعد يا أمير المؤمنين أن تقاسمنى مالى ؟

عمر : نعم سأقاسمك مالك ثم أعزلك .

النعمان : والله ما جنى على إلا أنى من قومك من بنى عدى !

عمر : لا كان بنو عدى إن كانوا جميعاً سفهاء مثلك !

ابن عتيك : هذا الذى فعلته يا أمير المؤمنين ما فعله رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ، وكلاهما خير منك .

عمر : بلى وقد فعل رسول الله ﷺ نحواً من هذا ، حين زعم أحد عماله على البحرين أنهم كانوا يهدون إليه . فغضب النبى وقال : (فهلّا قعدَ أحدكم فى بيت أمه لينظر من يهدى إليه ؟)

ابن عتيك : ولكنه لم يقاسم أحداً ماله .

عمر : لو كان عماله مثلكم ، وفشا المال عندهم كما فشا عندكم لما تركهم .

مجاشع : يا أمير المؤمنين أتريد أن تقاسمنا أموالنا بغير رضانا أم برضانا ؟

عمر : بل برضاكم يا مجاشع .

مجاشع : فنحن لا نرضى بذلك أبداً يا أمير المؤمنين .

الجميع : أجل يا أمير المؤمنين . لا أحد منا يرضى بذلك .

عمر : إذن فلا مناص من محاسبتكم واحداً بعد واحد على كل درهم أو دانق يملكه . أنى لك هذا ؟ فاختاروا أى الأمرين أحب إليكم : المقاسمة أو المحاسبة .

سمرة : يا أمير المؤمنين ، أتعُدُّ قبولنا للمقاسمة اعترافاً منا بالخيانة ؟

عمر : معاذ الله يا سمرة بن جندب ، وإنما هو زكاة لمالك واستبراء لدينك .

سمرة : قد رضيت بالمقاسمة إذن يا أمير المؤمنين .

عمر : بوركت يا سمرة بن جندب .

جزء : وأنا أيضاً رضيت بالمقاسمة يا أمير المؤمنين .

عمر : بوركت يا جزء بن معاوية .

شبل : ولكن ابن الصعق يا أمير المؤمنين قد اتهمنا اتهاماً صريحاً بالخيانة .

عمر : وأين ذلك يا شبل بن معبد ؟

شبل : ذلك حيث يقول يا أمير المؤمنين :

فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى

يسيغون مال الله فى الأدْم والوفر

أبو مريم : أجل يا أمير المؤمنين ، إذا أردت منا أن نرضى بالمقاسمة فلتعاقبه على سعايته وتشهيره بنا فى شعره .

عمر : إنه ليس بساع ولا بمشهر ، وإنما هو مؤد ما عليه لينبهنى إلى ما يجب على أن أعمله .

أبو مريم : فقد انتشر هذا الشعر فى الناس يا أمير المؤمنين .

عمر : كما ينتشر غداً أنى قاسمتكم أموالكم وليس عليكم فى ذلك من غضاضة . فقد قاسمت سعد بن أبى وقاص ماله فما غض ذلك من مقامه شيئاً .

سعد : بلى يا عمر ، قد غض من مقامى عند الناس .

عمر : ما شأنك بالناس إذا رضى الله عليك ؟

عمرو : وقاسمنى أنا أيضاً مالى وما أنا بخائن ولا مستغل .

عمر : ويحك يا ابن العاص ، ما من أمر صغير أو كبير إلا حاولت أن تستغله . أيا عمرو وأنتم أيها العمال والولاة .. إياكم أن تظنوا أنى إذ قاسمتكم أموالكم قد غفر الله لكم بذلك ما عسى أن تكونوا قد اختنتم من مال الله ، فإنه والله لنار تشتعل فى بطونكم والله وحده هو المطلع على سرائركم ، وهو حسيبكم وإليه أكل أمركم .

ابن عتيك : فعلام إذن يا أمير المؤمنين قاسمتنا أموالنا ؟

عمر : هذا حسابى لكم فيما أعلم ، ووكلت إلى الله حسابكم فيما لا علم لى به .

(يعود الزبرقان)

الزبرقان : يا أمير المؤمنين ! إن الحطيئة نادم على ما فعل ، وإنه يقبل المال الذى عرضته عليه .

عمر : هيهات ! قد عرضته عليه فأبى ولن أعود .

الزبرقان : فقد راجع نفسه يا أمير المؤمنين فندم .

عمر : ويحك أما عندنا غير الحطيئة ؟ لا تراجعنى فى أمره ثانية .

الزبرقان : إنه حملنى أمانة إليك يا أمير المؤمنين .

عمر : أدّها إذن .

الزبرقان : سألني أن أنشدك هذه الأبيات :

ماذا تقــول لأفــراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجـر
ألقيت كاسبهم فى قعــر مظلمــة
فاغفـر عليك سلام الله يا عمــر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه
ألـقت إليك مقاليـد النهى البشر
لم يؤثــروك بها إذ قدمــوك لها
لكـن لأنفسهـم كانت بك الأُثَر

عمر : (تدركه الرقة فيترقرق الدمع فى عينيه) لقـد صدق والله . إنا حبسناه وما سألنا عن أهله وعياله . يا أبا طلحة اذهب فأطلق سراحه . وأنت يا يسار اذهب فأعطه ثلاثة آلاف درهم واحسبها ديناً علىّ لبيت المال .

يسار : (صوته) سمعاً يا أمير المؤمنين .

عمر : (تتحادر دموعه وهو يترنم) :

ماذا تقــول لأفــراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجـر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمـــة
فاغفـر علـيك سلام الله يا عمـــر

(ستـــار)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ — إخناتون ونفرتيتى .
٢ — سلامة القس .
٣ — وا إسلاماه .
٤ — قصر الهودج .
٥ — الفرعون الموعود .
٦ — شيلوك الجديد .
٧ — عودة الفردوس .
٨ — روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ — سر الحاكم بأمر الله .
١٠ — ليلة النهر .
١١ — السلسلة والغفران .
١٢ — الثائر الأحمر .
١٣ — الدكتور حازم .
١٤ — أبو دلامة (مضحك الخليفة) .

١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ إمبراطورية فى المزاد .
٢١ ــ الدنيا فوضى .
٢٢ ــ أوزوريس .
٢٣ ــ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .
٢٤ ــ دار ابن لقمان .
٢٥ ــ قطط وفيران .
٢٦ ــ هاروت وماروت .
٢٧ ــ جلفدان هانم .
٢٨ ــ الفلاح الفصيح .
٢٩ ــ حبل الغسيل .
٣٠ ــ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ــ هكذا لقى الله عمر .
٣٢ ــ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ــ إله إسرائيل .
٣٤ ــ الزعيم الأوحد .
٣٥ ــ الدودة والثعبان .
٣٦ ــ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥

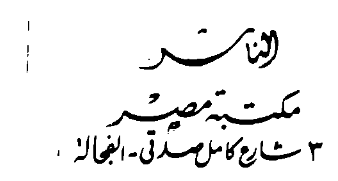
الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

غروب الشمس

ملحمة عمر

غروب الشمس

علي احمد باكثير



المشهد الأول

فى بيت جفينة بالمدينة وعنده الهرمزان وكعب وأبو لؤلؤة .

جفينة : تذكروا يا قوم أن الأحنف بن قيس يقرعُ اليوم أبواب خُراسان ، ولم تنجزوا أنتم مهمتكم بعد .

كعْب : مع أنكم قد شرعتم فى التدبير قبل معركة نهاوند بأمد طويل .

أبو لُؤْلُؤَة : نهاوند ! واحسرتاه على نهاوند ! والله ما أضاعها إلا هذا الملك من ملوك التاج الجالس بينكم . (**يشير إلى الهرمزان**) .

الهرمزان : ما عندك غير هذا القول تردده يا فيروز .

أبو لؤلؤة : ولن أكفَّ عن ترديده أبداً . لولا ضياع نهاوند ما ضاعت فارس .

الهرمزان : وماذا فعل السَّليل الذى أنجبته ابنة كسرى ، من بطل الأبطال رستم ؟

أبو لؤلؤة : لو أتيح لى أن أصاحب عمر فى الحج ، لرأيت ماذا كنت أفعل ؟

الهرمزان : وما علمُك أنت بالحجِّ وما يغْروُ الناس فيه من خشوع ؟

أبو لؤلؤة : لو صدق منك العزم ، لكان خشوع عمر فى الحج أكبر عونٍ لك فيما أردت .

الهرمزان : خشوع عمر فى الحج ! إنك لتهابه وهو يمشى فى السوق بين قوم مشغولين بالبيع والشراء، فكيف لو رأيته وقد كساه جلال الحج جلالًا ومهابة ؟

أبو لؤلؤة : تنصل ما شئت .. قد أضعت الفرصة وكفى .

الهرمزان : هبنى أضعتها يا فيروز ، فكم أضعت أنت من فرص قبل ذلك وبعد ذلك ؟

أبو لؤلؤة : أنت الذى جعلتنى أتراخى فى هذا الأمر . لولا مجيئك إلينا فى المدينة واعتراضك إياى فى مهمتى ، لأنجزتها من زمن بعيد .

الهرمزان : بل ينخلع قلبك يا فيروز كلما واجهته أو دنوت منه .

كعب : إلام تتلاومان ؟ إن التلاوم لا يجدى عليكما شيئا ، ولكنى أعلم أن عند جفينة اقتراحا فهل لكما أن تسمعاه ؟

الهرمزان : ماذا عندك يا جفينة ؟

أبو لؤلؤة : أسمعنا اقتراحك .

جفينة : أرى أن تسند هذه المهمة إلى رجل من العرب .

الهرمزان : رجل من العرب ؟

أبو لؤلؤة : كلا أنا لا أثق بأحد منهم .

جفينة : رجل موتور من عمر .

الهرمزان : ماذا صنع به عمر ؟

جفينة : انتزع منه أرضا كانت له .

الهرمزان : ولم يعوضه عنها شيئا ؟

جفينة : لا .

الهرمزان : هذا لا يُعقل. ما كان عمر ليظلم أحدا بغير حق.
جفينة : كعب يعرف قصته. اقصصها علينا يا كعب.
كعب : أرض أقطعها له الخليفة أبو بكر وكتب له بها كتابا، فلم يُقرها عمر ومزق الكتاب.
الهرمزان : ومن يكون هذا الرجل؟
جفينة : عيينة بن حصن الفزارى.
كعب : كان من أشرف أشراف العرب فى الجاهلية، فأذله الإسلام.
أبو لؤلؤة : كلا لا يقتل عمر إلا فارسى.
جفينة : لقد انتظرنا ذلك طويلا يا أبو لؤلؤة.
أبو لؤلؤة : لو أمهلتمونى قليلا حتى أجد الفرصة المواتية.
كعب : وماذا يضيرك يا أبا لؤلؤة أن يحاولها رجل من العرب؟
أبو لؤلؤة : إنه هدم مجدنا لا مجدهم، فنحن أولى بقتله.
كعب : إذا دفعت رجلا إلى قتل رجل، فكأنك أنت الذى قتلته.
الهرمزان : ويرضى هذا الرجل أن يقتل أمير المؤمنين؟
جفينة : قد اتفقت أنا معه على ذلك.
أبو لؤلؤة : اتفقت معه؟
جفينة : نعم.
الهرمزان : وذكرت له أسماءنا؟
جفينة : لا تخف يا هرمزان فإنى شديد الحيطة.
كعب : إياك يا جفينة.
جفينة : أنت أيضا يا كعب؟

كعب : إنه صديقك يا جفينة .

الاثنان : صديقه ؟

كعب : صديقه الحميم .

جفينة : ذلك أحرى أن تطمئنوا من ناحيته .

كعب : كلا يا جفينة . أخشى أن تطمئن إلى صداقته فتبوح بسرنا له .

الهرمزان : إذن نضيع جميعا يا جفينة .

أبو لؤلؤة : وتضيع الغاية التى نسعى لها .

جفينة : ويحكم ! إنى قديم فى المهنة لا تقع منى مثل هذه الهِنات .

أبو لؤلؤة : خبرنى يا جفينة . أيجرؤ هذا الرجل على قتل عمر ؟

جفينة : لا يوجد فى العرب أجرأ منه ولا أشرس ولا أوقح .

كعب : لقد بلغ من جرأته ووقاحته أن دخل بيت النبى من غير استئذان وعنده عائشة ، فسأل : من هذه الجميلة إلى جانبك ؟ حتى سماه النبى الأحمق المطاع .

جفينة : أفتريدون دليلا أكبر من هذا على أنه منافق رقِيقُ الدين ، وأنه لا يبالى أن يبيع الإسلام لمن يدفع له الثمن ؟

أبو لؤلؤة : هو إذن يبتغى ثمناً ؟

جفينة : هذا مطلب يرخص فيه كل غال يا فيروز .

الهرمزان : أوَ لا تخشى يا جفينة أن يبلغ عنك ؟

جفينة : كلا هذا لا يكون . إنى أعرفه من قديم وأنا أتألفه بالمال دائما عسى أن يقوم لى بمثل هذه المهمة ، وهو يزورنى كلما حن إلى الشراب مع نديم مأمون فى مكان أمين .

أبو لؤلؤة : لو كان موتورا من عمر حقا ، لما ابتغى ثمنا على ذلك .

كعب : يا فيروز ، إذا انضاف الطمع إلى الحقد كان ذلك أبلغ فى دفعه إلى ما نريد ، فليس اغتيال أمير المؤمنين عمر بالأمر الهين .

(يسمع قرع على الباب) .

جفينة : هذا هو قد جاء .

الجميع : من ؟

جفينة : صديقى العربى .. عُيينة بن حصن . أعطنى الخنجر يا أبا لؤلؤة .

أبو لؤلؤة : ماذا تصنع به ؟

جفينة : ويلك ! سأقدمه لصديقى العربى **(يتناول الخنجر من أبى لؤلؤة فيخفيه بين ثيابه)** اطمئنوا . لن يعرف أنكم عندى . هيا ادخلوا إلى الجناح الآخر وأوصدوا الباب خلفكم .

(يخرج الهرمزان وأبو لؤلؤة وكعب) .

جفينة : **(يخرج ليفتح الباب ثم يعود ومعه عيينة بن حصن)** مرحبا بك يا عيينة .

عيينة : ما عندك أحد ؟

جفينة : قد أخليت البيت طول النهار لك .

عيينة : وأعددت لى ما يذهب الهم والحزن ؟

جفينة : نعم .

عيينة : هلم عجّل بذلك .

جفينة : كلا لا تشرب اليوم يا أبا حصن .

عيينة : ولِمه ؟

جفينة : لا ينبغى أن تفقد لُبَّك فتهذى بأسرارك .

عيينة : ويلك يا ابن النصرانية ما تقول ؟ ألست تعلمُ أنى لا أفقد لُبِّى أبدا ولو شربت عشرين باطِية ؟

جفينة : فلنتحدث أولا فيما اجتمعنا اليوم من أجله .

عيينة : كلا لا كلام حتى تأتينا بالشراب .

(يحضر جفينة باطية شراب وقدحين فيملأ القدحين ويقدم أحدهما لعيينة) .

جفينة : اشرب يا عيينة .

عيينة : (**يتناول القدح فيعبه**) الآن يطيب الحديث .

جفينة : اشرب على دم عمر !

عيينة : (**مشمئزا**) ويلك لا تُفسد علىَّ لذة شرابى .

جفينة : قلت لى آنفا لا كلام حتى آتيك بالشراب .

عيينة : أجل . كما قال امرؤ القيس بن حُجْر فى القديم : اليوم خمر وغدا أمر .

(ستــار)

المشهد الثانى

فى بيت عمر بالمدينة وعنده يزيد بن أخت النمر والمسور بن مخرمة .

يزيد : ما لى أراك تعس النفس اليوم يا أمير المؤمنين ؟
عمر : من هَمٍّ البارحة يا يزيد . لم تغمض عينى البارحة .
يزيد : من جرّاء أولئك الرهط من قريش الذين أغضبوك أمس ؟
عمر : نعم . ألا ترى أنى أغلظت لهم القول واشتددت عليهم .
يزيد : ما أراك يا أمير المؤمنين عدوت الحق فيهم . لقد جمعوا بين الضرائر ، واتخذوا الخدم فى مال الله عز وجل ، ثم جاءوا يقولون كثر العيال واشتدت المؤونة ويستزيدونك الأعطيات .
عمر : أليس كثير ممن هم أغنى من هؤلاء قد جمعوا بين الضرائر ، واتخذوا الخدم كذلك ؟
يزيد : لكنهم لم يستزيدوك يا أمير المؤمنين فى أعطياتهم .
عمر : لو احتاجوا إلى ذلك لفعلوا .
يزيد : وماذا يعنيك من ذلك يا أمير المؤمنين ؟
عمر : ويحك ! إنى إذن لست بعادل . ألوم هؤلاء ولا ألوم أولئك وأنا الذى كنت السبب .
يزيد : كنت السبب فيماذا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : فى هذا التفاوت بين الناس .

يزيد : ما ذنبك يا أمير المؤمنين ؟ من اقتصد فلنفسه ومن أسرف فعلى نفسه .

عمر : هيهات يا يزيد . هذا لو كنت سوّيت بين الناس جميعا فى العطاء ولم أجعلهم طبقات .

يزيد : أوَ كنت تجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ؟

عمر : يا ليتنى كنت فعلت . إن السابقين إنما أسلموا لله وعليه أجرهم يوفيهم ذلك يوم القيامة ، وإنما الدنيا بلاغ .

يزيد : يا أمير المؤمنين إنك تتمثل اليوم بقول أبى بكر .

عمر : أجل ليتنى اتبعته يا يزيد .

يزيد : ما خطبك يا أمير المؤمنين ؟ لقد كنت على بصيرة من أمرك حين خالفت أبا بكر .

عمر : أجل ، ولكنى أدركت بآخرة أن أبا بكر كان أبعد منى نظرا وأسد رأيا وأصوب وأحكم .

يزيد : يا أمير المؤمنين ، أوَتظن أنْ لو سويت بين الناس لا يكون بينهم تفاوت ؟

عمر : لا ، ليكونن التفاوت بينهم بعد ، ولكن التبعة لا تكون حينئذ علىَّ .

يزيد : أتراك يا أمير المؤمنين تريد أن ترجع إلى رأى أبى بكر ؟

عمر : نعم .

يزيد : اليوم بعد ما أنشأت الديوان وأجريته على رأيك الأول سنين ؟

عمر : وأى ضيْر فى الرجوع إلى الأصوب والأصلح ؟

يزيد : إنك لن تستطيع أن تنقض من عطاء أحد شيئا ، وإلا ثار وغضب .

عمر : أرجو أن يكثر المال فأزيد فى عطاء المُقِل ولا أنقص من عطاء المكثر . لئن عِشت حتى يكثر المال لأجعلن عطاء الرجل المسلم ثلاثة آلاف .. ألف لكُراعة وسلاحه ، وألف نفقة له ، وألف نفقة لأهله .

يزيد : ما إخَال أن المال يفى بذلك يا أمير المؤمنين أبدا .

عمر : لا جرم إذن أن يواسى بعضهم بعضا .

يزيد : كلا لا تفعل يا أمير المؤمنين . لتكونن فتنة فى الناس .

عمر : ويحك لأن تقع الفتنة وأنا حى فأواجهها بما أقدر عليه ، خير من أن تقع بعدى وأسأل عنها يوم القيامة .

يزيد : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين .. لشد ما تكلف نفسك فوق ما تطيق .

عمر : إن كنت تحبنى يا يزيد فادع الله لى أن يقبضنى إليه غير ملوم ولا مضيَّع .

يزيد : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين ! فيا ليت شِعرى ماذا يصنع الذى يأتى من بعدك ؟

عمر : لقد شغلنى البارحة هذا الأمر أيضا يا يزيد . إن الأمر شورى بين المسلمين ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك والمسلمون منتشرون فى الآفاق ؟

يزيد : هوِّن عليك يا أمير المؤمنين .. ليلهمنك الله السبيل حين يشاء .

عمر : أجل ، لقد سنح لى البارحة رأى أرجو أن يكون هو السبيل .

يزيد : ماذا سنح لك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أن أطوّف فى الأمصار فاقضى فى كل مصر منها شهرين شهرين ، لعل للناس حوائج لا تصل إلىّ ، ولأستفتيهم فيمن يحبون أن يخلفنى من صحابة رسول الله الذين تُوفى وهو عنهم راض . فما رأيك ؟

يزيد : نِعم الرأى هذا يا أمير المؤمنين . بيد أنك ستقضى فى طوافك هذا حولا كاملا .

عمر : أجل ، ولنعم الحول هو إن شاء الله .

(يدخل أسلم)

أسلم : يا أمير المؤمنين هذا عيينة بن حصن يستأذن عليك .

يزيد : عيينة بن حصن ؟

عمر : ما خطبك يا أسلم ؟

أسلم : قلت له يا أمير المؤمنين إنك لا تقابل أحدا اليوم ، ولكنه أقسم ليلزمن الباب حتى تأذن له .

يزيد : لأصرفنّه عن بابك يا أمير المؤمنين .

عمر : كلا لا تفعل .

يزيد : إنك متعب يا أمير المؤمنين ، وهذا فظ غليظ القلب .

عمر : لا بأس يا يزيد . ائذن له يا أسلم .

(يخرج أسلم ثم يدخل عيينة بن حصن)

عيينة : منذ كم اتخذت الحُجَّاب على بابك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ويلك ! ألا تسلّم أولا عند دخولك ؟

عيينة : ذاك لو أذنت لى ولم تتركنى كالكلب على بابك .

عمر : ما زلت يا عيينة جافيا سيء الأدب كما كنت .

عيينة : بل ما زلتم تتجاهلون أنى سيد قومى .

عمر : أجل أنت الأحمق المطاع .

عيينة : أيُّنا أسوأ أدبا ؟ أتشتمنى يا عمر وأنا فى بيتك ؟

عمر : ويلك ! ذاك رسول الله ﷺ هو الذى سماك الأحمق المطاع . ألم يبلغك ذلك ؟

عيينة : ذلك لأنى اقتحمت بيته بغير استئذان ، وأنا لم أقتحم اليوم بيتك . ولم يقلها وأنا فى بيته إنما قالها بعد ما انصرفت .

عمر : إنما ذلك من حيائه ﷺ .

عيينة : بل من حسن أدبه .

عمر : صدقت ، ولكنك لن تجد منى يا عدو الله إلا ما تستحق من الشدة والزجر . اجلس الآن ماذا تريد ؟

عيينة : أريد أن أحادثك فى أمر .

عمر : هات ما عندك .

عيينة : وهذا الذى ينظر شزرا إلىّ ؟

عمر : ما شأنك به ؟

عيينة : ماذا يصنع هنا عندك ؟

عمر : ليس من شأنك .

عيينة : لا أريد أن يطَّلع على سرى .

عمر : هذا يزيد بن أخت النمر عضدى وعيبة سِرى .

عيينة : ليس لى هو بعضد ولا بعيبه سر .

عمر : (**ينظر إلى عيينة مليا ثم يقول ليزيد**) أخلنا يا يزيد .

يزيد : يا أمير المؤمنين ، هلا أحلته علىّ فأقضى له حاجته ؟

عيينة : ويلك أأنت أمير المؤمنين ؟

يزيد : (**يكظم غيظه**) أنا خادم أمير المؤمنين ، وستجد عندى ما تحب .

عيينة : سبحان الله ! لا أريد إلا أمير المؤمنين .

عمر : اتركنا يا يزيد .

(**ينهض يزيد لينصرف وهو ينظر إلى عيينة**)

عيينة : تملَّ يا هذا من وجه الأحمق المطاع قبل أن تنصرف !

يزيد : آه لولا مكان أمير المؤمنين !

(**ينظر إليه عمر فيخرج**)

عيينة : واذلاه ! أصبح كل صغير وكبير يتوعدنى . ليت لأبى عينا ترى ماذا جرى لابن الأشياخ الشُّمّ بعده !

عمر : إذن لرأت عيناه ما ساءه . دعنى يا عدو الله من دعوى الجاهلية ، وهات ما حاجتك ؟

عيينة : ألا تعرف يا عمر ما حاجتى ؟

عمر : (**ينظر إليه**) بلى أعرف حاجتك .. والله لئن رمتها ليخزينك الله .

عيينة : ما أراك إلا أبعدت !

عمر : كذبت . والله يا عيينة لو سابقتنى لسبقتك . ولو صارعتنى لصرعتك . ولو أردت لحملتك بيدى هاتين فرميتك من هذه الكوة إلى الطريق .

عيينة : سلْ بى يا عمر . إنى قتلت كُرزَين العقيل ولم يقدر عليه غيرى .

عمر : أليس هو الذى عَقَر أباك ؟

عيينة : بلى .

عمر : إن كنت فى سبيل الشيطان أخذت بثأر أبيك ، فإنى فى سبيل الله قتلت خالى !

عيينة : خالك شقيق أمك ؟

عمر : نعم .

عيينة : أنا يا عمر لست من يُخيفه التهديد ولا الوعيد .

عمر : وأنا لست من يهدّد بالباطل .

عيينة : أتحب رأيى فيك ؟ إنك لا تعطى الجزْلَ ، ولا تحكم بالعدل .

عمر : أراك تتعمد إغضابى لأمر تطويه ، وشر تنويه .

عيينة : إنى جئتك فى حاجة فألهيتنى عنها بأحاجيك .

عمر : بل تُخفى فى ثيابك حديدة لتجأنى بها يا عدو الله .

عيينة : (**يضطرب**) من أنبأك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أنبأتنى خائنة عينك ، وخاتلةُ يدِك .

عيينة : بل توهمت يا أمير المؤمنين من خوفك .

عمر : كلا لتعترفن بها أو لأرينك ما تكره .

(يهم عيينة أن يثب على عمر ، ولكنه يتراجع حين يسمع صوت أم كلثوم) .

أم كلثوم : (صوتها) هل عندك أحد يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم يا أم كلثوم عندى عيينة بن حصن، فهل عندك شيء تقدمينه إليه ؟

أم كلثوم : (تظهر على الباب) ما عندنا غير طبق من التمر وكسرة من الخبز .

عمر : ولا إدام ؟

أم كلثوم : لا إدام غير الملح .

عمر : هذا سيد قومه يا أم كلثوم .

أم كلثوم : ما عندنا غير ما ذكرت يا أمير المؤمنين .

عيينة : أبقيه إذن عندك . لا أريد أن آكل عندكم ولست بجائع .

أم كلثوم : علام إذن جئت فى وقت الغداء ؟

عيينة : يا هذه دعى بعلك هو الذى يسألنى إن شاء .

أم كلثوم : أهذا يا أمير المؤمنين سيد قومه ؟ (تخرج) .

عيينة : أهكذا ألسنتكم يا آل عمر ؟

عمر : مه ! يا عدو الله . هذه من آل محمد ، فقل خيرا أو فاصمت .

عيينة : صمَتُّ يا أمير المؤمنين .

عمر : ما يمنعك يا عيينة أن تتغدى معى .

عيينة : إنى ما جئت لتسكتنى عن حاجتى ببضع تمرات وكسرةِ خبز وملح .

عمر : يا عدو الله إلام تداورنى وأداورك ؟ خذ ! (يضربه بالدرة على أم رأسه) .

عيينة : (تذهله المفاجأة) ما هذا يا ابن الخطاب ؟

عمر : (**يضربه الثانية**) قل يا أمير المؤمنين (**يهدده بالثالثة**) .

عيينة : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ألست تحاول منذ دخلت عندى أن تستثير غضبك ؟ فهأنذا قد أثرته لك فأرنى يا عدو الله ما عقدت عليه عزمك . أم تريد المزيد بعد فأزيدك ؟

عيينة : (**فى اضطراب**) حسبك يا أمير المؤمنين . أقلنى .

عمر : كلا والله لا أقيلك حتى تذكر لى سببا آخر لمجيئك اليوم فأعذرك به .

عيينة : أو شكوى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أو شكوى .

عيينة : أو حاجة ؟

عمر : أو حاجة .

عيينة : يا أمير المؤمنين أتذكر تلك الأرض السبخة التى أقطعَنيها خليفة رسول الله ؟

عمر : (**مقاطعا**) كلا ما أقطعها لك بعد .

عيينة : لقد كتب لى بها كتابا .

عمر : ما كان لينفذ حتى يشهدنى عليه ، وقد اعترضت ومزقت الكتاب .

عيينه : كأنما كنت أنت الخليفة من دونه .

عمر : (**يترقرق الدمع فى عينيه**) هكذا كُنا أنا وأبو بكر . يرحم الله أبا بكر .

عيينة : لكنك ظلمتنى يا أمير المؤمنين بما فعلت .

عمر : كلا يا عيينة ، لو كان ما أقرنى عليه أبو بكر .

عيينة : كنت أقوى منه فغلبته على أمره .

عمر : معاذ الله ما كنت اقوى قط من أبى بكر .

عيينة : كل الناس تقول ذلك .

عمر : لا تصدق يا عيينة كل ما يقال . إنك ارتددت يا عيينة فيمن ارتدّ بعد وفاة رسول الله .

عيينة : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ولحقت بطليحة بن خويلد وآمنت به ؟

عيينة : ولكنى رجعت إلى الإسلام بحمد الله . حتى طليحة نفسه رجع إلى الإسلام واستشهد فى سبيل الله .

عمر : اسمع يا عيينة ما أقول لك .. لقد اعترضت على أبى بكر فى قتال أهل الردة بكل ما أوتيت من قوة وعنف ، فلم يرجع عن رأيه إذ اعتقد أنه الحق بل أصر عليه حتى ردّ الله به الإسلام . ولولا قوة أبى بكر وصلابته فى الحق لضاع الإسلام .

عيينة : لا شأن لى بما كان بينك وبين أبى بكر ، ولكن هل ترى من العدل يا أمير المؤمنين أن تصير تلك الأرض اليوم جنة خضراء ، ولا تكون لى ولا للمسلمين بل لطلحة بن عبيد الله ؟

عمر : إنها لم تُعط لطلحة بل اشتراها بماله من المسلمين ، ثم استصلحها .

عيينة : أنا كنت أولى بشرائها من طلحة وأحوج إليها منه .

عمر : ومن أين لك المال ؟
عيينة : ومن أين لطلحة يا أمير المؤمنين وأمثال طلحة ؟
عمر : من عطائهم .
عيينة : بل مما يفضل من عطائهم .
عمر : أجل ، مما يفضل من عطائهم .
عيينة : فعلام لا يفضل من عطائى أنا شىء يا أمير المؤمنين ؟ أليس ذلك لأن عطاءَهم أوسع ؟
عمر : اللهم بلى .
عيينة : أوليس ذلك لأنهم من السابقين وأنا من المتخلفين ؟
عمر : اللهم بلى .
عيينة : أفترى من العدل يا أمير المؤمنين أن يبقى عطاء السابقين كبيرا حتى بعدما صاروا أغنياء ، ويبقى عطاء المتخلفين صغيرا حتى بعدما أصبحوا فقراء ؟
عمر : ويلك يا عيينة أنى لك هذا ؟
عيينة : أغضبك قولى يا أمير المؤمنين ؟
عمر : لا بل أعجبنى .. امض يا عيينة فى حديثك .
عيينة : إنك لتذكر يا أمير المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يغدق علينا المال ويؤثرنا به على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .
عمر : أجل كان ﷺ يتألف قلوبكم ويكل الآخرين إلى ما فى قلوبهم من إيمان .
عيينة : فقد انقلبت الآية يا أمير المؤمنين اليوم .

عمر : كيف ؟
عيينة : صار السابقون إلى الإسلام هم المؤلّفة قلوبهم !!
عمر : هيه يا عيينة بن حصن . لقد نطقت بالحق من حيث أردت الباطل .
عيينة : (فرحاً) أحقا يا أمير المؤمنين أعجبك ما قلت ؟
عمر : نعم .. لقد كان عَرضَ لى مثل هذا الخاطر وسألت الله أن يُلْهمنى الصواب فيه ، وما أرى إلا أن الله قد استجاب لى فساقك اليوم إلىَّ لتزيدنى به إيمانا ويقينا .
عيينة : يا أمير المؤمنين فماذا أنت فاعل ؟
عمر : تكتم عنى يا عيينة إلى حين ؟
عيينة : نعم .
عمر : والله لئن عشت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأوّلهم ، ولأجعلنهم رجلا واحدا .
عيينة : أتسوى يا أمير المؤمنين يومئذ بينى وبين طلحة والزبير ؟
عمر : نعم .
عيينة : إذن والله يسعد الناس جميعا يا أمير المؤمنين ، ولا يبقى فيهم من شانئ ولا حاقد .
عمر : وتنتهى يا عيينة عن الخمر ؟
عيينة : قد انتهيت عنها يا أمير المؤمنين من قديم .
عمر : بل تعاودها بعد يا عيينة . إنى أعرف أثرها فى الشاربين .
عيينة : لا والله .
عمر : كلا لا تحلف .

عيينة : من أين أجدها يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لا تكذبني يا أخي .

عيينة : (**تدركه الرقة**) يا أخي ! تقول لي يا أخي يا أمير المؤمنين .

عمر : أنت أخي في الله يا عيينة .

عيينة : (**يبكي**) تبت إلى الله يا أمير المؤمنين . والله لا أعود إلى شربها أبدا .

عمر : تحب أن تتغذى معي الآن ؟

عيينة : لا يا أمير المؤمنين ، بل ائذن لي لأنصرف .

عمر : إذا شئت يا عيينة (**ينهض**) .

عيينة : (**يتوجه نحو الباب لينصرف ولكنه يعود ويجهش بالبكاء**) يا أمير المؤمنين .

عمر : ما خطبك يا عيينة ؟ ماذا يبكيك !

عيينة : لقد جئت اليوم حقاً وأنا أنوى اغتيالك .

عمر : دع عنك هذا فقد نجّاك الله منه .

عيينة : سامحني يا أمير المؤمنين .

عمر : قد سامحتك من قبل .

عيينة : وعندي نصيحة .

عمر : هاتِ فإني سامع .

عيينة : اطردْ العَجَم جميعا يا أمير المؤمنين من المدينة .

عمر : ويحك ! ليس لنا ذلك يا عيينة بعد ما صلّوا إلى قبلتنا وتكلموا بلساننا ورضوا بعهدنا وذمتنا .

عيينة : إنهم قوم لا عهد لهم ولا ذمة .

عمر : رويدك لا تجعلنى أسيء الظن بك مرة أخرى .

عيينة : فاحذرْهم إذن على نفسك يا أمير المؤمنين ، فعَسَى يقتلك رجل منهم .

عمر : (**ضاحكا**) أو من غيرهم ؟

عيينة : بل منهم يا أمير المؤمنين ، منهم بخنجر مسموم .. فى الموضع (**يضع أصبعه فى مَراق بطنه**) .

عمر : مه يا عيينه لاتثيرن فتنة فى الناس .

عيينة : والله إنى لأحبك يا عمر وأخشى عليك .

عمر : وأنا أحبك يا عيينة ، ولكنى لا أخشى عليك .

عيينة : اتّخِذْ لك حرسا يحمونك من كيدهم .

عمر : ويحك يا عيينة ، ألم تجئ اليوم لتغتالنى فعصمنى الله منك

عيينة : بلى ولكنّ هؤلاء العجم ..

عمر : لسوف يعصمنى الله منهم كما عصمنى منك .

(**ستـــار**)

المشهد الثالث

بهو فى قصر ماهويه مرزُبان مَرْو الشاهجان .
يرفع الستار عن ماهويه وزوجته أرسان .

أرسان : يعجبك صنيعه يا ماهويه؟ هذا الشريد الطريد؟

ماهويه : ماذا فعل أيضا؟

أرسان : ما زال يلاحقنى بغزله حتى اليوم . يعتبرنى كأنى جاريه من جواريه .

ماهويه : لم يزل يحسب نفسه شاهنشاه كما كان .. يملك كل شيء فى فارس ويفعل كل ما يريد .

أرسان : وتسكت أنت على ذلك؟

ماهويه : لا بأس! لنصبر قليلا يا أرسان عليه .

أرسان : كلا لن أحتمله بعد اليوم .

ماهويه : لقد احتملناه طويلا يا أرسان .

أرسان : ذاك إذ كان لنا مطمع فى الكنوز التى أودعها عندك . أما اليوم فلم يبق لنا فيها مطمع .

ماهويه : وما ذنبه هو يا أرسان؟ إن أهل فارس هم الذين هدّدونى بالقتل إن لم أمنعه من أخذ شيء منها ، وأحفظها لهم كاملة .

أرسان : إذن فما الذى يضطرنا أن نحتمل نزواته وكبرياءه التى لا تطاق؟

ماهويه : ماذا اصنع؟ أأطرده من قصرى؟

أرسان : ماذا يمنعك؟

ماهويه : وخاقان ملك الترك الذى نزل ضيفا عليه؟

أرسان : عليه هو أم عليك؟

ماهويه : (**ضاحكا**) عليه هو عندى.

أرسان : اطردهما معا.

ماهويه : صه! هذا وزير خاقان قد أقبل.. انسحبى يا أرسان.

(**تخرج أرسان ويدخل طرخان**).

طرخان : (**يفخم الكلمات**) مولانا الخاقان.

ماهويه : قادم؟

طرخان : نعم، قادم.

ماهويه : أهلا وسهلا.

(**يدخل الخاقان**).

ماهويه : مرحبا بمولاى الخاقان.. لعلك سعيد بالإقامة فى دارنا.

خاقان : مع ملككم هذا الكذاب؟ يوك يوك.

ماهويه : تفضل يا مولاى.. اجلس.

خاقان : أنا لا أريد الجلوس إليك.. أنا أريد يزدجرد أين هو؟

ماهويه : فى جناحه يا مولاى.

خاقان : قل له يحضر لمقابلتنا هنا فى البهو.

ماهويه : سأقول له يا مولاى.

خاقان : فى الحال.

ماهويه : فى الحال (**يخرج**)

خاقان : طرخان .

طرخان : نعم يا مولاى .

خاقان : أنت موقن أن كنوزه فى هذا القصر الذى نحن فيه ؟

طرخان : نعم ، الناس جميعا تقول ذلك .

خاقان : ماذا لو أخذناها منه بالقوة ؟

طرخان : وكيف نحملها يا مولاى بعد ذلك ؟ لتقومن بيننا وبين أهل فارس حرب .

خاقان : صدقت يا طرخان .. نريد أن نعود إلى بلادنا سالمين .

(يعود ماهويه ومعه يزدجرد وفرخزاد وزيره) .

يزدجرد : نعم يا صديقى ملك الترك . ماذا تريد منى ؟

خاقان : ألا تعرف ماذا أريد منك يا يزدجرد ؟

يزدجرد : أخبرنى .

خاقان : كنوزك . الكنوز التى وعدتنى بها يوم جئت تستغيث بى فى سمرقند .

يزدجرد : ليس فى وسعى أن أخرجها الآن يا خاقان ، وإلا استولى عليه العرب .

خاقان : وتريد أن تبقيها حتى تقع فى أيديهم ؟

يزدجرد : كلا ، بل سأنتظر حتى تأتى اللحظة المناسبة .

خاقان : لكنى لا أستطيع أن أنتظر ، لقد مر بى أكثر من شهر هنا فى فارس .. إنى راحل .

يزدجرد : قبل أن تطرد هؤلاء العرب من بلدى ؟

خاقان : أطردهم ؟ بعد ما استولوا على كل شبر فى بلدك ؟

يزدجرد : أنت وعدتنى بذلك .

خاقان : أنت لم تصارحنى بالحقيقة . أنت وصفتهم لى بغير صورتهم .

يزدجرد : وعرفتهم اليوم على حقيقتهم ؟

خاقان : نعم .

يزدجرد : أفلا تخشى منهم أن يعبروا النهر إلى بلدك ؟

خاقان : إن ملكهم فى جزيرة العرب يمنعهم من ذلك .

يزدجرد : أوَقد غرك ذلك من عمر ؟ لقد كان يأمرهم ألا يتجاوزوا حدود العراق إلى فارس ، فانظر كيف توغلوا اليوم فى خرسان .

خاقان : ما فعلوا ذلك إلا حينما نقضتم العهد الذى بينكم وبينهم .

يزدجرد : من قال لك ؟

خاقان : قد عرفت كل شىء .

يزدجرد : من تلك الرسالةِ التى أرسلها إليك قائدهم الأحنف ؟

خاقان : نعم .

يزدجرد : وصدقت ما جاء فى رسالته ؟

خاقان : كيف لا ، وقد رشقها فى سهم لو شاء أن يقتلنى به لفعل ؟

يزدجرد : وما يدريك أنه ما كان يقصد قتلك ؟

خاقان : قل له يا طرخان ، اشرح له ما حدث .

طرخان : لقد اتضح لنا أنه رمى سهمه ذاك من مكان جدّ قريب .

يزدجرد : وتركتموه مع ذلك يفلت ؟

طرخان : إنه لم يبرح مكانه بل نادانا إلى مبارزته ، فتصدى له ثلاثة من أشجع رجالنا فقتلهم واحدا بعد واحد ، ثم انطلق على جواده فكأنما ابتلعته الأرض .

يزدجرد : (**لخاقان**) وداخلك الخوف منهم بعد ذلك ؟

خاقان : (**غاضبا**) اسكت ! لا يوجد فى الأرض من يداخلنى الخوف منه ، ولكنى اقتنعت ألا جدوى من قتالهم اليوم وأنك استغثت بعد فوات الأوان .

يزدجرد : والآن ماذا تريد منى ؟

خاقان : الكنوز .

يزدجرد : بأى حقّ ؟

خاقان : أنا لا أريدها لنفسى ، وإنما أريد أن أحفظها لك عندى قبل أن تقع فى أيدى هؤلاء العرب .

يزدجرد : (**فى حرقة**) كلُّ من يطمع فيها يقول لى مثل هذا القول !

خاقان : لا تنس أنك تركت أهلك وعشيرتك وحاشيتك عندى فى سمرقند !

يزدجرد : تريد ثمن الضيافة ؟

خاقان : أريد الوفاء بالوعد .

يزدجرد : اسبقنى أنت وسألحق بك .

خاقان : والكنوز ؟

يزدجرد : ستكون معى .

خاقان : إياك أن تكذب .

يزدجرد : أنت ترى ألا بقاء لى هنا ، وألا مناص لى من عبور النهر إلى بلدك . أفتظنني أتركها لأعدائى العرب أو للسفلة من أهل فارس والرعاع ؟

خاقان : (**ينهض**) تذكر الرهينة التى عندى من أهلك وعيالك وحاشيتك . هلم يا طرخان .

(**يخرج ويخرج طرخان معه**) .

فرخزاد : أحسنت يا مولاى إذ لم تُجبه إلى ما طلب .

يزدجرد : ماذا تعنى ؟

فرخزاد : يجب أن تبقى هذه الكنوز فى بلاد فارس .

يزدجرد : (**ينظر إليه شزرا**) ليقتسمها السفلة من أهل فارس ؟

فرخزاد : خيرا من أن يستولى عليها خاقان ملك الترك .

يزدجرد : إنى لن ألحق بملك الترك .

فرخزاد : فأين تذهب يا مولاى ؟

يزدجرد : سألحق بملك الصين .

فرخزاد : وأى فرق بين هذا وذاك ؟

يزدجرد : ملك الترك فقير ، وملك الصين غنى .

فرخزاد : ألا تعلم يا مولاى أن الملك الغنى أحرص على الكنوز النادرة من الملك الفقير ؟

يزدجرد : (**فى يأس**) فماذا تشير على أن أفعل ؟

فرخزاد : إنى قد اتفقت معهم يا مولاى .

يزدجرد : مع من ؟

فرخزاد : مع أهل الحلّ والعقد من أهل فارس .

يزدجرد : دون أن تستشيرنى ؟

فرخزاد : ما كنت لتقبل يا مولاى .

يزدجرد : وتكرهنى أنت على الاتفاق مع هؤلاء الغوغاء؟

فرخزاد : من أجل مصلحتك يا مولاى .

يزدجرد : مصلحتى أنا أم مصلحتك ؟

فرخزاد : مولاى إنك تعرف إخلاصى لك .

يزدجرد : كلا ما عدت اليوم أعرف شيئا . ما يدرينى ماذا تكون حقيقة قصدك ؟

فرخزاد : مولاى ! أبعد كل ما فعلت من أجلك تتهمنى ؟

يزدجرد : ماذا فعلت لى يا هذا ؟ أتمن علىّ أنك لازمتنى طوال هذه المدة ؟

فرخزاد : وتقبلت إهاناتك وسفاهاتك ، واحتملت نزواتك وبدواتك ؟

يزدجرد : هذا يرجع عندى أن لك مأربا كبيرا تسعى لتحقيقه .

فرخزاد : صدقت يا شاهنشاه . الإخلاص لمن لا يستحق الإخلاص مظنة !

يزدجرد : اسمع يا ماهويه ماذا قال عنى .. اشهد عليه .

فرخزاد : إنى ما قلت إلا الحق .. الإخلاص لمن لا يستحق الإخلاص مظنة .

يزدجرد : أنا لا أستحق الإخلاص ؟

فرخزاد : أحرى بك أن توجه هذا السؤال إلى كل من تخلى عنك من رجالك ، لا إلى الرجل الوحيد الذى بقى إلىّ جانبك !

يزدجرد : (**بعد صمت يسير**) وعلى أى شيء اتفقت معهم؟

فرخزاد : على أن تحمل شيئا من كنوزك معك، وتدع الباقى لأهل فارس.

ماهويه : هذا مكسب كبير يا مولاى أحرزه وزيرك لك.

يزدجرد : كلا لا أقبل أبدا.

ماهويه : اقبل يا مولاى خيرا لك.

يزدجرد : ها فهمت الآن.. إنكما متواطئان علىّ. كلاكما وضيع الأصل من السفلة، ولذلك أيدتما مطلب السفلة.

فرخزاد : مولاى احفظ لسانك! لولا دفاعى عنك ودفاع المرزبان ماهويه لوثب عليك هؤلاء الذين تسميهم سفلة.

(يدخل جماعة من العامة يتقدمهم رجل منهم)

يزدجرد : (**مغضبا**) من هؤلاء؟ كيف دخلوا علينا بغير إذن؟ ماهويه!

الرجل : أنا أجيبك يا يزدجرد.. نحن مبعوثون من أهل فارس.

يزدجرد : تدخلون بغير إذن؟

الرجل : قد استأذنا صاحب القصر من قبل.

يزدجرد : أحقا يا ماهويه؟

ماهويه : ليس فى إمكانى أن أمنعهم يا مولاى.

يزدجرد : أأنت مرزبان؟

الرجل : لا.

يزدجرد : دهقان؟

الرجل : لا.

يزدجرد : من البيوتات ؟
الرجل : لا .
يزدجرد : فكيف تريد أن تتكلم مع ملك الملوك ؟
الرجل : كنت ملك الملوك فيما مضى يا يزدجرد . أما اليوم فما أنت إلا صعلوك متشرد تتسكع من بلد إلى بلد . وأنا لا أتكلم عن نفسى ولكن عن أهل فارس .
يزدجرد : وماذا تريدون ؟
الرجل : الكنوز والأموال التى خبأتها .
يزدجرد : ما شأنكم بكنوزى وأموالى ؟
الرجل : إنها أموال أهل فارس .
يزدجرد : أموال آبائى وأجدادى ورثتها عنهم .
الرجل : كانت عند آبائك وأجدادك حين كانوا ملوك فارس .
يزدجرد : وهى اليوم عندى . أنا ملك فارس .
الرجل : كلا لست أنت اليوم بملك فارس .
يزدجرد : فمن ملكها اليوم عندكم؟ عمر فى بلاد العرب ؟
الرجل : عمر هذا ليس بملك ألبتة ، ولا فى بلاد العرب ذاتها .
يزدجرد : فمن إذن ملككم اليوم؟
الرجل : كلا لا ملك لنا اليوم ، وإنما أمورنا بأيدى أهل الحلّ والعقد.. وقد أجمعوا على أن يمنعوك من إخراج كنوز بلادهم إلى بلاد الترك .
يزدجرد : أتريدون أن يأكلها هؤلاء العرب ؟

الرجل : إن أصررت على الهرب بها فستقع فى أيـــديهم لأ
يترصدون طريقك . أما إن تركتها بأيدينا وصالحناهم ع
الجزية والخراج فإنها ستبقى لنا ، وليس للعرب منا غ
جزيتهم وخراجهم على الأرض .

يزدجرد : وماذا تصنعون أنتم بهذه الكنوز ؟

الرجل : سننفقها فى تحسين أحوالنا وإصلاح مرافقنا .

يزدجرد : كنوز كسرى لا يصح لأحد أن يبيعها .

الرجل : فما بالك تريد أن تبيعها خارج فارس ؟

يزدجرد : كلا أنا لن أبيعها أبدا .

الرجل : فماذا تصنع بها ؟

يزدجرد : سأحتفظ بها هناك ، ثم أعود بها حين ننتصر .

الرجل : هيهات ! لينتزعنَّها ملك الترك من يدك .

(يدخل أحد الجنود فزعا) .

الجندى : أدركنا يا سيدى المرزبان .

ماهويه : ماذا حدث ؟

الجندى : طلائع جيش العرب قد أقبلت من بعيد !

الجميع : طلائع جيش العرب ؟!

الرجل : الآن وجبت . يا فرخزاد علام عول شاهنشاهك ؟

فرخزاد : ائذن للمرزبان ماهويه أن يسلِّم إلينا ما اتفقنا عليه .

الرجل : أعطه خُمس العُشر يا ماهويه ليهرب به حيث شاء .

يزدجرد : خُمس العُشر ؟!

الرجل : ليس لك عندنا غيره .

فرخزاد : هذا ما اتفقنا عليه يا مولاى .

يزدجرد : هذه خيانة .

فرخزاد : هيا يا مولاى قبل أن يأخذ العرب علينا الطريق .

يزدجرد : خيانة ! خيانة ! فى كل ! ومن كل إنسان !

(ستـــار)

المشهد الرابع

بهو صغير فى بيت النار بمدينة اصطُخر.
يرى المُوبَذان صاعدا من باب سرى على أرض البهو ومعه راهويه. يحكمان إغلاق الباب السرّى وتغطيته بالسجاد الغليظ، ثم يجلسان عليه.

الموبذان : رأيتها يا راهويه؟ اطمأن الآن قلبك؟

راهويه : الحق أنى ما عرفتها فى أول الأمر. لشد ما تغيرت.

الموبذان : أتدرى كم مرّ عليها عندنا اليوم؟

راهويه : أربع سنين فيما أظن.

الموبذان : وخمسة أشهر.

راهويه : ولم تقدروا أن تعيدوها إلى دين آبائها؟

الموبذان : لا سبيل إلى ذلك يا راهويه.

راهويه : عذبتموها؟

الموبذان : بمختلِف الوسائل. جلدناها بالسياط، وضربنها بالعصى، وكويناها بالنار، ونزعنا الشعرِ من رأسها والأظافر من يديها ورجليها.

راهويه : ولم تكفر بدينها؟

الموبذان : كان يغشى عليها وهى تردد مع ذلك:
لا إلـه إلا الله. محمد رسول الله.

راهويه : لقد ظن مولاى أنها قد رجعت إلى صوابها من زمن بعيد .

الموبذان : لقد شهدت بنفسك أننا لم نأل جهدا فى ذلك .

راهويه : أجل سأبين له كل شىء .

الموبذان : وأين يقيم الآن مولاك ؟

راهويه : أعفنى يا سيدى الموبذان .

الموبذان : لا تخف فإنى على السر أمين . إنى أنا الموبذان الأكبر يا راهويه حارس بيت أناهيذ .

راهويه : صدقت . أنت حافظ أسرار النار المقدسة . إن مولاى يقيم الآن فى خراسان متنكرا لا يعرفه أحد .

الموبذان : وأبوه الهرمزان ما زال يكاتبه ؟

راهويه : أبوه الهرمزان قد أسلم يا سيدى .

الموبذان : أعرف أنه أسلم ، وأنه مقيم حتى اليوم فى المدينة عند عمر .

راهويه : فكيف تنتظر أن يكاتبه ؟

الموبذان : بلغنى أن الهرمزان كتب إليه مرة أن يقدم عليه بالمدينة ليقيم بها معه ، فأبى .

راهويه : أجل ، فلم يكتب إليه مرة أخرى منذ ذلك اليوم .

الموبذان : إذا عدت إلى سيدك بسطام فبلغه تحياتى ودعواتى له .

راهويه : سأفعل يا سيدى الموبذان .

الموبذان : وأين الأمانة التى بعثها لنا معك ؟

راهويه : الأمانة ؟

الموبذان : كيس الذهب .

راهويه : تقصد النذر يا سيدى ؟

الموبذان : نعم نعم، النذر.

راهويه : ها هو ذا يا سيدى الموبذان. (**يناوله الكيس**).

الموبذان : كم؟ ألف دينار؟

راهويه : نعم، ولو استطاع لأرسل لك أكثر.

الموبذان : مقبولة منه على كل حال.

(تسمع جلبة فى الخارج، ويدخل جماعة من العرب مدججون بالسلاح يتقدمهم المعنى بن حارثة وبشير بن الخصاصة وقباذ بن عبد الله أمير اصطخر فيراع الموبذان).

قباذ : أنت الموبذان؟

الموبذان : نعم يا سيدى.

قباذ : ومن الذى معك؟

الموبذان : هذا زائر للبيت من المؤمنين.

قباذ : ما اسمه؟

الموبذان : نحن لا نسأل الزوار عن أسمائهم.

راهويه : اسمى أبانوه يا سيدى.

الموبذان : هل من خدمة أستطيع تقديمها إليكم؟

قباذ : بلغنا أنكم تخفون فى بيت ناركم هذا امرأة مسلمة.

الموبذان : ليس عندنا يا سيدى غير كاهنات بيت النّار.

المعنى : اسمها شيرين.

الموبذان : هذا اسم فارسى.

قباذ : وأنا أيضا فارسي الاسم . أنا قباذ بن عبد الله أمير اصطخر .

الموبذان : تشرفنا يا سيدى الأمير . ليس فى كاهناتنا من اسمها شيرين .

قباذ : تذكر أيها الموبذان الذمة والعهد .

الموبذان : أجل نحن فى ذمة الإسلام وذمة أمير المؤمنين .

قباذ : ما جزاؤكم إن وجدناها عندكم؟

الموبذان : افعلوا بنا ما شئتم .

قباذ : فتشوا المكان أيها الرجال .

(يتفرق الرجال يمينا وشمالا ويخرجون ما خلا قباذ) .

الموبذان : لولا رغبتى فى رضائكم لاعترضت على تفتيشكم لهذا البيت المقدس .

قباذ : ونحن ما كنا لنفتشه لو لم يبلغنا ذلك الخبر .

الموبذان : لعلها وشاية كاذبة من أحد حسادى من الموابذة .

قباذ : وعلام يحسدونك ؟

الموبذان : على منصبى هذا فى بيت أناهيذ أعرق وأقدس بيوت النار جميعا فى فارس ، ثم على ما أتمتع به من ثقة المسلمين .

(يعود الرجال) .

قباذ : ماذا وراءكم؟

الرجال : فتشنا كل ركن فى المعبد فلم نجد لها أى أثر .

الموبذان : ألم أقل لكم ؟

راهويه : أنا أدلكم عليها أيها الرجال . إنها محبوسة فى قبو أسفل هذا البهو الذى نحن فيه **(يُزيح السجاد ويفتح الباب السرى وينزل فيه)** هلم يا معنى بن حارثة انزل معى إلى زوجتك

(ينزل المعنى خلف راهويه) .

قباذ : اقبضوا على هذا الموبذان الغادر .

(يقبض الرجال عليه ويشدونه وثاقا) .

الموبذان : أيها الأمير ، هذا الرجل هو الذى جاءنا بها منذ أربع سنين قبل أن نصير نحن فى ذمة المسلمين .

قباذ : أفلا بلغتنا عنها بعدما صرتهم فى ذمتنا ؟

(يصعد راهويه وخلفه شيرين وقد تغيرت هيئتها ثم المعنى) .

شيرين : كيف حال أمير المؤمنين يا قوم ؟ كيف حال أمير المؤمنين ؟

بشير : أمير المؤمنين بخير يا شيرين .

شيرين : أمير المؤمنين عمر ؟

بشير : أجل هو بخير .

شيرين : الحمد لله إذ رد عنه كيد الكائدين .

المعنى : ألم أقل لك يا شيرين ؟ **(يأخذها بيدها وينتحى بها جانبا) .**

راهويه : أين كيس الذهب ؟ أعطنى كيس الذهب **(يأخذ الكيس) .**

الموبذان : خدعتنى وبعتنى بهذا الكيس . عليك لعنة الإلهة أناهيذ أيها العبد المجوسى الخائن .

راهويه : كذبت ، لست بعبد ولا بمجوسى ولا خائن . أنا اليوم مسلم حر ، وهذا الكيس ليس لى وإنما هو للأمير قباذ ، وها أنذا أرده إليه **(يناول الكيس لقباذ) .**

قباذ : أشيروا عليّ يا قوم فى هذا الموبذان الذى اتخذ من حماية المسلمين لمعبده هذا، وسيلة لحبس المسلمات وتعذيبهن فيه.

المعنى : إنى أرى أن يهدم هذا المعبد على رأسه ويسوى بالتراب.

شيرين : هذه أقل عقوبة يستحقها.

بشير : كلا أيها الأمير. إن المعبد لأهل هذا البلد من المجوس ولهم ذمة فلا يجوز هدمه، ولكن ينحى هذا الموبذان ويوضع مكانه غيره ممن يرضاه المجوس.

قباذ : أهذا حكم الله يا صاحب رسول الله؟

بشير : نعم.

(ستـــار)

المشهد الخامس

فى بيت جفينة ليلا وعنده أبو لؤلؤة وكعب الأحبار، وقد جلسوا حول سراج ضئيل لا يكاد يصدع ظلمة المكان.

كعب : خبِّرنى يا أبا لؤلؤة هل بقى من أرض فارس شىء بعد فتح خراسان ؟.

أبو لؤلؤة : لا يا كعب.

كعب : الحمد لله.

أبو لؤلؤة : (**منكرا**) الحمد لله ؟

كعب : إذ لم يبق للمسلمين من أرض يفتحونها بعد.

جفينة : إلا أن يعبروا النهر إلى أرض الترك وأرض الصين.

كعب : إنها إذن لكارثة.

جفينة : إذا استولى المسلمون على أرض الترك وأرض الصين؟

كعب : نعم.

أبو لؤلؤة : (**محتدا**) أيها اليهودى، أوَليس استلاؤهم على بلاد فارس كلها كارثة عندك؟

كعب : بلى بلى يا أبا لؤلؤة، ولكن ذلك أمر قد تم ووقع.

أبو لؤلؤة : (**يتنهد بحرقة**) آه! قاتل الله الهرمزان. لولا جبنه فى الحج يوم نهاوند لما تم هذا الأمر وما وقع.

كعب : دعنا يا بنى مما مضى فما مضى ثاب .

جفننة : صدقت يا كعب . هل حضرت أمس إذ جاء بشير الفتح من عند الأحنف بن قيس؟

كعب : نعم .

جفينة : وسمعت خطبة عمر؟

كعب : وحفظتها عن ظهر قلب .

جفينة : أنا سمعتها مثلك ولكنى لم أحفظها . أسمعنا ماذا قال عن مُلك المجوسية؟

كعب : ألا إن الله قد أهلك مُلك المجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم .

أبو لؤلؤة : واكبداه ! لقد أكل عمر كبدى !

جفينة : أكمل يا كعب .

كعب : ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم .

أبو لؤلؤة : (**صائحا**) حسبك يا كعب كفى !

كعب : (**ماضيا**) لينظر كيف تعملون .

أبو لؤلؤة : (**يضع يده على فم كعب**) قلت لك كفى !

جفينة : دعنا من خطبته الآن . أتذكر يا كعب ماذا قال عن الأحنف ابن قيس؟

كعب : أثنى عليه ثناء جما وسماه سيد أهل المشرق .

جفينة : ألا ترى أنه غالى فى الثناء عليه؟

كعب : كلا يا جفينة . أليس الأحنف هو الذى قهر خاقان ملك الترك ورده خائبا إلى بلده ، فقضى بذلك على أمل يزدجرد فى نجدته إلى الأبد ؟

(يسمع قرع خفيف على الباب) .

جفينة : **(ينهض)** لعله الهرمزان **(يخرج ثم يعود ومعه الهرمزان)** .

أبو لؤلؤة : **(فى جفاء وغلظة)** ماذا أخرك ؟ كلنا حضر فى الموعد سواك .

الهرمزان : حِلمك يا فيروز .

أبو لؤلؤة : لا تعتذر بصلاة العشاء فقد صلاها كعب أيضا معكم .

جفينة : وأنا أيضا صليتها معهم .

الهرمزان : اسمعوا قولى أولا ثم لومونى أو اعذرونى .

أبو لؤلؤة : تكلم .

الهرمزان : كان ابنى القماذبان يصلى معنا فى المسجد ، فلما انسللت خارجا لحنى وتبعنى فاضطررت أن أماشيه حتى أوصلته إلى البيت ، فلما وضع ثيابه انتحلت له ولأمه عذرا فخرجت .

كعب : لا أكتم أنى أشعر برهبة خفيَّة .

الهرمزان : م يا كعب ؟

كعب : من اجتماعنا بالليل فإنه مريب .

أبو لؤلؤة : لقد جئنا فرادى بعد صلاة العشاء ولم يرنا أحد .

كعب : هذه الذُّبالة يجب إطفاؤها .

أبو لؤلؤة : ونقعد فى الظلمة ؟

كعب : خيرا من أن يطرقنا عمر فيجدنا هكذا مجتمعين .

أبو لؤلؤة : عمر ؟

كعب : ألا تعلم أنه يعس بالليل ، فإذا رأى سراجا موقدا قرع الباب على صاحبه ؟

أبو لؤلؤة : وما يدعوه إلى ذلك ؟

كعب : إنه نهى عن السرج فى الليل خشية الحريق .

جفينة : لشد ما يتعب هذا الرجل نفسه .

الهرمزان : فى سبيل رعيته .

أبو لؤلؤة : والنار المقدسة لأريحنه وشيكا من هذا التعب !

كعب : أطفئ السراج يا جفينة !

أبو لؤلؤة : كلا ، لا يطفئه غيرى !

(يطفئ أبو لؤلؤة السراج فيسود الظلام هنيهة وإذا شعاع من القمر يسقط من كوة فى الحجرة فيضيئها فيراع أبو لؤلؤة) .

كعب : لا ترع يا أبا لؤلؤة .. هذا نور القمر !

(ستــار)

المشهد السادس

فى بيت عمر بالمدينة عند أم كلثوم.ترى أم كلثوم جالسة تبكى.

عمر : (**يسمع صوته من الخارج**) انتظروا حتى أستأذن لكم على أم كلثوم.

أم كلثوم : (**تنهض**) جاء بضيوف معه (**تهم بالانسحاب إلى داخل البيت**).

عمر : (**صوته**) أم كلثوم ! أم كلثوم ! (**يدخل**) ويحك مالك لا تجيبين ؟ وىْ ! ما لعينيك حمراوين ؟ أكنت تبكين ؟

أم كلثوم : نعم.

عمر : بأبى أنت وأمى ما يبكيك ؟

أم كلثوم : هذا اليهودى كعب بن ماتع يقول إنك على باب من أبواب جهنم.

عمر : وصدقتيه ؟

أم كلثوم : قال إنه وجد ذلك فى كتاب الله التوراة.

عمر : ما شاء الله ! إنى لأرجو أن يكون ربى خلقنى سعيدا.

أم كلثوم : لا أسكت يا أمير المؤمنين حتى ترسل إليه وتكلمه.

عمر : (**ينادى**) يا أسلم ! يا أسلم !

أسلم : (**يدخل**) نعم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : اذهب إلى كعب بن ماتع فقل له أجب أمير المؤمنين الساعة .

أسلم : سمعا يا أمير المؤمنين (**يخرج**) .

أم كلثوم : ائذن لضيوفك .

عمر : إنهم خصوم وليسوا بضيوف (**بصوت عال**) ادخلوا يا قوم (**تنسحب أم كلثوم ويدخل المغيرة بن شعبة وغلامه فيروز وعبد الله بن الأرقم**) اجلس هناك يا مغيرة بن شعبة ، وأنت اجلس هناك بجواره يا فيروز .

ابن الأرقم : وأنا يا أمير المؤمنين أين أجلس ؟

عمر : أنت يا خال رسول الله تقضى معى ، فهلم اجلس إلى جوارى (**يلتفت إلى الخصمين**) ماذا فعلت يا مغيرة بن شعبة ؟ لقد ظننت أنكما تراضيتما أنت ومولاك .

المغيرة : كيف يا أمير المؤمنين ؟ إنه لم يدع لى سبيلا إلى ذلك .

عمر : ألا ترى أن مائة درهم فى الشهر كثير ؟

المغيرة : على مثله يا أمير المؤمنين ؟ نقاش نجار حداد صانع أرحية ؟ والله لو كان عند غيرى لضرب عليه ألف درهم .

عمر : لو لم يكن ثقيلا عليه لما شكاك إلىّ .

المغيرة : يا أمير المؤمنين ، لقد ظل يدفع لى هذا القدر منذ سنين فما عدا مما بدا ؟

عمر : بلغنى أنك زوجته جارية لك .

المغيرة : نعم وأصدقتها عنه من عندى .

عمر : فلعله احتاج لنفقة أهله آخر الأمر .

المغيرة : كلا يا أمير المؤمنين ، إنك لا تدرى كم يكسب من صنائعه هذه فى اليوم.

عمر : كم؟

المغيرة : خمسين درهما أو أكثر.

عمر : فى اليوم تقول أم فى الشهر ؟

المغيرة : بل فى اليوم.

عمر : أحقا يا فيروز ؟

أبو لؤلؤة : لا يا أمير المؤمنين ، إذن لما اشتكيت من مائة درهم فى الشهر.

المغيرة : لا تصدقه يا أمير المؤمنين ، إنه يكذب.

أبو لؤلؤة : بل الكاذب هو يا أمير المؤمنين.

المغيرة : والله يا أمير المؤمنين إن ما قلته لحق.

أبو لؤلؤة : ووالله يا أمير المؤمنين إنه لكاذب.

عمر : لو صح ما تزعم يا مغيرة ، فأين ينفق ما يكسب ؟

المغيرة : لا أدرى يا أمير المؤمنين .. لعله يودعه عند صاحب له.

عمر : كاتبه إذن يا مغيرة فهو خير لك وله.

المغيرة : كلا يا أمير المؤمنين ، إنه لم يعرف صنيعى فأكاتبه.

عمر : ليس لك ذلك. إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ﴾.

المغيرة : إن علمتم فيهم خيراً ، ولا خير فى هذا يا أمير المؤمنين.

عمر : ويلك ! ألم تقل آنفا إنه يكسب خمسين درهما فى اليوم؟

المغيرة : بلى .

عمر : فأى خير تريد بعد ؟

المغيرة : يا أمير المؤمنين ، إنى إن كاتبته فلن يلبث أن يدفع ما عليه فيبرح المدينة ويعود إلى فارس .

عمر : هو حر يومئذ يتوجه أين يشاء .

المغيرة : لكن الناس هنا يحتاجون إلى صنائعه ، وما جئت به إلى المدينة إلا لذلك .

عمر : دعنى من هنيهاتك يا مغيرة . إذا صار حرا فلا سلطان لأحد عليه .

المغيرة : والله يا أمير المؤمنين لتفسدن على الناس مواليهم .

عمر : قاتلك الله ! ذاك كتاب الله يدعو إلى تحرير الرقاب ويحض عليه . ألا تؤمن بكتاب الله يا ابن شعبة ؟

المغيرة : يا أمير المؤمنين افعل ما بدا لك .

عمر : قد رضى مولاك يا فيروز أن يكاتبك .

أبو لؤلؤة : كلا يا أمير المؤمنين ، لقد أكرهته أنت على ذلك .

عمر : ليس ذلك من شأنك .

أبو لؤلؤة : كلا لا أرب لى فى المكاتبة .

عمر : ويلك ! ألا تحب أن تكون حرا وتنطلق إلى حيث تشاء ، ولا يسألك أحد كم تكسب ؟

أبو لؤلؤة : إنى أريد أن تنصفنى من مولاى لا أن تعتقنى منه .

عمر : إنك تحسن الكسب ، فالعتق خير لمثلك .

أبو لؤلؤة : ليس أحد أعرف منى بما يصلحنى .

عمر : لقد كان عندى مولى يدعى أبا أمية ، فكاتبته فأصبح اليوم تاجرا غنيا فى الكوفة .

أبو لؤلؤة : قد سمعت عنه ولا أريد أن أكون مثله .

عمر : إن أمرك إذن لعجيب .

أبو لؤلؤة : أتعجب منى يا أمير المؤمنين إذا التمست ذلك ؟ لقد وسع عدلك الناس جميعا غيرى .

عمر : ويلك أى عدل تريد بعد ؟

أبو لؤلؤة : جئتك لتنصفنى فى أمر ، فإذا أنت تلهينى عنه بأمر آخر !

عمر : إنى إذن سأتحرى عنك كم تكسب فى اليوم ، فأحكم حينئذ لك أو عليك .

المغيرة : أجل ، افعل يا أمير المؤمنين فستجد أن مائة درهم فى الشهر قليل عليه .

أبو لؤلؤة : قد علمت يا أمير المؤمنين أن الضعيف لا يجد إنصافا عند أحد !

عمر : ويحك يا غلام ! لا ينبغى أن يظلم القوى لقوته كما لا ينبغى أن يظلم الضعيف لضعفه ، ولكن يؤخذ الحق من هذا ومن هذا .

المغيرة : قاتلك الله من غلام سوء . أين تجد مثل هذا الإنصاف يا ابن المجوسية ؟

عمر : دعه يا ابن شعبة . لا سبيل لك عليه حتى يتبين لى أيكما صاحب الحق .

المغيرة : هلم بنا ننصرف **(يتوجه هو وأبو لؤلؤة نحو الباب ليخرجا)**

عمر : على رسلك يا أبا لؤلؤة . بلغنى أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح .

أبو لؤلؤة : نعم ، ولكنى لا أصنعها لأحد .

عمر : ما يمنعك ؟

أبو لؤلؤة : لمن أصنعها ؟

عمر : اصنعها للمسلمين .

أبو لؤلؤة : كلا لن أصنعها للمسلمين أبدا .

عمر : ويلك يا عدو الله ما يمنعك ؟

أبو لؤلؤة : لا تطيب لهم بها نفسى ، ولكن إن شئت أنت صنعتها لك وحدك .

عمر : فاصنعها لى فهى للمسلمين ، وسأجزل لك أجرك .

أبو لؤلؤة : كلا لا أريد منك عليها أجرا . لأصنعن لك رحى يتحدث بها أهل المشرق والمغرب (**يخرج**) .

عمر : ماذا ترى فيما سمعت يا ابن الأرقم ؟

ابن الأرقم : ما رأيت كاليوم عبد سوء قط يا أمير المؤمنين .

عمر : ما أظنه إلا أوعدنى آنفا .

ابن الأرقم : أجل يا أمير المؤمنين ، فلولا اتخذت حرسا ليحموك من الأذى والاغتيال .

عمر : ويحك يا ابن الأرقم ! ما يكون لى أن أحمى نفسى بالحرس فأكون مثلا لمن بعدى يجعلونه ملكا عضوضا . ولئن أصابنى شيء لتكونن الشهادة التى أبتغيها من ربى .

(**يدخل يرفأ**)

يرفأ : هذا الهرمزان يا أمير المؤمنين قد جئتك به .

عمر : مرحبا يا هرمزان ! ادخل يا هرمزان .

(يدخل الهرمزان وابنه القماذبان) .

الهرمزان : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله (**يعانقه بشوق**) أهذا ابنك ؟

عمر : أجل يا أمير المؤمنين هذا القماذبان ابنى .. أبى اليوم إلا أن يصحبنى إليك .

عمر : (**يضرب على كتفه**) مرحبا بك يا بنى . لقد بلغنى أنك فتى صالح .

القماذبان : ادع الله لى يا أمير المؤمنين أن يجعلنى كذلك .

عمر : أما إنه ليحسن العربية خيرا منك يا هرمزان .

القماذبان : لو جاءكم أبى صغيرا يا أمير المؤمنين ، لنطق بلسانكم خيرا منى .

عمر : ما أحسن ما قلت يا بنى . إنك لذو عقل وأدب .

الهرمزان : أأرسلت فى طلبى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : بل أرسلت أسأل عنك يا أبا القماذبان ، فإن كنت مريضا رحت أعودك .

الهرمزان : لا حرمنى الله برك وعطفك يا أمير المؤمنين . ما كنت مريضا ولكنى حبست نفسى فى البيت أتحفظ القرآن مع ابنى القماذبان .

القماذبان : أجل يا أمير المؤمنين ، أنا أقرأ وهو يستمع لى على المصحف ، وهو يقرأ وأنا أستمع له .

عمر : نعم العمل هذا الذى تعملان، على ألا تفوتكما صلاة الجماعة فى مسجد رسول الله ﷺ.

الهرمزان : لو خرجت إلى المسجد يا أمير المؤمنين، لشغلتنى أمور كثيرة ليس منها بد.

عمر : منها حضورك عندى؟

الهرمزان : نعم.

عمر : أتدرى يا هرمزان ماذا جال بظنى إذ انقطعت عنى؟

الهرمزان : ماذا يا أمير المؤمنين؟

عمر : لعلك سمعت خطبتى فى الجمعة الماضية، فأشفقت أن تكون الديك الأحمر الذى نقرنى نقرتين فى منامى.

الهرمزان : يا ليتنى كنت الديك الأحمر يا أمير المؤمنين؟

عمر : ماذا تقول؟

الهرمزان : إذن لتركتك وما نقرتك!

عمر : هيهات يا هرمزان! لقد نقرنى وما تركنى، وما أراه إلا لحضور أجلى.

الهرمزان : (**يرتجف قليلا**) بل يطيل الله بقاءك يا أمير المؤمنين.

عمر : بل ادع الله لى خيرا من هذا، أن يقبضنى الله إليه غير ملوم ولا مضيَّع.

الهرمزان : (**بصوت يخالطه البكاء**) كلا يا أمير المؤمنين، بل أدعو الله لك بطول البقاء إن كان يستجاب لى دعاء.

ابن الأرقم : يا أمير المؤمنين، إنى سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر

أصابه ، فإن كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى) .

عمر : السمع والطاعة لرسول الله . اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى .

الهرمزان : ولكن ما لى يا أمير المؤمنين وما للديك الأحمر الذى رأيته فى منامك ؟

عمر : لقد قصصت منامى على أسماء بنت عميس ، فقالت : يقتلنى رجل من العجم .

القماذبان : معاذ الله يا أمير المؤمنين .

الهرمزان : نفسى فداؤك يا أمير المؤمنين .

القماذبان : إن العجم جميعا فداؤك .

(**يعود أسلم**) .

أسلم : هذا كعب بن ماتع يا أمير المؤمنين قد جئتك به .

الهرمزان : (**ينهض**) ائذن لنا إذن يا أمير المؤمنين .

عمر : إنى ما قضيت الشوق منك بعد .

الهرمزان : يوما آخر يا أمير المؤمنين إن شاء الله .

عمر : مصاحبا يا هرمزان .

(**يخرج الهرمزان وابنه**) .

عمر : دعه يدخل يا أسلم (**ينادى**) يا أم كلثوم !

أم كلثوم : (**صوتها**) لبيك يا أمير المؤمنين .

عمر : هلمى ! هذا صاحبك .. صاحب باب جهنم قد جاء .

(**يدخل كعب الأحبار**) .

كعب : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام . هلم يا ابن اليهودية ، ما حملك على ترويع أم كلثوم بنت على ؟ ماذا قلت لها فى غيابى ؟

كعب : لا تعجل علىّ يا أمير المؤمنين ، إنى ما أردت إلا خيرا .

أم كلثوم : (**على الباب**) خيرا يا ابن اليهودية ؟ أمير المؤمنين على باب من أبواب جنهم !

عمر : ألا تنتهى من أساطيرك وأكاذيبك ؟

كعب : رويدك يا أمير المؤمنين لا تعجل علىّ والذى أنزل التوراة على موسى إنا لنجدك فى التوراة على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا متّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة .

أم كلثوم : ما هكذا قلت لى أمس .

كعب : بلى يا بنت رسول الله ، ولكن لعلكِ ما وعيت .

أم كلثوم : بلى جئتنى متفجعا أمس تلطم خدك وتلدم صدرك ، وتقول لا حول ولا قوة إلا بالله .. أمير المؤمنين على باب من أبواب جهنم . واعمراه !

كعب : يا بنت رسول الله إنى أحب أمير المؤمنين ، فكيف أعلم أنه يوشك أن يلقى منيته فلا أحزن عليه ؟

أم كلثوم : الآن تذكر منيته ؟

كعب : أمير المؤمنين نفسه قد ذكرها فى خطبته الجمعة الماضية .

عمر : وجئت أنت لتكذب على الله وتزعم أنها فى التوراة ؟

كعب : لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنى دارست التوراة عقب خطبتك فوجدت ما وجدت.

عمر : ماذا وجدت ؟

كعب : وجدت ما غمني وسرني يا أمير المؤمنين فى وقت واحد.

عمر : إنك لا تلبث إلا قليلا حتى تدخل الجنة.

عمر : قاتلك الله أى شيء هذا؟ مرة فى النار ومرة فى الجنة؟

كعب : أى بدع فى ذلك يا أمير المؤمنين؟ النار تقف على بابها تذود الناس عنها فى حياتك، والجنة تدخلها بعد وفاتك.

عمر : وتجد كل ذلك فى التوراة؟

كعب : إى والذى نفسى بيده.

عمر : ها الله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟

كعب : اللهم لا، ولكنى أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك.

عمر : ما بقى عليك يا ابن اليهودية إلا أن تذكر لى فى أىّ يوم أموت.

كعب : لو شئت يا أمير المؤمنين لذكرته لك، لتعلم أنى لا أقول إلا حقا.

عمر : هات اذكره ويلك.

كعب : والذى نفسى بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى يأتى أجلك.

ابن الأرقم : هذا الشهر الذى نحن فيه؟

كعب : نعم.

عمر : ما بقى منه يا كعب غير بضعة أيام.

كعب : أجل، اعهد يا أمير المؤمنين فإنك ميت فى ثلاثة أيام.

عمر : فى ثلاثة أيام ؟

كعب : الحق من ربك فلا تكن من الممترين .

عمر : ها ، لعلك يا عدو الله قد اطلعت على شىء مما يدبره هؤلاء الأعاجم لى من كيد ، فأنى لك شيطانك اللعين إلا أن تجعله سرا من أسرار التوراة التى تكذب بها على الناس .

كعب : لا والله يا أمير المؤمنين ، وملائكته وكتبه ورسله .

عمر : ما أيسر عليك أن تحلف يا عدو الله . لا ريب عندى أنك تعلم شيئا مما يدبرون .

كعب : معاذ الله يا أمير المؤمنين ! لو اطلعت على شىء من ذلك لبلغتك إياه لتأخذ حذرك . ولو وجدت فى التوراة أن ستلقى منيتك قتلا أو اغتيالا لأنبأتك به ، ولو كان الأمر أمر توقع يا أمير المؤمنين لتوقعت أن يقتلك العرب لا العجم !

عمر : ويلك ! لتخرجن من هذا أو لأعاقبنك .

كعب : يا أمير المؤمنين ، أولا تعلم أن الناس قد سئموا حكمك واستطالوا عهدك وكرهوا عدلك وصرامتك ؟ أوَلا تذكر يا أمير المؤمنين يوم أرسلوا حفصة أم المؤمنين إليك لتلين شيئا من معيشتك ، فقد كثر المال وكثر الخير .. وهم إنما نظروا لأنفسهم فى ذلك لترتع أنت فيرتعوا مثلك ؟

عمر : يا عدو الله اكفف لسانك عن أصحاب رسول الله هؤلاء .

كعب : يا أمير المؤمنين إنى لك ناصح أمين . إن كنت تتوقع سوءا من أحد فمن هؤلاء ولا سيما بعدما سمعوا أنك تنوى فى العام القابل أن تسوى بين الناس فى العطاء وتجعلهم رجلا واحدا .

عمر : ويلك ممن سمعت ذلك ؟

كعب : سمعته من كثير .. قد انتشر ذلك فى الناس يا أمير المؤمنين .

عمر : ما أخبثك وأخبث شيطانك ! إنما تريد أن تصرفنى عن العلوج لأتهم المسلمين .

كعب : يا أمير المؤمنين لا تعجل علىّ . إنى لا أريد أن تأمن هؤلاء العلوج من الأعاجم ، ولكنى أرى أنهم أجبن من ذلك فإن قام أحدهم بقتلك فلا بد أن يكون مدفوعا إلى ذلك من أحد كبراء العرب الذين ينفسون الخلافة عليك ويرون أنفسهم أحق بها منك .

عمر : والله ما أراك يا كعب إلا منافقا ، وما أراك تريد إلا أن تثير الفتنة فى المسلمين . ولولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن قتل المنافقين لقتلتك ؟

كعب : يا أمير المؤمنين أهذا جزاء الناصح الأمين ؟

عمر : إنى قد بلوت المنافقين يا كعب ، وإنى لأعرف وجوههم فلا تخدعنى عن نفسك .

كعب : يا أمير المؤمنين يعلم الله أنى لمسلم صادق الإيمان ، وبحسبى أنى أسلمت عن بينة .

عمر : تعنى ذلك الكتاب الذى خبأه أبوك فى صندوق ، فلما مات فتحته ؟

كعب : نعم .

عمر : فأين هو يا كعب ؟ أهو معك ؟

كعب : لا يا أمير المؤمنين .. تركته باليمن .

عمر : ولم تركته ؟ هلا أطلعت الناس عليه ليزدادوا إيمانا ؟

كعب : كأنك يا أمير المؤمنين تشك فى ذلك الكتاب ؟

عمر : قد علمت أنك اخترعته كما اخترعت سائر أساطيرك وأكاذيبك .

كعب : يا أمير المؤمنين ، لا حق لك أن تتهمنى فى دينى بغير بينة ولا برهان .

عمر : يا ابن اليهودية إنى قد نهيت الناس أن يكثروا من الرواية عن نبيهم محمد ﷺ خشية أن يتزيّدوا عليه ، أفآذن لك أن تروى للناس من أساطيرك وأكاذيبك ؟ اخرج من عندى .

كعب : يا أمير المؤمنين لتندمن على طردى من عندك .

عمر : اخرج .

كعب : سامحك الله يا أمير المؤمنين .. لتعلمن غدا أننى من المؤمنين المخلصين .

(يخرج) .

(ستـــار)

المشهد السابع

فى بيت عمر .

حجرة متوسطة بين داخل البيت وبين البهو الذى يستقبل فيه الناس . باب فى أقصى يسار المسرح يؤدى إلى الداخل وباب فى أدنى يمين المسرح يؤدى إلى البهو .

الوقت : غلس الصبح .

يرى عمر راقدا على وسادة من أدم وهو مغشى عليه وعليه ثوب ينضح بالدم من جراحه وعنده عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة .

ابن عوف : (**كأنه ينبهه**) يا أمير المؤمنين ! يا أمير المؤمنين !

ابن عباس : فى غشية واحدة منذ احتملناه من المسجد .

المسور : لقد طالت غشيته .

(تدخل أم كلثوم والدمع فى عينيها وبيدها إناء فيه ماء فترش منه على وجه عمر) .

أم كلثوم : انظروا ! إنه لا يحس ببرد الماء . واعمراه ! واأمير المؤمنيناه !

ابن عمر : رويدك يا أم كلثوم ! إنما غشى عليه من فرط ما نزف من الدم .

أم كلثوم : لكننى قد عصبت جراحه .

ابن عمر : الساعة يفيق إن شاء الله .

ابن عباس : عندى سبيل لإيقاظ أمير المؤمنين إن كانت به حياة .

ابن عوف : كيف يا ابن عباس ؟

ابن عباس : ادعوه للصلاة .

ابن عوف : (**بأعلى صوته**) الصلاة يا أمير المؤمنين . الصلاة قد صُليت .

عمر : (**عمر ينتبه من غشيته**) الصلاة ؟

ابن عوف : لم تُصلها بعد يا أمير المؤمنين .

عمر : لاها الله إذن لا حظ لامرئ فى الإسلام ضيع صلاته (**يثب لينهض فيعجز فيساعده ابنه عبد الله وأم كلثوم**) صليت بالناس مكانى يا عبد الرحمن ؟

ابن عوف : نعم يا أمير المؤمنين كما أمرت .

عمر : اخرج يا ابن عباس فاسأل الناس أكان هذا عن ملإ منهم ؟ وأصدقنى الحديث .

ابن عباس : سمعا يا أمير المؤمنين .

(**يخرج ويخرج خلفه المسور بن مخرمة**) .

عمر : انتظرونى قليلا حتى أتوضأ وأصلى .

(**يخرج متحاملا على ابنه وزوجه**) .

(**يدخل عبيد الله بن عمر وفى وجهه الغضب**) .

عبيد الله : أين أبى ؟

ابن عوف : أفاق من غشيته ودخل يتوضأ ويصلى . ما خطبك ؟ إنى أرى فى وجهك ملامح شر .

(يدخل عبد الله بن عمر)

ابن عوف : هلا بقيت عندهما يا عبد الله ؟

عبد الله : قد امتلأ البيت الساعة بنسوة من آل عمر .. أختى حفصة أم المؤمنين ، وعمتى فاطمة ، وعاتكة بنت زيد ، والشفاء بنت عبد الله ، وغيرهن .

عبيد الله : أهو الآن فى الصلاة ؟

عبد الله : نعم تركته حين كبّر .

عبيد الله : (**بصوت خافض**) والله لأقتلنهم أجمعين .

عبد الله : ماذا تقول ؟

ابن عوف : من تعنى ؟

عبيد الله : الذين قتلوا أبى .

ابن عوف : من هم ؟

عبيد الله : هؤلاء العلوج الذين فى المدينة . الهرمزان وجفينة وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .

ابن عوف : اتق الله يا أخى ولا تعجل . إن أباك أمر الساعة ابن عباس ليسأل عمّن طعنه .

عبيد الله : الذى طعنه هو أبو لؤلؤة ، ولكن الهرمزان وجفينة متواطئان معه .

ابن عوف : كيف ؟ من أين عرفت ؟

عبيد الله : إن عبد الرحمن بن أبى بكر مر على هؤلاء الثلاثة أمس وهم نجيٌّ ، فلما بغَتَهم ثاروافسقط من بينهم خنجر ذو حدّين نصابه فى وسطه .

ابن عوف : تقول خنجر ذو حدين نصابه فى وسطه ؟

عبيد الله : نعم ، هل تعرف عنه شيئا ؟

ابن عوف : اللهم إنى رأيت مثله منذ أيام .

عبيد الله : مع من ؟

ابن عوف : خبرنى أولا ، أنت سمعت ذلك من عبد الرحمن بن أبى بكر ؟

عبيد الله : لا إنى ما لقيته بعد .

ابن عوف : فكيف عرفت ؟

عبيد الله : حدثنى بذلك رجل ثقة .

ابن عوف : من هو ؟

عبيد الله : استحلفنى ألّا أبوح باسمه لأحد .

عبد الله : ويحك ! أتعتمد على رجل يخشى أن يؤدى شهادته ؟

عبيد الله : إنه قال لى سل عبد الرحمن بن أبى بكر .

عبد الله : لعل الرجل كاذب فتّان ، فاستيقن أولا من ابن أبى بكر قبل أن تتهم الناس .

عبيد الله : أنا ماض إليه الساعة ، فإن صح ما روى لى لأفعلن بهم الأفاعيل .

عبد الله : حذار يا عبيد الله . حذار أن تأتى أمرا تغضب به أباك وهو فيما هو فيه .

(يخرج عبيد الله)

عبد الله : تقول إنك رأيت ذلك الخنجر الذى وصفه عبيد الله ؟

ابن عوف : أجل رأيته منذ أيام مع جفينة والهرمزان .

عبد الله : مع جفينة والهرمزان .

ابن عوف : رأيت أخاك عبيد الله كهيئة السبع ، فلم أشأ أن أذكرهما له لئلا أهيجه .

عبد الله : أحسنت يا ابن عوف .. أحسنَ الله إليك . إن عبيد الله لمتهور سوّار . صه ! هذا أبى قد أقبل .

ابن عوف : إياك أن تذكر له شيئا .

عمر : (**صوته من خلف الباب**) اتركانى ، إنى أستطيع المشى وحدى . الحمد لله (**يدخل فيوسع له عبد الله ويعينه على الجلوس**) ألم يعد ابن عباس بعد ؟

ابن عوف : الحمد لله إنك بخير يا أمير المؤمنين .

عمر : إن كان من يموت بخير يا عبد الرحمن فإنى بخير . أين ابن عباس ؟ أريد أن أعرف من قتلنى وأنا فى الصلاة . اللهم لا تجعله أحدا من المسلمين (**يتأوه**) .

ابن عوف : أتتألم يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ما وجدت منذ وعيت نفسى كاليوم ألما قط . إنى لأحسه كالنار فى جسدى كله . إن لم يكن قاتلى من المسلمين فلا أبالى .

ابن عوف : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين !

عبد الله : يا ليت هذا الألم فينا من دونك .

عمر : كلا يا بنى ، لا تتمن شيئا عسى ألا تصبر عليه . آه وددت لو استطعت ألا أشعر به . أين ابن عباس ؟

عبد الله : أأخرج يا أبى لأسأل لك ؟

ابن عوف : ها هو ذا ابن عباس قد عاد .

(يدخل عبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة)

عمر : اللهم غفرا غفرا . ماذا وراءك يا ابن عباس ؟

ابن عباس : جئتك بالنبأ اليقين يا أمير المؤمنين . لا والله ما رأيت عينا تطرف من خلق الله من ذكر وأنثى إلا باكية عليك . يفدونك بالآباء والأمهات .

عمر : ما علموا ولا اطلعوا ؟

ابن عباس : ما علموا يا أمير المؤمنين ولا اطلعوا .

عمر : اصدقنى يا ابن عباس .

ابن عباس : هذا المسور بن مخرمة كان معى يا أمير المؤمنين .

المسور : إى والله يا أمير المؤمنين ، ما علموا ولا اطلعوا على شيء ، ولودوا لو زاد الله من أعمارهم فى عمرك .

عمر : (**يتهلل وجهه**) الحمد لله ما كانت العرب لتقتلنى . لقد كذب عدو الله فيما زعم .

ابن عوف : من هو يا أمير المؤمنين ؟

عمر : الشيطان .. الحمد لله ! هات يا ابن عباس .

ابن عباس : أما الذى طعنك يا أمير المؤمنين فهو فيروز المجوسى ، غلام المغيرة بن شعبة .

عمر : الغلام الصَّنَع ؟ أبو لؤلؤة ؟

ابن عباس : نعم .

عمر : قاتله الله ! لقد أردت به معروفا . الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له قط . لقد طعننى طعنتين وإنى لأظنه كَلِبا حتى طعننى الثالثة .

ابن عباس : وأصاب بعدك يا أمير المؤمنين اثنى عشر من المصلين فهم فى دمائهم حتى يقضى الله فيهم ما هو قاض .

عمر : وتركوا عدو الله يفر من بين أيديهم ؟

ابن عباس : لا بل أحاطوا به يا أمير المؤمنين ، وألقى أحدهم عليه برنسا فطرحه أرضا .. فلما أيقن العلج أنه مأخوذ قتل نفسه بالخنجر الذى معه .

عمر : الحمد لله .

ابن عوف : لو أخذوه حيا يا أمير المؤمنين لكان أفضل .

عمر : ما يدريك يا عبد الرحمن ؟

ابن عوف : إن كان له شركاء أخبر عنهم .

عمر : الخيرة فيما اختار الله عز وجل .

ابن عوف : لقد أنسينا يا أمير المؤمنين أن نبغى لك طبيبا ينظر جرحك ؟

المسور : أنا آتيك به يا أمير المؤمنين .

عمر : كلا ليس الآن . ويحكم كيف أنظر فى أمر نفسى قبل أن أنظر فى أمور المسلمين ؟

ابن عوف : إن أمرك يا أمير المؤمنين لمن أمور المسلمين . وريثما يأتى به المسور من ديار بنى معاوية تكون قد فرغت من أمور المسلمين .

عمر : هيهات ! إن أمامى لأمورا جمة والذهن كليل والباقى من العمر قليل .

ابن عوف : انطلق يا مسور إلى ديار بنى معاوية .

مسور : حالا يا خال . (يخرج)

(يدخل أسلم دامع العين)

أسلم : يا أمير المؤمنين ، بالباب كثير من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار يريدون أن يسلموا عليك .

عمر : يا عبد الله ويا ابن عباس ، اخرجا أنتما إليهم وقولا لهم إنى بخير ، وانتظرا معهم حتى أخرج إليهم .

(يخرج عبد الله بن عمر وابن عباس وأسلم)

عمر : يا عبد الرحمن ما ترى لو عهدت إليك ؟

ابن عوف : إنك أنت أشرت على قبلت منك . أنشدك الله يا عمر أتشير على بذلك ؟

عمر : اللهم لا .

ابن عوف : إذن والله لا أدخل فيه أبدا .

عمر : فيمن تشير علىّ ؟

ابن عوف : أحد هؤلاء الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

عمر : بأيهم تشير ؟

ابن عوف : أنت يا أمير المؤمنين أعلم بهم منى .

عمر : قد بلوتهم جميعا فرأيت منهم حرصا سيئا على الإمرة ، ما خلا سعيد بن زيد .

ابن عوف : فاختره إذن يا أمير المؤمنين .

عمر : ويلك يا ابن عوف ! أنصح لك ولا تنصح لى ؟ ألا تعرف أنه ابن عمى ؟ كنت أظنك أحسن بى ظنا من ذلك .

ابن عوف : هيهات لى يا أمير المؤمنين فوالله ما أردت إلا خيرا .

عمر : فهب لى صمتا حتى يأتى الله برأى أفضل .

ابن عوف : أفعل يا أمير المؤمنين .

عمر : قد كان الله ألهمنى الرأى الأفضل يا عبد الرحمن ، لو لم يحل هذا الأجل دونه .

ابن عوف : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لو طوفت بأمصار المسلمين مصرا مصرا فأعرف ما لا يبلغنى من أحوالهم ، وأقضى ما لا يصل إلى من حوائجهم ، وأستشيرهم أثناء ذلك فى أحب الناس إليهم أن يلى من بعدى هذا الأمر .

ابن عوف : نعم الرأى هذا لو كان إليه سبيل .

عمر : فاحفظه يا ابن عوف عسى أن يعمل به من بعدى .

ابن عوف : هيهات يا ابن الخطاب لا يقوى على هذا أحد غيرك . ومن للناس بمثلك يا عمر ؟

عمر : اتق الله يا عبد الرحمن ، بل يقضى الله ما يشاء إذا شاء .

(يدخل عبد الله بن عمر) .

عمر : ماذا وراءك يا عبد الله ؟

عبد الله : هذا كعب بن ماتع يا أمير المؤمنين روى لى حديثا واستحلفنى أن أبلغه إليه .

عمر : وحلفت له ؟

عبدالله : نعم .

عمر : قاتله الله ! لن ينتهى من أساطيره حتى يصيبه الله بقارعة . هات ماذا قال .

عبد الله : قال كان فى بنى إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر ، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه . وكان إلى جنبه نبى يوحى إليه ، فأوحى الله إلى ذلك النبى أن يقول له اعهد عهدك واكتب وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام . فأخبره النبى بذلك .. فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ، ثم جاء إلى ربه فقال : اللهم إن كنت تعلم أنى أعدل فى الحكم ، وإذا اختلفت الأمور اتبعت هداك وكنت وكنت ، فزد فى عمرى حتى يكبر طفلى وتربو أمتى . فأوحى الله إلى النبى أنه قد قال كذا وكذا وأنه قد صدق ، وقد زدته فى عمره خمس عشرة سنة ففى ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته .

عمر : الله الله ! ويريد كعب أن أدعو الله كما فعل ذلك الملك ؟

عبد الله : أجل يا أمير المؤمنين ، قال لئن سأل عمر ربه ليبقينه الله .

عمر : لا والله لا أفعل .

ابن عوف : ماذا عليك يا أمير المؤمنين لو دعوت ، فلعل الله يستجيب لك ؟

عمر : كلا يا ابن عوف . لقد كنت أدعو الله ربى : اللهم قتلا فى سبيلك وموتا فى بلد نبيك . وقد استجاب الله دعائى ، فكيف أدعوه اليوم بغير ذلك ؟

ابن عوف : من أجل رعيتك يا أمير المؤمنين ، ثم الشهادة بعد ذلك .

عمر : ويحك يا عبد الرحمن ! أَحسَبنى قد حدثتك بما زعم لى كعب منذ ثلاثة أيام .

ابن عوف : أجل يا أمير المؤمنين .

عمر : فقد خشى اليوم أن أنجو من طعنتى هذه ، فأعيش فيتبين كذبه .

ابن عوف : ولذلك روى هذا الحديث ؟

عمر : هو ذاك .

ابن عوف : إذن فلا بد أن يكون على علم بسر أبى لؤلؤة .

عمر : لا شك فى ذلك ، فإن كتب الله ما أنزلت لتعد أيام فلان وفلان .

عبد الله : فعلام لا تأمرنا يا أبت فيه ؟

عمر : لا عقوبة بغير بينة ، وأنى لك البينة ؟

عبد الله : لقد ظهر نفاقه يا أمير المؤمنين .

عمر : إن كان منافقا يا بنى فقد عرفت سيرة رسول الله ﷺ فى المنافقين ، وإن كان غير ذلك فلأن يكب أبوك على وجهه فى نار جهنم أهون عنده من أن يمس مسلما بظلم . هلّم بنا نخرج إلى الناس فقد أبطأت عليهم (**ينهض متحاملا على نفسه**) اكتما هذا الحديث حتى لا تكون فتنة فى الناس .
(**يتوجه نحو باب البهو معتمدا على عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر**) .

(**ستـــار**)

المشهد الثامن

فى بيت الهرمزان

يرى الهرمزان جالسا والحزن بادٍ عليه وهو واجم لا يتكلم، وإلى جواره امرأته أم القماذبان وقد وقف أمامهما ابنهما القماذبان وهو يحدثهما فى حماسة .

أم القماذبان : تقول استطعت أن ترى أمير المؤمنين ؟

القماذبان : نعم رأيته من بعيد . لمحتُ وجهه من الزحام وهو فى فناء داره قد خرج للناس ، وعنده كبار الصحابة والناس من حولهم يسلمون على أمير المؤمنين ويدعون له بالعافية .

أم القماذبان : الحمد لله هذه بشرى خير . إن أمير المؤمنين إذن بخير .

القماذبان : أجل انطلقت من عندك وعلى وجوه الناس القلق والكآبة ، ورجعت إليك وعلى وجوههم السكينة والاستبشار .

أم القماذبان : الحمد لله ! اللهم احفظ أمير المؤمنين للإسلام . اللهم أهلك كل من يكيد للإسلام .

القماذبان : ولكن وجها واحدا يا أماه بقى واجما كئيبا كما تركته .

أم القماذبان : تعنى وجه أبيك يا قماذبان ؟

القماذبان : نعم يا أماه ، فهل تعرفين ما خطبه ؟

أم القماذبان : منذ سمع بالحادث وهو كالمذهول .

القماذبان : من فرط حبه لعمر ؟

أم القماذبان : لا ريب .

القماذبان : فالناس جميعا تحب عمر ، اكتأبت لنبأ اغتياله ثم استبشرت لنجاته ، ولكن أبى بقى فى ذهوله ووجومه لم يتغير .

أم القماذبان : أجل يا هرمزان ، ألا تفرح لنجاة أمير المؤمنين ؟ ألم تسمع البشرى ؟ ماذا بك يا زوجى الحبيب ؟ ألا تتكلم ؟

الهرمزان : يا ليتنى أنا الذى قُتلت مكان أمير المؤمنين ؟

القماذبان : اتْفُلْهَا من فمك . إن أمير المؤمنين لم يُقتل . إن الله نجاه وحماه .

أم القماذبان : لعل أباك لم يسمع ما قلت .

القماذبان : ماذا منعه يا أماه ؟ أكان أصمّ ؟ فكيف إذن سمع نبأ اغتياله ؟

الهرمزان : يا ليت عمر ينجو منها ، وليرمنى الله بصاعقة !

أم القماذبان : معاذ الله ! لِمَ يا زوجى تدعو على نفسك ؟ لم لا ينجو أمير المؤمنين وتسلم أنت له ؟

الهرمزان : لا أريد أن أعيش إذا مات عمر ؟

القماذبان : فعلام تمنيت أن تموت إذا عاش عمر ؟

أم القماذبان : رويدك يا بنى ، ما لى أراك اليوم على غير عادتك مع أبيك ؟

القماذبان : وهل ترينه هو على عادته ؟

أم القماذبان : هذا الحادث قد أطار صوابه يا بنى .

القماذبان : لو كان يحب عمر حقا لهرع إليه ، إن لم يكن لنجدته فلرؤيته أو السؤال عن صحته .

الهرمزان : إن ابنك يتهمنى يا مرداوند !

أم القماذبان : معاذ الله يا هرمزان .

القماذبان : بلى يا أماه، لو كان يحب عمر حقا لما لزم بيته كالنساء. حتى النساء يا أماه رأيت جماعات منهن على باب أمير المؤمنين.

أم القماذبان : إنما أراد أن يقول إنك قصرت فى حق عمر صاحبك.

الهرمزان : لا، بل أراد أن يتهمنى بأمر آخر يا مرداوند.

أم القماذبان : بماذا؟

الهرمزان : سليه.

القماذبان : بل سليه هو فهو أعلم بتهمته.

أم القماذبان : إنى والله لا أفهم مما تقولان شيئا.

القماذبان : أتأذن لى يا أبى أن أصارحك أمامها؟

أم القماذبان : (تنهض) لعل الأفضل أن أتركك مع ابنك.

الهرمزان : كلا، لا تخرجى. ابقى معنا.. هات ما عندك يا بنى.

القماذبان : أتذكر يا أبى يوم زرنا أمير المؤمنين فى بيته؟

الهرمزان : (فى رقة) كان آخر عهدى بأمير المؤمنين.

القماذبان : أكنت يا أبى يومئذ تعلم ذلك؟

الهرمزان : رفقا بأبيك يا بنى.

القماذبان : من حقى يا أبى أن أعرف حقيقة الأمر.

الهرمزان : ماذا تريد أن تعرف؟

القماذبان : ماذا كان يقصد أمير المؤمنين إذ ذكر لك الديك الأحمر الذى رآه فى منامه؟

الهرمزان : أنت كنت معى يومئذ يا بنى. لقد كان يمزح معى ويعاتبنى لانقطاعى عنه.

القماذبان : أما كنت تعلم يومئذ أن أبا لؤلؤة سيكون هو الديك الأحمر ؟

الهرمزان : أكنت أعلم الغيب يا بنى ؟

القماذبان : فيروز يا أبى ليس بغيب عليك . لقد كان من خُلصائك .

الهرمزان : من خلصائى ؟ كلا ، كان يزورنى أحيانا مثل كثيرين غيره من العجم الذين بالمدينة .

القماذبان : لكنك كنت تخلو به دائما كلما جاء ، وما قدمته إلينا قط .

الهرمزان : لم أشأ أن يكون لأهلى به خلطة .

القماذبان : لماذا ؟

الهرمزان : لما أعلم من سوء خلقه وشراسته .

أم القماذبان : يا بنى لِمَ كل هذه الأسئلة توجهها إلى أبيك ؟

الهرمزان : لأنه أصبح سيئ الظن فى أبيه .

القماذبان : أنت الذى دفعتنى إلى ذلك بما أثرت من شكوكى حولك .

الهرمزان : ماذا رابك منى يا بنى ؟

القماذبان : أشياء كثيرة ، أكدها عندى أن أمير المؤمنين طُعن اليوم فلزمت البيت ولم تهرع لرؤيته ، وأنت تعلم حبه لك وتعلقه بك .

أم القماذبان : إن شئت الحق يا هرمزان فقد كان هذا تقصيرا كبيرا منك .

الهرمزان : والله إنى لأحب أمير المؤمنين ولوددت لو جعلت فداءه من كل سوء .. وما منعنى من الإسراع إليه اليوم إلا حادث غير ذى بال اتفق لى أمس فأصبح اليوم ذا بال .

القماذبان : ما هو يا أبى ، لماذا كتمته عنى ؟

الهرمزان : كنت واقفا مع جفينة أمس فى بعض طرقات المدينة نتحدث ، إذ مر بنا الشقى أبو لؤلؤة فسلم علينا وإذا فى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه ، فقلنا له ما تصنع بهذا فى هذه البلاد؟ فلم يجب على سؤالنا ، إذ لمحه رجل من المسلمين فاضطرب ووقع الخنجر من يده فى الأرض فلم يقل الرجل شيئا .. فلما مضى عرفنا أنه عبد الرحمن بن أبى بكر .

أم القماذبان : لعنة الله على فيروز . ماذا كان يقصد بعرض خنجره عليكما ؟

الهرمزان : إنها المقادير يا مرداوند ساقته إلينا فى تلك الساعة المنحوسة ، ثم ساقت إلينا عبد الرحمن بن أبى بكر .

القماذبان : كأنك خشيت يا أبى أن يشهد عليكم عبد الرحمن بن أبى بكر .

الهرمزان : والله يا بنى ما اضطربت فى حياتى قط مثل اضطرابى اليوم . لوددت لو أنى كنت حينئذ ناديت عبد الرحمن بن أبى بكر وبينت له جلية الأمر . ولكن من كان يدور بخلده قط أن الخبيث يمكن أن يقدم على مثل هذه الخيانة المروعة ؟ (يبكى) والله يا بنى ما بى خوف العقوبة التى لا أستحقها ولو كانت الموت ، ولكنى لا أدرى كيف أطيق أن تقع عينى فى عين أمير المؤمنين إذا ما هجس فى ظنه أننى أنا صديقه الحميم كنت شريكا فى جريمة اغتياله ؟

القماذبان : سامحنى يا أبى . الآن فهمت عذرك .

(يقرع الباب فيضطرب الثلاثة ثم يخرج القماذبان ليفتح الباب)

القماذبان : (**صوته**) هذا عمى جفينة .

الهرمزان : دعه يدخل يا بنى . لقد جاء فى الوقت المناسب .

(يدخل جفينة مع القماذبان فيحيى الهرمزان وامرأته) .

الهرمزان : لقد جئت فى الوقت المناسب يا جفينة . إنى حدثت امرأتى وابنى الساعة بالصدفة السيئة التى وقعت لنا أمس مع الشقى أبى لؤلؤة وعبد الرحمن بن أبى بكر .

جفينة : وأنا جئت الساعة من أجل هذا الأمر . أنت صديق أمير المؤمنين يا هرمزان ، فعليك أن تبادر إليه فتشرح له جلية الأمر حتى لا يتهمنا إذا بلغته شهادة عبد الرحمن بن أبى بكر .

الهرمزان : وما يدريك يا جفينة لعل الشهادة قد بلغته ؟

جفينة : حتى لو بلغته فمن الخير لنا بعد ذلك أن تذهب أنت إليه فتقول له ما عندك ، قبل أن يستدعوك ويسألوك .

القماذبان : هذا يا أبى رأى أوجه وأصوب .

أم القماذبان : أجل لا أدرى كيف فاتنا أن نشير عليك به من قبل .

القماذبان : توكل على الله يا أبى ، وانطلق الان فتؤدى الواجب وتنفى عنكما التهمة .

الهرمزان : الأمر لله .. أعطينى قميصى يا مرداوند .

جفينة : أنا ذاهب (**يتوجه نحو الباب لينصرف**) .

الهرمزان : انتظرنى لنخرج معا .

جفينة : كلا ليس من الخير أن نرى معا اليوم (**يخرج**) .

أم القماذبان : (**تحضر القميص**) هلم ألبسك قميصك . ما خطبك ؟ ماذا جرى ؟

الهرمزان : (**يتمتم فى تردد**) يدعونى لمقابلة أمير المؤمنين لأبرئه هو من التهمة !

القماذبان : يا أبى إذا نفيتها عنه فقد نفيتها عن نفسك .

أم القماذبان : هيا يا سيدى لا تتردد (**تلبسه القميص**) .

الهرمزان : (**بصوت يخالطه البكاء**) أستودعكما الله . إنى ذاهب إلى أمير المؤمنين ولكن لن أرجع من عنده .

أم القماذبان : ماذا تقول ؟

القماذبان : ماذا أنت فاعل ؟

الهرمزان : (**ينفجر باكيا**) أنا ذاهب لأعترف لعمر بالجريمة .

القماذبان : لتعترف ؟

أم القماذبان : بالجريمة ؟

الهرمزان : أجل ! لقد كنت متواطئا مع أبى لؤلؤة على قتل عمر .

أم القماذبان : يا إلٰهى ! غير معقول !

الهرمزان : تلك هى الحقيقة .

القماذبان : تقتله وهو يحبك ويعزك ؟

أم القماذبان : وبعد كل الأيادى التى له عليك ؟

الهرمزان : مكتوب علىّ الشقاء يا مرداوند . والله لولا أن الإسلام يحرم الانتحار لانتحرت ندما على أمير المؤمنين . أواه

لا أنسى أبدا كلماته لى كأنى أسمعها الساعــة . والله يا هرمزان إنى لأحبك ، وإنى لأرجو أن يغفر الله لى بإسلامك ما لا أرجوه بأى عمل آخر . وأرجو أن يأتى وشيكا أهلكِ وعيالك فيعيشوا معك فى المدينة فيطمئن بهم بالك ويستقر حالك (**ينخرط الثلاثة فى البكاء**)

القماذبان : تبأ لك يا أبى ! كيف تقتل رجلا هذا حاله معك ؟

الهرمزان : من أجل ذلك يا بنى أريد أن أعترف له بذنبى كفارة لى .

أم القماذبان : كلا لا تفعل .. كيف تواجه الناس غدا إذا علموا أنك اشتركت مع الكليب أبى لؤلؤة فى قتل أمير المؤمنين ؟

الهرمزان : غدا تنكشف الحقيقة للناس سواء أعترفت أو لم أعترف .

(**يقرع الباب فيرتاع الثلاثة ثم ينطلق القماذبان ليفتح**) .

القماذبان : (**يعود**) هذا يا أبى كعب الأحبار .

الهرمزان : (**كالمتضايق**) ماذا جاء به فى مثل هذه الساعة ؟

أم القماذبان : ما يدريك ؟ لعله جاء بفرج من الله .

الهرمزان : ادخل يا كعب .

(**يدخل كعب**) .

كعب : السلام عليكم .

أم القماذبان : وعليك السلام ورحمة الله . أدركنا أيها الرجل الصالح فإنا فى بلاء عظيم .

كعب : هذا مصاب ألم بالمسلمين كافة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أم القماذبان : لكن مصابنا نحن أعظم .

كعب : (فى ارتياب) ما الخطب يا هرمزان؟ ماذا جرى؟ لماذا لا تتكلم؟

أم القماذبان : أنا أقول لك .. إن زوجى ذاهب إلى أمير المؤمنين ليعترف له بأنه شريك أبى لؤلؤة فى دمه .

كعب : (يراع) ماذا تقولين؟ لا أستطيع أن أصدق ما أسمع .

أم القماذبان : سله يا سيدى فهو أمامك .

القماذبان : أجل يا سيدى هذا حق .

كعب : أحقا يا هرمزان؟

الهرمزان : نعم .

كعب : أجننت يا رجل؟

الهرمزان : لا تخف يا كعب فلن أعترف إلا على نفسى ، ولن أذكر اسم أحد غيرى .

كعب : (يلحظ الدهش فى وجهى الزوجة والابن) ما هذا ويلك؟ إن الذى يسمع قولك هذا ليظن أنك تدخلنى فى تلك الجريمة معك .

الهرمزان : كلا لست معى فيها . أنا وحدى المشترك فيها مع الشقى أبى لؤلؤة . أطمأننت الآن؟

كعب : كلا يا هرمزان . إنك أخى فى الله وعلىّ لك أن أنصحك . لا ينبغى أن تفضح نفسك وتفضح أهلك معك . إن كنت ارتكبت ذنبا فتب إلى الله والله خير التائبين .

الهرمزان : إن أردت التوبة حقا ، فمن تمام توبتى أن أعترف لأمير المؤمنين .

كعب : الله هو الذى يتوب عليك لا أمير المؤمنين.

الهرمزان : (**يجهش بالبكاء**) لن يستريح قلبى حتى أعترف لأمير المؤمنين.

كعب : ويح أمير المؤمنين ! لعلك لا تصل إليه إلا وقد قضى نحبه.

الثلاثة : (**مرتاعين**) ماذا تقول ؟

القماذبان : لقد كنت هناك منذ قليل، وكان بخير إذ خرج إلى فناء داره للناس..

كعب : أجل. كان ذلك قبل حضور الطبيب.. فلما حضر سقاه لبنا فخرج اللبن أبيض كما هو، فقال له اعهد يا أمير المؤمنين. قال عمر : صدقت ولو قلت غير ذلك لكذبتك.

الهرمزان : إذن والله لأدركنه قبل أن يموت عسى أن يسامحنى فيما كان منى.

كعب : (**يستوقفه**) على رسلك يا أخى.

الهرمزان : دعنى. دعنى.

كعب : استمع إلى كلمة منى ثم امض بعدها إن شئت.

الهرمزان : قلها وعجل.

كعب : إن كنت تحب أمير المؤمنين حقا وتحب له الخير وترجو له العافية والشفاء، فلا تذهب إليه، فإنى لا آمن إذا ما سمع أن صديقه الحميم الذى قرَّبه إليه قد خانه وتواطأ عليه مع الكليب أبى لؤلؤة، أن يصدمه هذا النبأ فيقضى عليه.

الهرمزان : ويلك ! ألم تقل آنفا إنه لا رجاء فيه، وأنه يوشك أن يقضى نحبه ؟

كعب : بلى ، ولكن الأعمار بيد الله يا هرمزان . وقد أوتى أمير المؤمنين بنية قوية فعسى أن يتغلب على جراحه ويعيش ، وما ذلك على الله بعزيز .

أم القماذبان : سمع الله منك يا كعب . سمع الله منك .

كعب : آمين .

القماذبان : أجل يا أبى نشدتك الله ألا تذهب إليه . دع أمير المؤمنين فى سلام ، فلعل الله أن يشفيه ويعافيه .

أم القماذبان : اللهم اشف أمير المؤمنين واحفظه للإسلام والمسلمين .

الهرمزان : (**باكيا**)آمين . آمين .

(تخلع زوجته القميص عنه)

كعب : الحمد لله .. الحمد لله رب العالمين .

(ستـــار)

المشهد التاسع

« فى بيت عمر »

نفس المنظر كما فى المشهد الثامن . الوقت بعد صلاة الظهر .

يرى عمر مضطجعا على فراشه وعنده ابنه عبد الله والمغيرة بن شعبة والناس يدخلون ويخرجون يسلمون عليه ويدعون له ويتقدم إليه شاب من الأنصار .

الشاب : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله عز وجل . لك من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة .

عمر : ويحك يا فتى الأنصار ، لوددت أن ذلك كان كفافا علىّ ولا لى .

(يخرج الشاب)

عمر : (**كأنه ينتبه من غفلة**) ويلكم ! ردوا علىّ الشاب .

عبد الله : الأنصارى ؟

عمر : نعم .

عبد الله : إنه انصرف يا أمير المؤمنين .

عمر : اجروا خلفه وردوه .

عبد الله : انطلق يا أسلم وقل له أجب أمير المؤمنين .

(يخرج أسلم منطلقا)

المغيرة : ماذا تريد منه يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ويلكم ! ألم تروا إزاره يمس الأرض ؟

(يعود أسلم ومعه الشاب الأنصارى)

الشاب : دعوتنى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم . إنى رأيت إزارك يمس الأرض . يا ابن أخى ارفع ذيل إزارك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك .

الشاب : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين (**يخرج**)

عمر : انطلق يا أسلم فادع لى عليا وعثمان وسعدا والزبير وعبد الرحمن بن عوف .

أسلم : سمعا يا أمير المؤمنين (**يخرج**) .

المغيرة : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين . حتى فى شدة الوجع لا تنسى النصح لرعيتك .

عمر : هيه يا ابن شعبة ، ما حبسك عندى بعد انصراف الناس ؟

المغيرة : معذرة يا أمير المؤمنين . كلمة أريد أن أسر بها إليك ، وأخرى أهاب أن أقولها لك أمام الناس .

عمر : هات ولا تطل .

المغيرة : لِمَ لا تستخلف يا أمير المؤمنين ؟

عمر : وما يدريك ؟

المغيرة : بلغنى يا أمير المؤمنين .

عمر : ولِمَ تريدنى أستخلف ؟

المغيرة : حتى لا يختلف الناس بعدك ، كما استخلفك أبو بكر حتى لا يختلف الناس بعده .

عمر : إن خيرا منى ومن أبى بكر لم يستخلف .

المغيرة : يا أمير المؤمنين عند وفاة رسول الله ﷺ كان أبو بكر وعمر . وحين يتوفاك الله لن يكون أبو بكر ولا عمر .

عمر : دعنى من هذا يا مغيرة . إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أترك فقد ترك من هو خير منى .. ولن يضيع الله دينه . لا والله لا أتحملها حيا وميتا .

المغيرة : إن كنت تخشى من ذلك يا أمير المؤمنين ، فأين أنت من عبد الله بن عمر ؟

عمر : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا . لا أرب لنا فى أموركم فى وما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى . إن كان خيرا فقد أصبنا منه ، وإن كان شرا فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمة محمد ﷺ . أما لقد جهدت نفسى وحرمت أهلى ، وإن نجوت كفافا لا وزر ولا أجر ، إنى لسعيد .. إليك عنى .

المغيرة : والكلمة الأخرى يا أمير المؤمنين ، فقد وعدتنى بها .

عمر : هات .

المغيرة : هذا الشقى اللعين أبو لؤلؤة .

عمر : ما بانه ؟

المغيرة : لم يجنها وحده يا أمير المؤمنين .

عمر : أكنت أنت شريكه ؟

المغيرة : معاذ الله يا أمير المؤمنين ، لوددت والله لو أصابنى من دونك .

عمر : ما كان ليعتدى علىّ ، لولا أنك ظلمته .

المغيرة : يا أمير المؤمنين ذلك ما أريد بيانه لك . ما كان العلج يشكو ظلما منى ، وما كانت الشكوى إلا تعلة . إذن لكان أحرى أن يقتلنى أنا الذى ظلمته ، ولكان قتلى عليه أيسر . إنما كان حاقدا عليك لأمر آخر وعلى اتفاق وتواطؤ مع علوج آخرين .

عمر : يا ابن شعبة ، أتحبنى وتحب مسرتى ؟

المغيرة : اللهم نعم .

عمر : قد وقع أمر الله وكان قدرا مقدورا .. فأعرض عن هذا حتى لا تكون بين المسلمين فتنة .

المغيرة : هؤلاء ليسوا مسلمين يا أمير المؤمنين .

عمر : بلى . بعدما صلوا صلاتنا وحجوا قبلتنا وتكلموا بلساننا ، إنهم اليوم مثلى ومثلك .

عبد الله : يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل الشورى قد أقبلوا .

عمر : هيا انصرف يا ابن شعبة ، واذكر عهدك لى .

المغيرة : سأفعل يا أمير المؤمنين (يخرج)

(يدخل على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام) .

عمر : مرحبا بكم يا أصحاب رسول الله . إنى دعوتكم لأعهد إليكم ، فلعلى لا أراكم بعد ليلتكم هذه . أين أخوكم طلحة ، ألم يعد بعد ؟

الزبير : لا يا أمير المؤمنين، ما زال طلحة فى أمواله بالسَّراة.

عمر : طلحة شريككم فى الأمر، فإن قدم فى الأيام الثلاثه فأحضروه أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم. ومن لى بطلحة؟

سعد : أنا لك به، ولا يخالف إن شاء الله.

عمر : أرجو ألا يخالف إن شاء الله، إياكم أن تختلفوا فإنكم إن اختلفتم جاءكم معاوية من الشام وعبد الله بن أبى ربيعة من اليمن فلا يريان لكم فضلا لسابقتكم، وإن هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء. انظروا فإن أصابت سعدا فذاك، إلا فأيكم استُخلف فليستعن به، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة.. ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شىء له من الأمر.

عثمان : يا أمير المؤمنين لا تجهد نفسك، فإنا قد وعينا ما تريد.

عمر : دعنى يا عثمان فما زال عندى لكم مقال. أنشدك الله يا على إن ولّيت من أمور الناس شيئا، أن تحمل بنى هاشم على رقاب الناس. أنشدك الله يا عثمان إن ولّيت من أمور الناس شيئا، أن تحمل بنى أبى معيط على رقاب الناس. وأنت يا سعد، وأنت يا زبير، وأنت يا عبد الرحمن.. أنشدكم الله وإن ولّيتم من أمور الناس شيئا أن تحملوا أقاربكم على رقاب الناس.

ابن عوف : اطمئن يا أمير المؤمنين فلن يكون منا إن شاء الله إلا ما تحب.

عمر : إنى أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله، وبالمهاجرين الأولين أن يحفظ لهم حقهم وأن يعرف لهم حرمتهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم ردء الإسلام وغيظ العدو وجباة المال، ألا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم. وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، وأن يؤخذ من حواشى أموالهم فيرد على فقرائهم .. وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم، وألا يكلفوا إلا طاقتهم، وأن يقاتل من ورائهم. اللهم هل بلغت؟ لقد تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة. انصرفوا إن شئتم.

الجميع : جزاك الله عنا وعن المسلمين خيرا يا أمير المؤمنين (**يخرجون**).

(تدخل حفصة أم المؤمنين وفاطمة بنت الخطاب وأم كلثوم وعاتكة فيجلسن حوله)

عمر : أين موالى؟ ادعوا لى موالى كلهم.

أسلم : سأدعوهم لك يا أمير المؤمنين؟ (**يخرج**).

حفصة : ألا نأتى لك بشىء تأكله يا أمير المؤمنين؟

عمر : وما يصنع أبوك اليوم بالطعام؟

حفصة : ولو قليلا يا أمير المؤمنين.

عمر : لا كثيرا ولا قليلا يا حفصة. إن الله قد أغنى أباك عن الطعام.

حفصة : ولا ترغب يا أبت فى شىء تشربه ؟

عمر : لوددت يا بنيتى لو لم يسقنى الطبيب اليوم ذلك اللبن . إذن للقيت ربى وأنا صائم .

(تبكى حفصة ثم تنتحب وتنتحب الأخريات)

حفصة : واأبتاه ! واصهر رسول الله !

أم كلثوم : واأمير المؤمنيناه . واعمراه !

عاتكة : وابعلاه ! و ابن عماه !

فاطمة : واأخاه ! واعمراه !

عمر : مه . مه . من كان باكيا فليخرج . إنى أحرج عليك يا حفصة بما لى عليك من الحق ، وأحرج عليكن جميعا أن تندبننى أو تنحن علىّ .. فأما الدمع فإنى لا أملكه .

(يكففن عن البكاء)

(يدخل أسلم ويرفأ ويسار وسعد الجارى)

عمر : وأين أخوكم وسّق الرومى ؟

أسلم : بحثت عنه يا أمير المؤمنين فى كل مكان فلم أجده .

الآخرون : لم نره يا أمير المؤمنين منذ الصباح .

عمر : تدرون لماذا دعوتكم ؟

الجميع : لا يا أمير المؤمنين .

عمر : إنى قد أعتقتكم فأنتم أحرار لوجه الله .

الجميع : (**بصوت واحد**) فيم يا أمير المؤمنين ؟ ألا تبقينا فى خدمتك ؟

أسلم : (**يبكى**) حنانيك يا أمير المؤمنين ! لا تقصنا عنك .

عمر : هيهات يا أحبابى فإنى لن أعيش .

أسلم : فلتبقنا ما دمت حيا يا أمير المؤمنين .

الآخرون : أجل يا أمير المؤمنين ، أبقنا ما دمت حيا .

عمر : فرق ساعة أو ساعتين .

الجميع : وَإنْ .

عمر : اشهدوا يا آل عمر إذا مت فموالى جميعا أحرار لوجه الله .

الجميع : (**يهوون على قدمى عمر يقبلونهما وهم يبكون**) ليتنا نموت قبلك يا أمير المؤمنين فلا نعتق أبدا .

عمر : ويلكم ! تجلدوا يا غلمان . من ذا يقوم بخدمتى الساعة إذا شغلكم البكاء؟ انهضوا ويلكم .

(ينهضون ويمسحون دموعهم)

عمر : انطلق أنت يا أسلم فادع لى أبا طلحة الأنصارى وأنتم ابحثوا لى عن أخيكم وسق حتى تأتونى به .

الجميع : سمعا يا أمير المؤمنين (**يخرجون**) .

(يسمع أذان المؤذن لصلاة العصر)

عمر : الصلاة .. أنهضونى لأتوضأ .

حفصة : ألا نأتيك يا أبت بالوضوء حيث أنت ؟

عمر : لا ، إنى أريد أن أتطهر من هذا الدم حتى ألقى ربى نظيفا .

حفصة : نخرج نحن يا أبت من عندك ، فإن الحركة تهيضك .

عمر : كلا .. إنى سألت الله ربى أن يقبضنى إليه غير عاجز ولاملوم **(يتحامل على نفسه فيعينه ابنه عبد الله حتى يستوى قائما ، ثم يعتمد على أم كلثوم وعاتكة حتى يخرج الثلاثة)** .

(يدخل عبيد الله بن عمر كالمتسلل كأنه يخشى أن يراه أبوه).

عبيد الله : يتوضأ ويصلى؟

حفصة : نعم. أين كنت يا عبيد الله؟

عبيد الله : **(يزفر زفرة حارة)** آه.

حفصة : وجدت بينة أخرى غير شهادة عبد الرحمن بن أبى بكر؟

عبيد الله : نعم. عاينت الخنجر الذى وجدوه مع أبى لؤلؤة، فتذكرت أنى رأيته ذات يوم مع الهرمزان.

حفصة : الخنجر نفسه؟

عبيد الله : هو بعينه.

حفصة : متى؟

عبيد الله : أيام الحج.

عبد الله : يا أخى إن الهرمزان لم يحج هذا العام.

عبيد الله : ليس هذا العام.. فى عام آخر.. عام حج مع أمير المؤمنين أول مرة.

عبد الله : منذ أربع سنين؟

عبيد الله : نعم.

عبد الله : ما يدريك لعله خنجر آخر يشبهه؟

عبيد الله : كلا بل هو بعينه. ولقد رآه أبى يومذاك فلو أريناه إياه لعرفه.

عبد الله : وأنى لك به؟

عبيد الله : هو ذا معى **(يبرزه ملفوفا فى خرق).**

عبد الله : ويلك من أين جئت به؟ نبشته من حفرته؟

عبيد الله : نعم.

عبد الله : ويلك! ليفعلن بك الفاقرة إن علم أنك نبشته بعدما أمر بإخفائه فى الأرض وطمرِه.

عبيد الله : (**متأففا**) والله إن هذا لفوق ما نطيق. نرى قتلة أبينا بين ظهرانينا فيأبى أبونا إلا أن يتستر على جريمتهم!

عبد الله : صه لا يسمعك!

عبيد الله : أنت أيضا معهم علينا؟

عبد الله : إن أمير المؤمنين نهانا عن الخوض فى هذا الحديث، وعلينا أن نسمع ونطيع.

عبيد الله : كلا لن نسمع ولن نطيع!

فاطمة : رويدك يا ابن أخى! إن أمير المؤمنين واجب أن يُطاع وهو أعلم بما فيه خير المسلمين.

عبيد الله : خير المسلمين وشرنا نحن آل عمر؟

فاطمة : معاذ الله أن يريد بنا عمر شرا. عمر لا يريد بنا إلا خيرا.

(**يدخل عمر متهاديا بين زوجتيه عاتكة وأم كلثوم**).

عمر : عبيد الله أين كنت يا بنى؟

عبيد الله : يا أبت إنى كنت أسعى فى حاجات آل عمر.

عمر : وما ذاك الذى أخفيته بين ثيابك؟

عبيد الله : أرأيته يا أمير المؤمنين؟

عمر : لمحته حين أخفيته، كأنك تخشى أن أراه.

عبيد الله : أجل يا أمير المؤمنين، أتريد أن تراه؟

عمر : بل اريد أن أعرف ما هو ؟

عبيد الله : شاهد عدل يا أمير المؤمنين .

عمر : شاهد عدل على ماذا ؟

عبيد الله : على أن الهرمزان كان شريكا فى دمك .

عمر : (**فى غضب**) يا عبد الله ويا حفصة ويا عبيد الله ، ألم أنهكم عن الخوض فى هذا الحديث ؟

عبد الله : بلى يا أمير المؤمنين .

عمر : أوَقد أمسيت ولا يطاع لى بين أهلى أمر ؟

حفصة : معاذ الله يا أبت ، أمرك مطاع فى كل حين .

عمر : من عبيد الله أريد الجواب .

عبيد الله : يا أمير المؤمنين من حقنا أن نطالب بدم أبينا .

عمر : أعِد ما قلت !

عبيد الله : من حقنا أن نطالب بدمك .

(ينظر إليه مليا نظرة صارمة دون قول)

(يصمت الجميع كأنما على رءوسهم الطير ، ويرثون لعبيد الله من نظرة عمر) .

عبيدالله : يا أبت ارحمنى لا تنظر إلى هكذا . قل لى ماذا تريد ؟

عمر : بخ ! بخ ! فى بيت أمير المؤمنين يدعى بدعوى الجاهلية ؟

عبيد الله : يا أبت اغفر لى فلن أعود إلى مثلها . .

عمر : يا عبيد الله بن عمر ، أنشدك الله إن مات أبوك أن تشتمل على سيفك فتضرب به يمينا وشمالا غضبا لأبيك . يا عبيد الله

ابن عمر ليس لك ذلك إلا ببينة وعلى يد السلطان .

حفصة : فليكن ذلك ببينة يا أمير المؤمنين وعلى يد السلطان .

عمر : كيف ؟

حفصة : تأمر أحد رجالك فيأتى بالهرمزان وجفينة أمامك ، فتسألهما عن هذا الأمر فسيكشف لك الله حالهما إن كانا بريئين أو مذنبين .

(يدخل أسلم) .

أسلم : هذا أبو طلحة يا أمير المؤمنين .

حفصة : ابعث أبا طلحة يا أمير المؤمنين لهذه المهمة .

عمر : يا بنية بئسما أشرت على أبيك . كلا والله لا أدع مصالح المسلمين وأبحث لى عن قتلة آخرين . إنما دعوت أبا طلحة لمهمة أخرى . ائذن له يا أسلم .

(تنسحب النسوة)

(يدخل أبو طلحة الأنصارى) .

أبو طلحة : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . كيف أم سليم ؟

أبو طلحة : تدعو لك يا أمير المؤمنين وتبكى ، ثم تذكر رسول الله ﷺ فتفرح لك .

عمر : وما يدريها يا أبا طلحة ألا يخالف بى عن سبيله ؟

أبو طلحة : يا عمر ، إن رحمة الله واسعة فلا تؤيس الناس منها .

عمر : صدقت يا أبا طلحة وأحسنت المؤاساة .

أنا أبو طلحة واسمى زيد

وكل يوم فى جرابى صيد

أبو طلحة : هيهات يا أمير المؤمنين ! ذاك عهد ألوت به الأيام .

عمر : يا ويلتا ! الوقت قصير والحديث ذو شجون والأجل لا ينتظر . أصغ إلىّ أبا طلحة .

أبو طلحة : إنى مصغ يا أمير المؤمنين .

عمر : يا أبا طلحة ، لقد كنت سيف رسول الله ﷺ ثم سيف أبى بكر ثم سيفى ، فجزاك الله عن الإسلام خيرا . وهذا يوم من أيامك قد ساقه الله من حيث لا نتوقع ، فكن كالعهد بك واستعن بالله وتوكل عليه .

أبو طلحة : يا أمير المؤمنين مرنى أطعك بطاعة الله ورسوله .

عمر : إذا أنا مت يا أبا طلحة فكن فى خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى ، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون فى بيت أحدهم . فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضى اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم . فإن استقاموا فذاك وإلا فادخلوا واضربوا أعناقهم وليصل بالناس فى الأيام الثلاثة صهيب مولى بنى جدعان .

أبو طلحة : طِبْ بالا يا أمير المؤمنين .

عمر : جزاك الله عن الإسلام خيرا . اذهب فاختر قومك الأنصار . اللهم أنت خليفتى عليهم .

(يخرج أبو طلحة)

(تعود حفصة أم المؤمنين وفاطمة وعاتكة وأم كلثوم) .

حفصة : يا أبت أرجو ألا أكون محل غضبك .

عمر : عليك أغضب يا أم المؤمنين ؟ إنى أريد أن أخرج من هذه الدنيا وأنت راضية عنى وأنا عنك راض .

عبد الله : وأنا يا أبت ؟

عمر : وأنت يا عبد الله ، وإن كنت لا تحسن طلاق امرأتك . إنى لأزهى بك فى الآباء يا عبد الله بن عمر .

عاتكة : وأنا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أنا عنك راض يا أم عياض يا ابنة العم ، ويا جلاء الغم ، وإن شرطت علىّ الشروطَ وحاولت يوما أن تفسدى بينى وبينِ أم كلثوم .

أم كلثوم : وأنا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : وأنت يا بنت رسول الله كيف لا أرضى عنك ، وقد صبرت على قليلى ، وتحملت ما تحملت فى سبيلى .

فاطمة : وأنا يا عمر ؟

عمر : وأنت كيف لا يرضى عنك عمر ، وأنت التى هديت عمر ؟ اغفرى لى أنت يا فاطمة وثبتى بزوجك ، ولطمتى على وجهك (**ينظر إلى عبيد الله كأنه ينتظر منه الكلام**) . وأنت يا عبيد الله ما لك لا تسأل أباك ؟

عبيد الله : أخشى يا أبت أن تسمعنى ما لا أحب .

عمر : تبا لك يا غدر . أتظن أباك يسخط حقا عليك ؟

عبيد الله : أحقا يا أبى أنت راض عنى ؟

عمر : نعم، إلا ما كان منك فى عام الرمادة إذ ذبحت شاة ابنك الرضيع وشويتها فى التنور لتأكلها وحدك من دون المسلمين، فأخذها منك رجل وبعث بها إلى أهل بيت صالح من الأنصار.

(يضعف ويكاد يتهاوى فيتلقاه ابنه عبد الله فيضع رأسه على فخذه).

(يدخل يرفأ وسعد الجارى ومعهما وسق).

يرفأ : يا أمير المؤمنين هذا غلامك وسق الرومى قد جئناك به.

عمر : ادخل يا وسق أدن منى **(يدنو منه وسق فى خوف وخجل)** ألم تعلم ما أصابنى؟ ألم ترد أن ترانى قبل أموت؟

وسق : **(يبكى)** سامحنى يا أمير المؤمنين.

عمر : لا جناح عليك! إنما أردت أن أراك لأشهدك أنى قد أعتقتك فأنت حر لوجه الله.

وسق : **(يشتد بكاؤه)** يا أمير المؤمنين. سامحنى، سامحنى.

عمر : ما خطبك يا أخا الروم؟

وسق : ولى الأمان من غضبك يا أمير المؤمنين؟

عمر : نعم.

وسق : لقد خنتك يا أمير المؤمنين إذ لم أبلغك ما فعل جفينة.

عمر : **(كالكاره)** وماذا فعل؟

وسق : استدرجنى ذات يوم إلى بيته فسقانى الخمر، ثم أخذت أتردد عليه كلما حننت إلى الشراب. فلما استوثق منى

عرض عليّ أن أغتالك يا أمير المؤمنين ، ووعد أن يؤوينى عنده حتى أتمكن من الهرب إلى أرض الروم ، فيقدمنى بكتاب منه إلى قيصر ليكافئنى ويقلدنى منصبا كبيرا عنده (**يتململ عبيد الله ولكنه يتجلد ولا يتكلم**) .

عمر : ولكنك رفضت .

وسق : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : فبحسبى هذا منك .

وسق : بل كان عليّ يا أمير المؤمنين أن أخبرك بأنه يعمل جاسوسا لملك الروم عليك .

عمر : اللهم أعلمه صاحب كتاب يعلم أولاد المسلمين القراءة والكتابة .

وسق : ليكون ستارا يا أمير المؤمنين يخفى به حقيقة أمره .

عمر : ومن أجل ذلك يا وسق هربت منا اليوم ؟

وسق : أجل يا أمير المؤمنين ، لو كنت أخبرتك لربما اتقيت هذا الذى أصابك اليوم .. فإنى لمحت هذا الكلب أبا لؤلؤة يوما عنده .

حفصة : (**فى اندفاع**) عنده فى بيته ؟

وسق : نعم .

(**يهم عبيد الله أن يتكلم ولكنه يتراجع**) .

عمر : هون عليك يا وسق . إن العجم يستروح بعضهم إلى بعض !

وسق : فسامحنى يا أمير المؤمنين واعف عنى .

عمر : قد سامحتك وعفوت عنك . اذهب فأنت حر لوجه الله .

وسق : (**يبكى**) جزيت خيرا يا أمير المؤمنين يا أكرم الناس وأبر الناس

(يخرج وينسل خلفه عبيد الله بن عمر)

(يدخل أسلم) .

أسلم : يا أمير المؤمنين بالباب أبو رافع ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس .

عمر : مرحبا بآل بيت رسول الله . ائذن لهم .

(تخرج النسوة ثم يدخل الثلاثة) .

أبو رافع : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام . مرحبا بمولى رسول الله . مرحبا بالقادم من مصر .

على : معذرة يا أمير المؤمنين ، وجدنا أبا رافع ذاهبا للسلام عليك فأتينا معه .

عمر : مرحبا بكما ، إنى لأجد فيكما ريح النبوة .

أبو رافع : ومعذرة يا أمير المؤمنين إذ تقدمتهما ، فهما اللذان قدمانى .

عمر : مولى القوم منهم ، ولك حق القادم من سفر . متى قدمت يا أبا رافع ؟

أبو رافع : الساعة يا أمير المؤمنين فى وفد من أهل مصر فيهم ابنة أخت المقوقس .

عمر : أرمانوسة ؟

أبو رافع : نعم ، وزوجها يونس بن مرقص .

عمر : الدمشقى صاحب خالد بن الوليد؟

أبو رافع : يا أمير المؤمنين .

عمر : مرحبا بهما فى المدينة . لولا ما أنا فيه لأحببت أن ألقاهما . أتراها أسلمت إذ تزوجت يونس؟

أبو رافع : لا يا أمير المؤمنين . بقيت على دينها .

عمر : أكرموها ، أكرموها . ولو كنت بخير لتوليت إكرامها .

أبو رافع : والبطريق بنيامين يهديك السلام يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف حاله؟

أبو رافع : بخير ويدعو لك .

عمر : عاد إلى كرسى كنيسته؟

أبو رافع : نعم يا أمير المؤمنين ، وقد حملنى أمانة لأبلغها إليك .

عمر : هات .

أبو رافع : قال لى قل لعمر حين تلقاه : الحمد لله لقد وجدنا نحن القبط أمنا من الخوف واطمئنانا بعد البلاء ، وصرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم ، وإن مثل قومى القبط فى فرحهم بعهدكم هذا مثل الأسخال قد حلت منها قيودها وأطلقت لترتشف من ضروع أمهاتها

عمر : ما أحسن ما قال . لطالما حدثنى عمرو بن العاص عنه حتى تمنيت أن ألقاه .

أبو رافع : وهو أيضا يا أمير المؤمنين فى شوق أن يراك ، ولقد سر كثيرا حين قيل له إنك تزمع السفر إلى مصر .

عمر : أجل كنت أريد ذلك ، ولكن الله أراد غير ذلك (**تدمع عيناه**) .

أبو رافع : ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين إن شاء الله .

عمر : ويحك يا أبا رافع ! لئن لم يكن علىّ اليوم ليكونن بعد اليوم ، وإن للحياة لنصيبا من القلب وإن للموت لكربة .

ابن عباس : يا أمير المؤمنين إن كربة الموت لتهون فيما أنت صائر إليه : الجنة إن شاء الله .

عمر : غُر بهذا غيرى يا ابن العباس . والله لو أن لى ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع .

ابن عباس : ولِمَ لا أقولها لك يا أمير المؤمنين ، وقد فتح الله بك الفتوح ، ومصر بك الأمصار ، ودفع بك النفاق ، وأفشى بك الرزق ، ولم يختلف فى خلافتك رجلان ؟

على : أجل يا أمير المؤمنين ، لقد صدق ابن عباس .

عمر : أبالإمارة تزكوننى ؟ والله ما أصبحت أخاف على نفسى إلا إمارتَكم هذه .

ابن عباس : وبغير الإمارة يا أمير المؤمنين ، فوالله إن كان إسلامك لعزا ، وإن كانت هِجرتك لفتحا ، ولقد ملأت الأرض عدلا ، وقُتلت مظلوما .

عمر : (**يتحامل على نفسه ليجلس فلا يقدر**) تشهد لى بذلك يا ابن عباس عند الله يوم القيامة ؟

على : نعم يا أمير المؤمنين ، نشهد لك بذلك عند الله يوم القيامة .

عمر : الحمد لله ! يا عبد الله بن عمر أصغ إلىّ .

عبد الله : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : إذا أنا مت فاحملونى على سريرى ، ثم قف بى على باب عائشة أم المؤمنين فقل : يستأذن عمر بن الخطاب . فإن أذنت لى فأدخلنى ، وإن لم تأذن فادفنى فى مقابر المسلمين .

عبد الله : يا أمير المؤمنين إنى قد استأذنتها اليوم فأذنت .

عمر : أجل ، ولكنى أخشى أن تكون أذنت وأنا حى حياء منى لسلطانى . يا عبد الله بن عمر .

عبد الله : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : إذا أنا مت فأغمضنى واقصد فى كفنى ، فإن كان لى عند الله خير أبدلنى خيرا منه ، وإن كنت على غير ذلك سلبنى ، وأسرعوا فى المشى فإن كان لى عند الله خير تقدمونى إليه ، وإلا فشر تضعونه عن رقابكم . يا عبد الله بن عمر .

عبد الله : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : انظر هل حانت صلاة المغرب ؟

عبد الله : لا يا أمير المؤمنين . لم تغرب الشمس بعد !

عمر : ضع رأسى على الأرض يا بنى .

عبد الله : يا أبت وهل فخذى والأرض إلا سواء ؟

عمر : يا بنى ضع خدى بالأرض .

عبد الله : يا أبت إن فخذى ألين لك .

عمر : يا عبد الله أطعنى لا أم لك . ألصق خدى بالأرض حتى لا يكون بين خدى وبين الأرض شىء .

(ينزل رأس عمر عن فخذه ويلصق خده بالأرض) .

عمر : (**بصوت متقطع ضعيف**) ويلى وويل أمى إن لم يغفر الله لى .

(**يغمض عبد الله عينى عمر**) .

ابن عباس : ما تصنع يا عبد الله ؟

عبد الله : أعمل بوصية أبى .

ابن عباس : (**فى جزع**) أوَقد .... ؟

عبد الله : نعم .

على : لا حول ولا قوة إلا بالله .

أبو رافع : إنا لله وإنا إليه راجعون .

على : (**تدمع عيناه**) يرحمك الله يا أبا حفص . ما خلفت أحدا أحب إلى إن ألقى الله بمثل عمله منك . وأيم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك . وذلك أنى كنت كثيرا ما أسمع رسول الله ﷺ يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر) .

(**ستـــار**)


خاتمه

المشهد الأول

جانب من المسجد النبوى الشريف يظهر فيه المنبر وقد جلس عليه عثمان بن عفان ، ووقف أمامه عبيد الله بن عمر فى يديه القيد وبجانبه أبو طلحة الأنصارى كأنه يحرسه . وقد ظهر على يمين المنبر بعض كبار الصحابة على وطلحة والزبير وسعد وابن عوف وعبد الله بن عمر ، وعلى يسار المنبر القماذبان وكعب الأحبار والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ، ومن دون هؤلاء وأولئك أفياء من الناس امتلأ بهم المسجد .

عثمان : ادع لى عبد الرحمن بن أبى بكر ليؤدى شهادته .

أبو طلحة : (**مناديا**) عبد الرحمن بن أبى بكر .

(**يظهر عبد الرحمن بن أبى بكر ويقف أمام المنبر**) .

عثمان : أرنا الخنجر يا صهيب .

صهيب : (**ينهض**) هو ذا يا أمير المؤمنين (**يبرز الخنجر فى يده**) .

عثمان : يا عبد الرحمن بن أبى بكر ، أهذا الخنجر الذى وصفته ؟

عبد الرحمن : نعم يا أمير المؤمنين هو بعينه .

عثمان : فماذا ترى فى الهرمزان وجفينة ؟

عبدالرحمن : إن كان هذا هو الخنجر الذى قتل به عمر ، فلا أرى الثلاثة الا قد اجتمعوا على قتله .

عثمان : فهل ترى أن الهرمزان وجفينة كانا متواطئين مع أبى لؤلؤة .
عبد الرحمن : نعم إن كان هذا هو الخنجر الذى قتل به عمر .
عثمان : من الذى ألقى البرنس على عدو الله أبى لؤلؤة يوم الحادث ؟
صهيب : حطان أخو بنى غنم .
عثمان : ادعه يا أبا طلحة .
أبو طلحة : (مناديا) حطان أخا بنى غنم !
(**يظهر حطان**) .
عثمان : أنت الذى انتزعت الخنجر من أبى لؤلؤة ؟
حطان : نعم يا أمير المؤمنين .
عثمان : أهو هذا ؟ (**يشير إلى الخنجر فى يد صهيب**)
حطان : أجل هو بعينه .
كعب : قامت عليهما البينة إذن يا أمير المؤمنين .
أنس : كذبْت يا كعب ، أين هى البينة ؟
كعب : الخنجر الذى قتل به عمر هو الذى رآه عبد الرحمن بن أبى بكر مع الثلاثة ليلة الحادث .
أنس : يا أمير المؤمنين ، ما يدرينا ماذا كان حديثهم ساعة بغتهم عبد الرحمن بن أبى بكر ؟
كعب : لا ريب كانوا يتناجون بقتل أمير المؤمتين عمر .
أنس : يا عبد الرحمن بن أبى بكر ، هل سمعت من حديثهم شيئا ؟
عبد الرحمن : اللهم لا .
أنس : يا أمير المؤمنين ، إن العجم فى المدينة يستروح بعضهم إلى بعض .. فلعل أبا لؤلؤة قد جالسهما تلك الليلة دون أن

يطلعهما على نيته السيئة .

كعب : فكيف ثاروا لما بغتهم ابن أبى بكر فسقط من بينهم الخنجر ؟

أنس : سبحان الله ثاروا للبغتة.

عبيد الله : يا شيخ السوء ، أتدافع عن قتلة عمر ؟

أنس : غفر الله لك يا ابن أخى . إنى أعرف الهرمزان وأعرف إخلاصه ونسكه وحبه لأبيك ، فلا يعقل أن يشترك فى قتل أبيك .

عبيد الله : تذكر أنه قتل أخاك البراء بن مالك .

أنس : إنما كان ذلك حين كان مشركا قبل أن يهديه الله إلى الإسلام .

كعب : كان ملكا من ملوك التاج فى فارس ، فلا غرو ولو كان مسلما أن يحقد على من مزق ملكهم .

عبد الله : يا كعب بن ماتع اتق الله !

كعب : يا ابن عمر إنى أريد أن أنقذ أخاك .

عبد الله : بل أنت داعى فتنة .

كعب : داعى فتنة ؟

عبد الله : يا كعب بن ماتع لا تدعنى أفشى للناس ما أمرنى عمر بإخفائه .

كعب : يا عبد الله بن عمر ، إن كنت لا تريد أن أنتصف لأخيك من قتلة أبيك فأنت صاحب الكلمة الأولى فى ذلك (**يجلس**)

عبيد الله : يا أخى إن لم تشأ أن تدافع عنى ، فلا تمنع غيرك أن يفعل .

عبد الله : يا أخى لا يغرنك من يدافع عنك بالباطل فلن ينفعك . وإن

أمير المؤمنين قد أحضر هؤلاء الجلة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار لينظروا معه فى أمرك ويشيروا عليه فيما يقضى به ، وإنهم لن يظلموك .

عبيد الله : وماذا يمنعهم من ظلمى وقد سرهم مقتل أبى ؟

عبد الله : مه يا عبيد الله .

عبيد الله : هذا أحدهم قد تطوع آنفا فظلمنى إذ دافع عن الهرمزان وأثنى عليه ، وطالب بدمه وأهدر دم عمر .

أنس : معاذ الله يا ابن أخى أن يصدر ذلك من رجل مسلم .

عبيد الله : من دافع عمن قتلك فقد أهدر دمك .

أنس : يا ابن أخى ، إنى شهدت بما أعلم من دخيلة الهرمزان . والله عز وجل يقول ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ .

عبيد الله : واعمراه ! وأبتاه ! لقد صار أصحابك يا أبى يخشون الله فى قتلتك ولا يخشونه فيك .

عثمان : والآن يا معشر المهاجرين والأنصار ، أشيروا علىّ فى هذا الذى فتق فى الدين ما فتق .

عبيد الله : كلا والله ما فتقت ، ولكنى رقعت الفتق .

عثمان : اسكت فليس الحديث موجها إليك .

عبيد الله : لا والله لا أسكت عن الحق أبدا .

عثمان : ماذا ترون فيه يا معشر المهاجرين والأنصار ؟

(يصمت الجميع كأنهم يشفقون على عبيد الله من الحكم بالقتل) .

عثمان : ويحكم ما بالكم لا تجيبون ؟ أشيروا عليّ فى أمره .

على : يا أمير المؤمنين أرى أن تقتله ، فما من الحق تركه .

سعد : وأنا أرى أيضا أن تقتله .

الزبير : وأنا كذلك .

طلحة : ليس من الحق تركه .

عبيد الله : هيه ! لقد وضح الصبح لذى عينين .

عثمان : ماذا تعنى ؟

عبيد الله : إن أناسا طمعوا فيها بعد عمر ، فاستطالوا أيام عمر .

عثمان : مه ! يا هذا لا تعرض بالمسلمين .

عبيد الله : والله لو أمكننى الله لأقتلن رجالا ممن شرك فى دم أبى . لا والله لا يذهب دم عمر هدرا أبدا . أواه ليتنى بدأت بهم قبل جفينة والهرمزان .

عثمان : يا ابن أخى لا تجعل على نفسك سبيلا .

عبيد الله : ألأنى جهرت بالحق ؟

عثمان : ويلك ! لقد مات عمر يرحمه الله وهو يقول : الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى بسجدة سجدها لله قط .

عبيد الله : بل أدرك بفراسته حقيقة الأمر ، ولذلك سألكم : أعن ملأ منكم كان هذا ومشورة ؟ ولكن عمر كان دائما يصون حقوق الناس ويفرط فى حق نفسه وأهله !

عبد الله : ويلك إنك لتقول قولا عظيما . إنك لتتهم أصحاب رسول الله ﷺ بالاشتراك فى دم أبيك .

عبيد الله : إى والله .

عثمان : ويلك من تتهم منهم؟

الزبير : أتتهم جزافا؟

عبيد الله : إن الذى شهد لى بذلك لم يشأ أن يعينهم ، وإلا لما تركتهم .

عثمان : من الذى شهد لك بذلك؟

عبيد الله : رجل ثقة مطلع على بواطن الأمور .

عثمان : من يكون؟

عبيد الله : لست فى حل من ذكر اسمه ، فقد استحلفنى لا أبوح باسمه لأحد .

على : يا ابن أخى أتصدق كلام هذا الفاسق فى أصحاب رسول الله وأصحاب أبيك؟

عبيد الله : كلا ما هو بفاسق .

على : أوَ كان يوغر صدرك على أصحاب رسول الله لو لم يكن فاسقا ، يريد أن يثير الفتنة بين المسلمين؟

عثمان : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾

عبيد الله : هذه نزلت فى أخيك لأمك الوليد بن عقبة بن أبى معيط .

على : ولكنها تصدق على كل فاسق يريد أن يكيد لله ولرسوله وللمسلمين .

عبيد الله : لكن صاحبى ليس كذلك . إنى لا أشك فى صدقه وأمانته ، وما جربت عليه كذبا قط ، وما أخبرنى بشىء إلا وقع وتحقق .

عثمان : فقل لنا من هو؟

عبيد الله : بحسبك أن تعلم أنه هو الذى أخبرنى بشهادة عبد الرحمن بن أبى بكر قبل أن أسمعها من عبد الرحمن بن أبى بكر .

سعد : يا أمير المؤمنين لا تدعه حتى يذكر لنا اسم ذلك الفاسق .

عبيد الله : لا والله لا أبوح باسمه لو قطعتم حلقومى .

كعب : (**ينهض**) يا أمير المؤمنين لو سألت جمهور المسلمين فى هذا الأمر لقالوا لك جميعا : يقتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ؟ هذا لا يكون أبدا . يا معشر المسلمين إن كان هذا رأيكم فاجهروا به .

المسلمين : (**أصوات من كل ناحية فى المسجد**) أجل يا أمير المؤمنين . هذا لا يكون أبدا . كيف يقتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ؟ ليس هذا من العدل .

عثمان : (**يحاول إسكاتهم**) على رسلكم أيها الناس .

المسلمون : أبعد الله جفينة والهرمزان . إن شهادة عبد الرحمن بن أبى بكر لكافية .

عثمان : نشدتكم الله معشر المسلمين ، لو كان عمر حيا أكان يتركه .

(**ينهض عمرو بن العاص**)

عمرو : يا أمير المؤمنين ، إن جاز لعمر أن يشتد على نفسه وآله فليس لنا ذلك .

عثمان : لمَ لا ؟ أليس لنا فى عمر أسوة حسنة ؟

عمرو : الأسوة بعمر أن نشتد على أنفسنا وآلنا ، لا أن نشتد على عمر وآل عمر .

على : يا ابن العاص إنما ذلك فى غير حدود الله ، فأما فيها فلا يجوز التساهل مع آل عمر ولا غير آل عمر .

عمرو : لكن النبى ﷺ أوصى بأن تُدرأ الحدود بالشبهات .

على : فأين الشبهة والجانى مُقِرٌّ ومُصِرٌّ ؟

عمرو : يا أبا الحسن ، إن هو إلا شاب أخذ بثأره من قتلة أبيه .

على : لسنا فى الجاهلية يا ابن العاص . ليس له ذلك إلا ببينة وعلى يد السلطان .

عمرو : ليس من بينة واضحة ، ولكن القرائن تدل .

المسلمون : (**من أركان المسجد**) أجل يا أمير المؤمنين . القرائن تدل ، ما كان أبو لؤلؤة وحده . كان معه جفينة والهرمزان . ليس من العدل أن يقتلوا عمر أمس ونقتل نحن ابنه اليوم . لتجعلن له مخرجا يا أمير المؤمنين أو ليكونن شر كبير .

(ينظر عثمان إلى علىّ كأنه يستنجد به فى هذه المشكلة)

عثمان : ما الرأى يا أبا الحسن ؟

على : اتق الله يا عثمان ، ولا تبدأ عهدك بنقض حكم من أحكام الله .

عثمان : وجمهور المسلمين يا أبا الحسن ؟

على : إنهم لن يغنوا عنك غدا من الله شيئا .

عثمان : يا أصحاب رسول الله أما من مخرج ؟

عمرو : يا أمير المؤمنين عندى لك مخرج .

عثمان : هات يا أبا عبد الله .

عمر : إن هذا الأمر كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان .

عثمان : يا أصحاب رسول الله أما من مخرج ؟

علی : لا مخرج یا أمیر المؤمنین إلا أن یعفو أولیاء المقتولین .

المغیرة : أنا یا أمیر المؤمنین ولی ابنة أبی لؤلؤة ، وقد عفوت وقبلت الدیة وأبرأت منها آل عمر .

المسلمون : أحسنت یا ابن شعبة أحسن الله إلیك .

عثمان : فمن ولیّ جفینة ؟

سعد : لیس لجفینة ولی یا أمیر المؤمنین .

عثمان : فأنا ولی من لا ولی له ، وقد جعلتها دیة واحتملتها فی مالی .

المسلمون : أحسنت یا أمیر المؤمنین . أحسن الله إلیك .

عثمان : بقی ولی الهرمزان ؟

(ینهض القماذبان فتطلع إلیه العیون) .

القماذبان : أنا القماذبان یا أمیر المؤمنین .. ابن الهرمزان .

عثمان : ماذا تری یا قماذبان ؟

المسلمون : اقبل الدیة یا قماذبان . اصنع كما صنع المغیرة وأمیر المؤمنین .

عثمان : أیها الناس دعوه یقل ما عنده ، ولا تحملوه علی ما لا یحب .

القماذبان : یا أمیر المؤمنین ألی أن أقتله ؟

عثمان : نعم .

القماذبان : ولا تمنعونه منی ؟

عثمان : لا ولا أحد یمنعه منك ، إلا أن تعفو أنت وتقبل الدیة .

القماذبان : فإنی قد عفوت یا أمیر المؤمنین وقبلت الدیة .

عبید الله : لكنی لا أقبل یا أمیر المؤمنین . لا دیة لقتلة عمر .

عثمان : لا تخف یا عبید الله . إنی سأحتملها فی مالی .

عبید الله : كلا لا أقبل منك یا أمیر المؤمنین أن تدی من قَتَلَ أبی .

عثمان : إذن ندفعك إليه ليقتلك .

عبيد الله : افعلوا . دعوهم يقتلونى كما قتلوا أبى . أليس ذلك هو ما تبتغون ؟ اقتلوا آل عمر جميعا ولا تبقوا منهم على أحد !

المسلمون : يا عبيد الله بن عمر اقبل . لا تجعل على نفسك سبيلا . إنا نشفق عليك .

عبيد الله : يا معشر المسلمين جزيتم خيرا . ولكنى أوثر أن أقتل كما قتل عمر على أن تدفع الدية لقاتل عمر .

عثمان : لا مناص إذن من قتلك . لقد حكمت على نفسك .

كعب : حنانيك يا أمير المؤمنين . لا تعجل على عبيد الله واعذره فإنه موتور .

(يتهامس عبد الله بن عمر وابن عوف وينظران إلى كعب فى استياء) .

ابن عوف : يا أمير المؤمنين لو أذنت لى ولعبد الله بن عمر فكلمنا عبيد الله على حدة ، فلعلنا نستطيع أن نرده إلى صواب .

عثمان : افعلا إن شئتما .

(ينزل ستار أمامى فيحجب المنظر الأول ويظهر عبيد الله وعبد الله وابن عوف وحدهم) .

ابن عوف : يا ابن أخى إن هذا اليهودى لن يهديك إلى خير .

عبيد الله : قد علمت أنكما كرهتما ذبّه عنى ودفاعه .

ابن عوف : إنك لا تعرف سوء طويته .

عبيد الله : سبحان الله ! وما شأنى بطويته ؟

ابن عوف : لقد راقبناه جيدا فرأيناه يومئ للقماذبان ألا يقبل إلا القود ،

فلما أعرض عنه القماذبان وأعلن قبوله للدية طفق يحرضك بعينه لترفض ما فيه نجاتك وخلاصك .

عبيد الله : والله لشد ما أسأتما الظن بكعب .

عبد الله : يا أخي لو تعلم رأى أبيك فيه .

عبيد الله : وما رأى أبي فيه ؟

عبد الله : أخبره يا ابن عوف عسى أن يصدقك خيرا مني .

ابن عوف : تعاهدنا أن تكتمه ولا تفشيه لأحد ؟

عبيد الله : وعلام ذلك ؟

ابن عوف : وصية من عمر .

عبيد الله : عاهدتكما لا أفشيه لأحد .

ابن عوف : (**بصوت خافض**) كان عمر يرى أن كعبا من المتواطئين مع أبي لؤلؤة .

(يدهش عبيد الله وتتسع حدقتاه ويتهامس الثلاثة هنيهة بكلام غير مسموع)

عبيد الله : تبا لليهودى الكلب . والله لأقتلنه شر قتلة !

عبد الله : صه لا يسمعنك أحد . إن أباك أخذ علينا عهدا أن نكتم هذا الأمر ولا نثيره . ولولا حرصنا على حياتك ما أخبرناك به .

ابن عوف : فكن عند حسن ظننا يا عبيد الله ، ولا تكن أول من ينقض وصية أبيك .

عبيد الله : (**يتنهد آسفا**) أواه منك يا عمر ! لشد ما تهضمت نفسك وأهلك .

(يرفع الستار الأمامى ويظهر المنظر الأول من جديد ، ويعود عبيد الله وابن عوف إلى حيث كانوا)

عبد الله : يا أمير المؤمنين لقد عاد أخى إلى صوابه .

عثمان : أحقا يا عبيد الله ؟

عبيد الله : نعم .

عثمان : الحمد لله .

على : يا أمير المؤمنين أعد الآن عليهم السؤال أيقبلون الدية أم يصرون على القَوَدِ ، فقد عاد لهم الخيار برفض عبيد الله .

عثمان : صدقت يا أبا الحسن . أنا ولى جفينة قد جعلتها دية واحتملتها فى مالى .

المغيرة : وأنا ولى ابنة أبى لؤلؤة قد قبلت الدية وأبرأت منها آل عمر .

القماذبان : (**تتطلع إليه العيون مرة أخرى**) ألى الآن أن أقتله يا أمير المؤمنين ؟

عثمان : نعم فقد عاد إليك الخيار .

القماذبان : فإنى أتركه لله عز وجل .

المسلمون : (**أصواتهم من كل جانب**) بوركت يا قماذبان . بوركت يا ابن الهرمزان . أيها المسلمون احملوا هذا الفتى على أعناقكم .

القماذبان : رويدكم أيها المسلمون . إن أنا إلا واحد منكم . دعونى أرجع إلى منزلى .

المسلمون : (**أصواتهم**) لا والله يا فتى ، لا تعود إلى منزلك إلا على الأعناق .

(**ستار**)

المشهد الثانى

فى بيت عبد الله بن عمر

يرفع الستار عن عبد الله بن عمر وامرأته صفية بنت أبى عبيد ، وعندهما مرداوند وابنها القماذبان وكأنهم فرغوا لتوهم من طعام الغداء .

عبد الله : ما خطبكما اليوم؟ ما أكلتما شيئا .

مرداوند : أكلنا يا سيدى والحمد لله .

صفية : لعل العصيدة لم تعجبهما .

القماذبان : بلى يا سيدتى أعجبتنا .

صفية : أين هى من الآكال الفارسية التى تصنعها أمك ؟

القماذبان : أصبحت يا سيدتى أوثر الأطعمة العربية .

مرداوند : وأنا أيضا صِرت أحبها وأفضلها .

صفية : علام إذن لم تأكلا كما يجب .

(ترفع ما بقى من الصحاف) .

عبد الله : لا تحاولا الإنكار . ما أكلتما اليوم شيئا .

القماذبان : سأخبرك يا سيدى بالسبب . الهم هو الذى شغلنا عن الطعام .

عبد الله : أى هم ؟

مرداوند : ما كنا نريد أن نثقل عليك .

عبد الله : كلا .. إنما تثقلان علىّ حينما تخفيان عنى ما يكر بكما .

مرداوند : هذا الذى تثيره شيرين الفارسية حول الهرمزان .

القماذبان : وتطالب عثمان أمير المؤمنين بأن يعيد النظر فى القضية من جديد .

مرداوند : لا يأتينا السوء إلا من فارس . العرب قد سامحونا ، وتأتى هذه الفارسية لتحرض علينا مرة ثانية .

عبد الله : اطمئنا .. لن يمسكما من جراء ذلك أى مكروه .

القماذبان : لقد بلغنا أنها اتصلت برومانوس ورفاقه من وفد مصر ، ليساعدوها فى مطالبة أمير المؤمنين بذلك .

عبد الله : لكن أمير المؤمنين لن يستجيب لذلك أبدا .

مرداوند : من يدرى ؟

عبد الله : قد كلمنى فى ذلك فاتفق رأيه ورأيى على العمل بوصية عمر .

القماذبان : واها عليك يا عمر ! ما زلت تحمينا حتى وأنت فى قبرك .

(يدخل غلام حدث) .

الغلام : بالباب يا سيدى رجل اسمه رومانوس ومعه جماعة من رجال ونساء .

(يسود صمت قصير يتوتر فيه الموقف وتنظر شيرين شز إلى مرداوند) .

صفية : مرحبا بك يا أرمانوسة ، ومرحبا بك يا شيرين ، ومرحبا بك يا خولة . الحمد لله اجتمع فى بيتنا اليوم مصرية وفارسيتان .

رومانوس : وعربية من بنى أسد !.

صفية : (**مبتسمة**) أجل يا أبا الروم ، وعربية من بنى أسد .

رومانوس : لعلنا جئنا فى وقت غير مناسب ، ولكنى أنا الذى اخترت لهم هذا الوقت لعلمى أننا سنجدك فيه يا عبد الله بن عمر فى البيت قبل أن تخرج لصلاة العصر .

عبد الله : مرحبا بكم فى كل وقت . هاتى لضيوفنا ما عندك يا صفية .

الجميع : كلا قد تغدينا جميعا منذ قليل .

عبد الله : أين تغديتم ؟

المعنى : فى بيت سعد بن أبى وقاص .

صفية : عند سلمى بنت خصفة الشيبانية .

رومانوس : قلت له أسرع بغدائنا لنلحق عبد الله بن عمر .

شيرين : كلمه يا أبا الروم فيما جئنا من أجله .

المعنى : قبل أن تحين صلاة العصر .

عبد الله : هل من حاجة فأقضيها لكم ؟

صفية : لا يا عبد الله لا تقض لهم شيئا ، حتى تأخذ منهم عهدا أن يأكلوا عندى كما أكلوا عند سلمى الشيبانية .

عبد الله : صدقت يا صفية . متى يا قوم تحبون أن تتغدوا عندنا ؟ غداً ؟

المعنى : (**ينظر إلى شيرين كأنه يؤامرها**) بل بعد غد .

عبد الله : أنت الذى تحضرهم يا ابن حارثة ؟

المعنى : نعم ، هيا يا أبا الروم كلمه الآن .

رومانوس : أحقا يا عبد الله بن عمر أن أمير المؤمنين قد أمر بنفى عبيد الله أخيك من المدينة ؟

عبد الله : اللهم نعم .

رومانوس : أمن أجل أنى طالبته بإعادة النظر فى قضية مقتل أبيك ؟ أنا إذن كنت السبب .

عبد الله : كلا يا أبا الروم قد كان فى النية نفيه ، وهذا إنما عجل به .

شيرين : بل أنا كنت السبب ، لأنى جئت بالبرهان القاطع على أن ذلك الرجل هو الذى دبر اغتيال عمر من عهد بعيد منذ كان فى قلعة تستر ، فما نزل على أمان عمر إلا ليقدم عليه بالمدينة فيخدعه بإظهار الإسلام إلى أن تسنح له الفرصة فيغتاله .

عبد الله : معاذ الله يا شيرين أن يفعل ذلك رجل مسلم .

شيرين : من قال لك إنه رجل مسلم ؟

عبد الله : أشهد إن الهرمزان لرجل مسلم صادق الإيمان .

شيرين : أتشهد له يا ابن عمر وتكذبنى ؟

عبيد الله : معاذ الله يا شيرين ، فإنى أعلم إيمانك وإخلاصك وصدقك ، ولكنك لم تعرفيه إلا مشركا لم تخالط قلبه بشاشة الإيمان بعد .

شيرين : يا عبد الله بن عمر ، كيف تجتمع بشاشة الإيمان وقتل عمر أمير المؤمنين ؟

عبد الله : يا شيرين لم يقم على هذا الذى تقولينه برهان ولا بينة .

شيرين : أنا سمعته قال ذلك بصريح العبارة . ولما أردت أن أكشف سره للمسلمين ضربني على رأسي حتى غشي عليّ ، فأمر رجاله فحملوني إلى بيت النار باصطخر حيث بقيت تحت العذاب أربع سنين وهم يحاولون أن يخرجوني من دين الإسلام

عبدالله : إنما فعل ذلك يا شيرين وهو بعد مشركٌ .

شيرين : إنه عاش مشركا ومات وهو مشرك .

عبد الله : أعيذك بالله أن تقولي ما ليس لك بحق .

شيرين : أغركم صلاته وصيامه ؟ لو كان أسلم حقا لتأثم من بقائي في بيت النار فسعى لإخراجي منه .

عبد الله : ما يدريك لعله حاول فلم يجد السبيل ؟

المعنى : كان بحسبه أن يُخبر أمير المؤمنين . إذن لكتب أمير المؤمنين إلى عامله باصطخر فأنقذها من ذلك العذاب الطويل .

شيرين : ولكنه حرص على إبقائي في غيابات بيت النار خشية أن أكشف سره ، فأحبط المكيدة التي كان يدبرها لاغتيال أمير المؤمنين .

رومانوس : الحق أن هذا واضح كالشمس ، وليس من الخير أن تخفوه أو تحجبوه .

(تنتحب مرداوند باكية ، ثم يتلوها القماذبان فينتحب هو أيضا باكيا) .

عبد الله : **(مواسيا)** كلا لا تبكيا . خفضا عليكما . حتى لو ثبت على أبيكما شيء فلا جناح عليكما إذ لا تزر وازرة وزر أخرى .. فكيف ولم يثبت عليه شيء ؟

القماذبان : لو شئت يا ابن عمر لجئتك ببينة على ذلك .

عبد الله : على ماذا ؟

القماذبان : على أن الهرمزان كان مشتركا فى الجريمة .

عبد الله : يا بنى اتق الله فى أبيك .

القماذبان : سل والدتى فقد سمعت اعترافه كما سمعت .

مرداوند : أجل يا عبد الله بن عمر .. لقد سمعت ذلك منه .

رومانوس : ومتى اعترف لكما بذلك ؟

القماذبان : يوم مصرع أمير المؤمنين .

رومانوس : فكيف لم تعلن ذلك يوم المحاكمة ؟

مرداوند : أنا التى أمرته ألا يفعل. لقد أحببنا مدينة رسول الله فخشيت أن يكرهنا أهلها فلا يكون لنا فيها مقام .

شيرين : أمن أجل أن تبقى أنت وابنك فى مدينة رسول الله ، رضيت أن يعاقب ابن أمير المؤمنين ثم ينفى منها وأنت تعلمين أن جفينة والهرمزان كانا متواطئين مع الشقى أبى لؤلؤة ؟

مرداوند : (**تبكى**) حنانيك يا أختاه ما علمت بذلك إلا بعد ما نفذ السهم وقضى الأمر . وما عوقب عبيد الله بن عمر ولا نفى من المدينة برضى منا أو طلب ، بل كان ذلك رأى الجلة من أصحاب رسول الله .. فماذا كنت أصنع ؟

شيرين : كان عليك أن تُعلنى الحقيقة ، أو تدعى ابنك يعلنها للناس .

مرداوند : صدقت كان ذلك خطأ يا أختاه .

القماذبان : بل منى أنا يا أماه ، والله يغفر لى ولك .

عبد الله : لا تصدقوهما يا قوم . إنهما إنما قالا هذا لينفيا التبعة عني . التبعة ليست عليهما التبعة عليّ .

رومانوس : عليك أنت ؟

شيرين : كيف ؟

عبد الله : وددت والله لو كتمت سرّ أبي كما أمرني رحمه الله ، ولكنكم أبيتم إلا أن أكشفه لكم .

رومانوس : اكتمه إذن كما أمرك .

عبد الله : الآن وقد اتهمتم هذين المؤمنين الصالحين بما هما منه براء ؟ كلا لا بد لي أن أطلعكم عليه . لقد كان أبي يعلم بتواطؤ جفينة والهرمزان مع أبي لؤلؤة .

الجميع : (**بصوت واحد**) كان يعلم !

عبد الله : نعم ، ولكنه أمرنا بكتمان ذلك حتى لا تقع فتنة في المسلمين .

رومانوس : في المسلمين من عرب وعجم ؟

عبد الله : أجل هو ذاك . وقد جاءني القماذبان يوم المحاكمة فأخبرني أنه سيشهد على أبيه فحذرته من ذلك ، وقلت له أتريد أن تخالف وصية عمر ؟

رومانوس : الله أكبر ! الله أكبر !

أرمانوسة : يا للروعة . هذا أنبل شيء سمعت به في حياتي . هذا ليس من أخلاق البشر . هذا من أخلاق الملائكة .

مرداوند : فهل عليّ جناح يا أخت مصر إذا تشبثت بالبقاء في هذه المدينة المنورة بين هؤلاء الناس ؟

أرمانوسة : لا يا أختاه ، لا جناح عليك . إن هذا لمن ذلك السلوك الربانى الذى كان يدعو إليه السيد المسيح .

الجميع : عليه الصلاة والسلام ، عليه الصلاة والسلام .

مرداوند : شيرين يا أختاه ، إن كان الهرمزان قد أساء إليك فقد أساء إلينا أكثر ، إذ أورثنا خزيا سوف يلازمنا مدى الحياة .

القماذبان : لوددنا والله يا سيدتى لو أنك سبقت قليلا ، فأنذرت أمير المؤمنين عمر بكيد هؤلاء الخونة ، إذن لربما نجا أمير المؤمنين عمر .

عبد الله : ويحك يا قماذبان ! ذاك قضاء الله عز وجل ولا راد لقضائه .

مرداوند : وقد رأيت يا شيرين كيف سامحنا عمر وستر علينا فيما أصابه من أبينا ، فهل لك يا أختاه أن تسامحينا أيضا وتسترى علينا فينا أصابك منه .

شيرين : (**تدركها الرقة فتبكى**) بل سامحينى يا أختاه . وسامحنى أنت يا بنى . ما كان لى أن أؤاخذكما بذنب أنتما منه براء . إنكما أيضا مثلى من ضحايا الهرمزان .

القماذبان : قاتله الله ! لقد كان يظهر لنا الصلاح والتقوى . كان يتهجد كل ليلة .

عبد الله : صه يا بنى لا تسب أباك ولا تقل فيه إلا خيرا .

القماذبان : يا سيدى أى خير بقى فيه ؟

عبد الله : يا بنى إن رحمة الله ومغفرته أوسع مما يظن الظانون . وقد كان أبوك الهرمزان مسلما صالحا ، غير أنه لم يستطع أن يصفى قلبه من شوائب العصبية لفارس ولما ذهب من مجد فارس .

القماذبان : تبا لمجد فارس ! أين هو من مجد الإسلام ؟

رومانوس : صدقت يا بنى ، أين مجد كسرى وقيصر من مجد عمر ؟

أرمانوسة : أجل ما سمعنا بمثل هذا المجد الإنسانى العظيم فى تاريخ أى أمة من الأمم .

يونس : هذا ما يزيدنا حسرة على ذلك الرجل العظيم ، وسخطا على قتلته المجرمين .

عبد الله : سامحهم الله . لقد ظنوا أن عمر هو الذى طوى ملك كسرى وملك قيصر فقتلوه . وما علموا أنما هو هذا الدين القويم الذى بعث به الله محمدا ﷺ إلى البشر كافة لهدايتهم إلى سبيل الرشاد ، ولإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

رومانوس : بل قاتلهم الله أنى يؤفكون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ إخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهرزاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ إمبراطورية فى المزاد .

٢١ ــ الدنيا فوضى .
٢٢ ــ أوزوريس .
٢٣ ــ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية .
٢٤ ــ دار ابن لقمان .
٢٥ ــ قطط وفيران .
٢٦ ــ هاروت وماروت .
٢٧ ــ جلفدان هانم .
٢٨ ــ الفلاح الفصيح .
٢٩ ــ حبل الغسيل .
٣٠ ــ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ــ هكذا لقي الله عمر .
٣٢ ــ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ــ إله إسرائيل .
٣٤ ــ الزعيم الأوحد .
٣٥ ــ الدودة والثعبان .
٣٦ ــ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

